دفع المناواة

عن التفضيل والمساواة

بحث عقائدي رصين في أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام

للعلامة المحقق

السيد الحسين بن الحسن الكركي الموسوي

المتوفى سنة ١٠٠١ هـ

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

دفع المناواة

عن التفضيل والمساواة

بحث عقائدي رصين في أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام

للعلامة المحقق

السيد الحسين بن الحسن الكركي الموسوي

المتوفى سنة ١٠٠١ هـ

تحقيق

السيد مهدي الرجائي

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net رابط بديل

مراكز التوزيع

مكتبة الامين
ايران ـ قم
ص ب: ٤٣٥٩

الامين
للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت ـ ص ب: ١٥٩١٠
الرمز البريدي 35460
الدعية ـ الكويت

الامين
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان ـ بيروت
ص ب: ٦٠٨٠ ـ ١٣ شوران
هاتف ٥٤١٦٥٠ ـ ٠١
فاكس ٥٤١٤٨٣ بيروت

هويّة الكتاب

الكتاب : دفع المناواة عن التفضيل والمساواة
تأليف : السيّد حسين الكركي الموسوي
تحقيق : السيّد مهدي الرجائي
طبع : مطبعة علميّة – قم
تاريخ الطبع : ١٤٢١ هـ ق
التصوير الفنّي : ليتوغرافي سيّد الشهداء عليه السلام – قم
العدد : ١٠٠٠ نسخة

ترجمة المؤلّف

إسمه ونسبه :

السيّد أبو عبد الله الحسين بن السيّد ضياء الدين أبي تراب الحسن بن السيّد شمس الدين أبي جعفر محمّد الموسوي العاملي الكركي الأردبيلي .

كان السيّد حسين المجتهد ابن أُخت الشيخ عبد العالي بن الشيخ علي الكركي ، فإنّه كان للشيخ علي الكركي بنتان : وقد زوّج إحداهما بوالد السيّد الداماد ، والأُخرىٰ بوالد هذا السيّد ، فهو ابن أُخت الشيخ عبد العالي بن الشيخ علي الكركي، وابن خالة السيّد الداماد قدّس الله أسرارهم .

والده وجدّه :

أمّا والده ، فهو السيّد حسن ، كان من جملة مشايخ الشهيد الثاني ، ومن أكابر العلماء ، بل من مشايخ الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي أيضاً .

وعبّر صاحب الرياض عن جدّه أبي جعفر محمّد : بصاحب الكرامات الزاهرة ، والمقامات الباهرة .

وقال في هامش الرياض : في هامش نسخة المؤلّف : قال قدّس سرّه في رسالته المعمولة في معنى السيّد والسيادة وما يتبعها : ومن مجموعة أظنّ أنّ ذلك بخطّ العالم الربّاني ، والعارف الصمداني ، ذو العوارف ، شمس المعارف ، قطب الواصلين في العبادة ، فخر أهل البيت في الزهادة ، صاحب المقامات الزاهرة ، والكرامات الباهرة ، جدّي أبو جعفر محمّد بن ... الحسيني ، سقى الله رمسه صوب

الغمام ، وألحقه بآبائه الكرام عليهم صلوات الله الملك العلاّم انتهى .

أولاده وأحفاده :

له ثلاثة أولاد :

الأوّل : الأميرزا حبيب الله ، المشهور الذي صار الصدر للسلاطين الصفويّة في عهد السلطان شاه عبّاس الماضي ، والشاه صفي ، والشاه عبّاس الثاني ، وقد توفّي في أوائل سلطنته .

قال في أمل الآمل : كان عالماً جليل القدر ، عظيم الشأن ، كثير العلم والعمل ، سافر إلىٰ اصبهان وتقرّب عند الملوك حتّىٰ جعلوه صدر العلماء والأُمراء ، وأولاده وأبوه وجدّه كانوا من الفضلاء ، وكان مع أخيه السيّد أحمد معاصرين لشيخنا البهائي ، وقابلا عنده الحديث .

الثاني : السيّد أحمد ، قال في أمل الآمل : كان فاضلاً عالماً صالحاً فقيهاً معاصراً لشيخنا البهائي ، قرأ عليه وروىٰ عنه .

وقال في الرياض : وقد رأيت له رسالة فارسيّة في تحقيق التصوّف ، وعندنا منها نسخة ، وهي مختصرة .

الثالث : السيّد محمّد ، قال في الرياض : هو والد آميرزا إبراهيم المعاصر أو جدّه ، فلاحظ . وهو شيخ الاسلام بطهران ، وقد توفّي في هذه الأوقات .

وأمّا أحفاده :

الأوّل : السيّد إبراهيم بن السيّد محمّد بن السيّد الحسين المجتهد .

قال في أمل الآمل : عالم فاضل جليل القدر ، شيخ الاسلام في طهران من المعاصرين ، وهو ابن أخي ميرزا حبيب الله العاملي .

الثاني : السيّد محمّد بن السيّد محمّد بن السيّد الحسين المجتهد .

قال في الرياض : مات في حياة والده ، وله حظّ مّا من العلم .

الثالث : الأميرزا جعفر بن السيّد محمّد بن السيّد الحسين المجتهد .

قال في الرياض : هو الآن شيخ الإسلام بطهران أيضاً ، لهم كتب جياد .

الرابع : السيّد ميرزا علي رضا بن ميرزا حبيب الله بن السيّد الحسين المجتهد .

قال في أمل الآمل : كان فاضلاً عالماً محقّقاً مدقّقاً فقيهاً متكلّماً ، جليل القدر ، عظيم الشأن ، شيخ الإسلام في اصبهان ، توفّي سنة إحدىٰ وتسعين وألف .

وقال في الرياض : صار شيخ الإسلام بأصبهان في مرض موت والده ، وكان عليه ثلاثين سنة ، إلىٰ أن مات في هذه الأعصار ، وكان له أيضاً أولاد وأحفاد إلى الآن .

الخامس : السيّد ميرزا محمّد مهدي بن ميرزا حبيب الله بن السيّد حسين المجتهد . قال في أمل الآمل : كان عالماً فاضلاً ، جليل القدر ، عظيم الشأن ، إعتماد الدولة في اصبهان .

وقال في الرياض : وكان له حظّ تمّا في العلوم ، وصار بعد والده في أوائل سلطنة السلطان شاه عبّاس متقلّداً للصدارة ، ثمّ ترقّي أمره وصار في أواسط زمن السلطان المذكور وزيراً ، وكان على الوزارة تسع سنين ، ثمّ عزله السلطان شاه سليمان بن السلطان المذكور في أوائل سلطنته ، ومات ﷺ بعد العزل بزمان بأصبهان سنة ثمانين وألف تقريباً ، وكان له أولاد وأحفاد .

السادس : السيّد ميرزا محمّد معصوم بن ميرزا محمّد مهدي بن ميرزا حبيب الله بن السيّد الحسين المجتهد . قال في أمل الآمل : كان عالماً فاضلاً محقّقاً جليل القدر ، عظيم الشأن ، شيخ الإسلام في اصبهان .

وقال في الرياض : وكان له نصيب تمّا في العلم ، وصار بعد وفاة عمّه في أواخر عمره شيخ الإسلام بأصبهان ، ولكن قد مات قبل تصرّفه فيه .

أقول : هذا ما عثرت عليه من أولاده وأحفاده الموجودة في كتب التراجم ،

وهذا على القول باتّحاد السيّد حسين المجتهد مع السيّد حسين بن بدر الدين حسن بن جعفر الأعرجي الحسيني الموسوي العاملي الكركي ، وأمّا على القول بكونهما اثنان ، فيكون جميع هذه الأولاد والأحفاد لغير السيّد حسين المجتهد صاحب الترجمة ، وهنا كلام طويل ونزاع شديد بين أرباب التراجم ، والله العالم .

الاطراء عليه :

قال اسكندربيك في تاريخ عالم آرا السيّد الجليل ، خاتم المجتهدين ... وكان عالي الشأن ، جليل المكان ، وكان هذا السيّد معروفاً بين علماء العرب والعجم بطلاقة اللسان ، وفصاحة البيان ، وقد اشتهر اجتهاده في بلاد العجم ، وكان له في الأُصول والفروع للإماميّة رسائل نفيسة ، وقد فاق على الشيخ عبد العالي المجتهد ابن الشيخ علي الكركي المعاصر له في زمن السلطان شاه طهماسب الصفوي ، ولقّب هذا السيّد بسيّد المحقّقين ، وسند المدقّقين ، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، وخاتم المجتهدين .

وكان يكتب في الصكوك والسجلات إسمه الشريف بهذه الألقاب ، ولكن العلماء في غيبته لا يسلمون له هذه الدعوىٰ ، وإن كان لم يقدر أحد من فحول العلماء على التكلّم في ذلك بحضرته ولا علىٰ مباحثته ، وكان يدّعي إلىٰ حين وفاته بخاتم المجتهدين .

وقال أيضاً : إنّ الأمير السيّد حسين المجتهد الكركي كان من علماء دولة السلطان شاه طهماسب الصفوي وبعده ، قد جاء هذا السيّد في زمن السلطان المذكور من جبل عامل إلىٰ بلاد العجم ، وصار شيخ الإسلام بأردبيل ، ومتصدّياً لشرعيّاتها مدّة من الزمان ، ثمّ جاء إلىٰ معسكر ذلك السلطان ، وكان متّكئاً علىٰ مسند الاجتهاد ، ومعزّزاً عند السلطان .

وكان ذا نفس عالية ، وفطرة كاملة ، وصاحب حافظة عظيمة ، وكان يتوجّه

بنفسه نادراً إلىٰ فصل القضايا الشرعيّة في معسكر ذلك السلطان ، وكان جماعة يتردّدون كلّ يوم إلىٰ محكمته ويرجعون إليه ، وكان يكتب كتاب محكمته في الأسانيد الشرعيّة بأمره في ألقابه « خاتم المجتهدين » وإن كان العلماء في عصره يضايقون ، ولهم كلام في ذلك ، ولكن أحد منهم لم يمنعه عن ذلك ، وكان فصيح البيان ، مليح اللسان في الغاية ، وله تصانيف معتبرة في الفقه وحقّيّة مذهب الإماميّة الاثني عشريّة وردّ المذاهب المبتدعة .

وقال في أمل الآمل : كان عالماً فاضلاً جليل القدر ، له كتاب .

وقال الفاضل الأفندي في رياض العلماء : السيّد المجتهد ... الفقيه الفاضل الجليل الكامل ، المعروف بالأمير السيّد حسين المجتهد ، وقد يعرف بالأمير السيّد حسين المفتي .

وقال أيضاً : وله ﷺ مع السلطان شاه إسماعيل الثاني السنّي في حكاية تشيّعه قصّة معروفة .

ثمّ قال : وقد كان مكرماً عند السلطان شاه طهماسب بعد وفاة الشيخ علي ، وكذا عند السلطان شاه عبّاس الماضي . وبالجملة كان السيّد حسين المذكور من مشاهير الفضلاء ، وكان معظّماً عند السلاطين الصفويّة وغيرهم .

وقال السيّد محمّد أشرف بن عبد الحسيب الموسوي الكركي في كتابه فضائل السادات : إنّه كان من مروّجي مذهب الإماميّة الحقّة في دولة الصفويّة .

وقال السيّد حسن الصدر في تكملة أمل الآمل : عالم عامل فاضل مصنّف مكثر ، أحد أركان الدين في عصر السلطان الشاه عبّاس الأوّل ، وبعده كان شيخ الإسلام بقزوين ، ثمّ بأردبيل إلىٰ يوم وفاته ، آمراً بالمعروف ناهياً عن كلّ منكر ، مرجعاً في العلم والدين نافذ الحكم .

كان يكتب علىٰ سجلات الأرقام ودفاتر الأحكام « خاتم المجتهدين » كما

كان يكتب عليه جدّه الأُمّي المحقّق الكركي .

كان السيّد مقدّماً علىٰ جميع العلماء حتّىٰ علىٰ خاله الشيخ عبد العالي ابن المحقّق الكركي في جميع المراتب ، وكانت له كرامات عالية ومقامات سامية .

دعا على السلطان شاه إسماعيل الثاني الذي صار سنّيّاً في الليلة التي كان طلبه وكان سكراناً ليقتله بدعاء العلوي المصري ، فأخذه الله بذلك النكال ، وكان لسنّيّته شديد التعصّب علىٰ علماء الشيعة لما أغواه به الميرزا مخدوم صاحب نواقض الروافض ، لكن كان السيّد قدّس الله روحه قويّ الجنان ، طلق اللسان ، فخاصم السلطان بأشدّ ما يكون وسدّ عليه كلّ طريق يريد به السوء بالشيعة والعلماء .

حتّىٰ أنّ السلطان أرسل إليه أن يمنع الذين كانوا يمشون أمام مواكب الأشراف باللعن ، فأجابه : بأنّي لست بسامع لك أمراً ، وإذا شئت الأمر بقتلي فافعل ، يقول الناس : قتل يزيد الثاني حسين الثاني ، فيلعنوك كما يلعنون يزيد الأوّل .

ولمّا أراد السلطان المذكور تغيير السكّة لأنّها كانت منقوشة بأسماء الأئمّة من أهل البيت ، احتال ذلك بمحضر الأُمراء بأنّ هذه النقوش تقع بيد الكفرة ، فالرأي تبديلها حتّىٰ لا تنجس بمسّ الكفرة ، فلم يجسر أحد علىٰ جوابه غير السيّد ، فقال: إذا كان العذر ذلك فأمر أن يكتب عليها بيت المولىٰ حيرتي الشاعر ، وهو بيت معروف ، فترك ما كان يريده وأخذ يدبّر الحيلة لقتل السيّد ، فحبسه في حمّام حارّ لا يشكّ بهلاكه ، ولمّا فتحوا الحمّام خرج السيّد علىٰ كمال الصحّة ، وبالجملة لم يقدر عليه حتّىٰ هلك السلطان لا رحمه الله وأراح الله منه .

وقال السيّد الأمين في أعيان الشيعة نقلاً عن بعض كتب التراجم : كان من أكابر العلماء المحقّقين ، وأعاظم الفقهاء المبرّزين ، جليل القدر ، عظيم الشأن ، له في نصرة الحقّ والخشونة في ذات الله مواقف تذكر فتشكر ، وحقوقه علىٰ هذا الدين لا تحصر ، ومقاماته العالية لا تستقصىٰ ، جاء من جبل عامل إلىٰ بلاد العجم ،

فأصاب في الدولة الصفويّة جاهاً كبيراً، وحظّاً عظيماً.

وكان من علماء دولة الشاه طهماسب الصفوي، وبقي إلىٰ أوائل دولة الشاه عبّاس الأوّل. ولمّا توفّي جدّه المحقّق الكركي قام مقامه ونزل منزلته عند الأُمراء والسلاطين، وسكن قزوين زماناً، ثمّ ارتحل إلىٰ أردبيل بأمر الشاه عبّاس الأوّل، فكان شيخ الإسلام بها إلىٰ حين وفاته.

وكان معروفاً من بين علماء العرب بطلاقة اللسان، ورشاقة البيان، وفائقاً في العلم والجاه علىٰ خاله الشيخ عبد العالي بن المحقّق الثاني الذي قام مقام أبيه بعد وفاته.

كراماته:

قال في الرياض: وقد نقل المولىٰ نظر علي تلميذ الشيخ البهائي ﷺ في مطاوي رسالته المعمولة في شرح أحوال الشيخ البهائي ما معناه: انّ إسماعيل ميرزا الصفوي قد جلس في بلاد إيران في قزوين بعد وفاة السلطان شاه طهماسب علىٰ سرير السلطنة، ولمّا كان ملاّ زين العابدين معلّم إسماعيل ميرزا لأجل بعض تقصيراته في قلعة قهقهة في آخر ولاية قراداغ من آذربايجان قد اختلط مع جماعة القلندريّة من العامّة، فانحرف بذلك عن مذهب الشيعة وطريقة آبائه بالكلّيّة.

وبعد ما تسلّط شرع في أذىٰ علماء الشيعة في بلاد العجم في الغاية، وقد أراد أن يأمر الخطباء بأن يخطبوا علىٰ طريقة السنّة، ولذلك قد قصد أن يسمّ في قزوين الشيخ الأجلّ عبد العالي بن الشيخ علي الكركي العاملي، وكذا السيّد الجليل الأمير السيّد حسين المجتهد الكركي العاملي، فعند ذلك قد هرب من قزوين إلىٰ بلدة همدان.

ولمّا لم يحصل للأمير السيّد حسين فرصة الفرار أقام بقزوين اضطراراً خائفاً

علىٰ نفسه متوكّلاً على الله متوسّلاً بأجداده أئمّة الهدىٰ ، واشتغل بقراءة دعاء العلوي المصري الذي هو مجرّب في دفع الأعداء .

ثمّ لمّا دخل شهر رمضان وصار ليلة الثالث منه وقد مضىٰ من أيّام سلطنته سنة وشيء خرج في الليل من بيته إلى السوق تنزّهاً مع معشوقه المعروف بحلواجي أوغلي ، وأكل من البنج ومن سائر الغيرات المحرّمة شيئاً وافراً ، فاختنق وضاق عليه التنفّس في الطريق ، ولذلك لمّا أرجعوه إلىٰ بيته خرج من أنفه وحلقه دم كثير ، وكان أوان وفاته طلبوا السيّد الجليل الأمير السيّد حسين هذا في ذلك السحر إلىٰ جنازته ، فلمّا دخل السيّد أمر بتغسيله وتكفينه ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين .

وقد كان في خاطر إسماعيل ميرزا وغيره في تلك الليلة أنّه إذا رجع من السوق أن يبعث جماعة إلىٰ بيت السيّد حسين هذا ليقتلوه لاجل تشيّعه ، فانتقم الله منه قبل صدور هذه العزيمة الخبيثة ، وهذه واحدة من جملة كرامات هذا السيّد .

ثمّ إنّ إسماعيل ميرزا المذكور قد أخرج عنفاً صناديق مقفّلة مملوءة من الكتب في حال حياته من بيت هذا السيّد إلىٰ بيت نفسه ، ولم يحصل له الفرصة لفتحها ، ولمّا توفّي تلك الليلة قد حملها خلّص أصحاب هذا السيّد تلك الصناديق من بيته إلىٰ بيت هذا السيّد ، ورجع الحقّ إلىٰ أهله .

تصلّبه في الدين :

قال في الرياض : وقد نقل المولىٰ نظر علي تلميذ الشيخ البهائي في مطاوي رسالته المعمولة في شرح أحوال الشيخ البهائي ، عن المولىٰ زين العابدين التبريزي أنّه أرسل يوماً إسماعيل ميرزا الصفوي في أيّام تسلّطه واحداً من الجلاوزة إلىٰ بيت الأمير السيّد حسين هذا وأمره بأن قال له : لابدّ أن يمنع التبرّائي من الذهاب علىٰ ركابه ، فإنّه إن فعل بعد ذلك مثل ما كان يفعله لآمرنّ

بقتل نفس هذا السيّد .

فقال هذا السيّد لذلك الجلواز : قل له إنّي لم أترك ذهاب التبرّائي علىٰ ركابي ، وكان جدّي الأعلىٰ الحسين عليه السلام قد أمر يزيد الملعون بقتله ، والنـاس إلى الآن يلعنون يزيد لذلك ، فإن أمرت بقتلي فكان الناس يقولون بأنّ يزيد الثاني أمر بقتل الحسين الثاني ، فيلعنوك أيضاً لفعلك ذلك بي مثل ما فعل يزيد الأوّل . فلمّا سمع الجلواز ذلك الجواب رجع إلى إسماعيل ميرزا .

فلمّا سأل إسماعيل ميرزا عن الجلواز أنّ هذا السيّد ما أجابك فيما قلت له ؟ قال له : إنّ السيّد قال : الأمر إلى السلطان في ذلك . فقال إسـماعيل مـيرزا : إنّ الأمير السيّد حسين لا يقول في الجواب بمثل ذلك ، قل لي الصدق فيما قاله وإلاّ لأقتلنّك. فطأطأ ذلك الجلواز رأسه خجلاً ، وقال : لا أقدر أن أحكي ما قاله ذلك السيّد في الجواب . فألحّ إسماعيل ميرزا عليه بأن يقول له عين ما قاله ذلك السيّد في الجواب . فحكىٰ له جميع ما قاله هذا السيّد ، فتغيّر طـبع إسـماعيل مـيرزا ، وتشوّش حاله لذلك ، وقال : لا أدري أنا كيف أفعل مع هذا الرجل - يعني هـذا السيّد - وقام من مجلسه في غاية الغيظ والغضب ودخل في حرمه .

وقال في الرياض أيضاً : وقد نقل أيضاً في تلك الرسالة أنّ إسماعيل مـيرزا المذكور لمّا أراد تغيير وضع السكّة الدراهم لأجل تسنّنه حيث اشتمل علىٰ أسامي الأئمّة عليهم السلام ، عمل حيلة لانطماس سكّة « علي ولي الله » قال في بعض مجالسه بحضرة العلماء والأُمراء : إنّ هذه الدراهم قد تقع علىٰ أيدي الكفرة مـن اليـهود والنصارىٰ والهنود وسائر الكفرة ، ويمسّون اسم الله تعالىٰ وهم أنجاس ، فلذلك أردت أن أُغيّر هذه السكّة .

فتغيّر لذلك وجوه السادات والعلماء والفقهاء الحاضرون فـي ذلك المـجلس حيث علموا ما أراده إسماعيل ميرزا ، واختلّ أحوالهم مـن ذلك ، فسكـتوا فـي

الجواب ، وصاروا متفكّرين في هذا الأمر ، فقال الأمير السيّد حسين هذا في جواب هذا السلطان : فإن أردتم تغيير السكّة لأجل ذلك فأنقل لكم في نقش السكّة شيئاً إن نقشتموه عليها لئن أوقع في النجاسات لم يكن فيه قصور ، فسأله إسماعيل ميرزا عن ذلك النقش ، فأجابه هذا السيّد بأنّ ذلك النقش هو بيت المولىٰ حيرتي الشاعر المشهور بالفارسيّة ، وذلك قوله ﷺ :

هركجا نقشى است بر ديوار و در لعن بوبكر است و عثمان و عمر

فلمّا سمع هذا السلطان من هذا السيّد ذلك تغيّر وجهه واختلّ حاله ، وترك ما أراد من تغيير نقش السكّة التي قد نقشها آباؤه ، ثمّ إنّه عزم لذلك علىٰ قتل هذا السيّد ، وكان في مقام أذيّة هذا السيّد في مدّة سلطنته ، ولكن الله تعالىٰ لم يقدّر قتله علىٰ يده بل ولم يمهله ، حيث أنّه مات علىٰ أسوأ حال ، وخلص الشيعة من يده ، ولاسيّما علماء الشيعة ، وخاصّة أمثال هؤلاء السادة الفقهاء ، بحمد الله ومنّه ، فإنّه رؤوف رحيم بعباده المؤمنين .

أقول : هكذا كان علماؤنا قدّس الله أسرارهم في جميع أدوار التاريخ ، ودافعوا عن مباني التشيّع وصانوها عن الضياع ، ولولا جهودهم وجهادهم لضاعت أكثر مباني الشيعة ، ومن الواجب علينا تسليم هذه المباني المحكمة إلىٰ بعدنا ، كما أودعوها إلينا سالماً عن التحريف والخلل .

رحلاته :

كان السيّد حسين المجتهد قد سافر من جبل عامل إلىٰ بلاد العجم ، وكان في عصر السلطان شاه طهماسب الصفوي إلىٰ زمن السلطان شاه عبّاس الماضي الصفوي .

وسكن برهة من الزمان في بلاد جيلان أيضاً ، وألّف بعض كتبه باسم سلطانها .

وسكن أيضاً قزوين برهة من الزمان ، ثمّ جاء إلىٰ أردبيل بأمر السلطان وصار

شيخ الإسلام بها ، وكان فيها إلىٰ أن مات بها .

مشايخه :

١ - السيّد أسد الله الحسيني التبريزي .

٢ - والده العالم الربّاني السيّد حسن الموسوي .

٣ - المولىٰ عطاء الله الآملي .

٤ - الشيخ علي بن هلال الكركي .

٥ - السيّد عماد الجزائري .

٦ - الشيخ محمّد بن الحارث المنصوري الجزائري .

٧ - الشيخ يحيى بن الحسين بن عشرة البحراني .

تلامذته :

كان له تلامذة أجلاّء ، منهم :

١ - السيّد حسين بن السيّد حيدر الكركي ، قال في التكملة : قال في إجازته لبعض تلامذته : أروي جميع ذلك قراءة وإجازة عن سيّد المحقّقين وسند المدقّقين وارث علوم الأنبياء والمرسلين ، السيّد حسين ابن السيّد الربّاني والعارف الصمداني السيّد حسن الحسيني الموسوي .

٢ - غياث الدين علي الطبيب بن كمال الدين الحسين الكاشاني .

٣ - الشيخ شمس الدين محمّد بن الشيخ ظهير الدين إبراهيم البحراني .

آثاره القيّمة :

١ - رسالة في أجوبة مسائل بعض أكابر مازندران بل جيلان .

قال في الرياض : وهي رسالة لطيفة طويلة الذيل ، مشتملة علىٰ فوائد جليلة فقهيّة ، ألّفها سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، وعندنا منها أيضاً نسخة ، وسمّاها بالنفحات القدسيّة في أجوبة المسائل الطبرسيّة ، وفي بعض النسخ النفحات

الصمديّة في أجوبة المسائل الأحمديّة ، والظاهر أنّ السائل هو أحمد خان ملك بلاد جيلان ، فإنّه كثيراً ما ألّف هذا السيّد مؤلّفات لهذا الملك ، كما يظهر من مطاوي أحواله في هذه الترجمة ، ولعلّه لذلك قال أيضاً : المسائل الأحمديّة ، فتأمّل .

٢ – الاقتصاد في إيضاح الاعتقاد في الامامة . ذكره في رسالته رفع البدعة في حلّ المتعة .

٣ – رسالة التبصرة في المسائل الكلاميّة . قال في الرياض : عندي رسالة التبصرة – بخطّه الشريف وخطّه في غاية الرداءة – في المسائل الكلاميّة .

٤ – رسالة في تحقيق كيفيّة استقبال الميّت وما يتعلّق بالميّت .

قال في الرياض : وفيها تحقيق القبلة وفوائد كثيرة أُخرىٰ أيضاً .

٥ – رسالة في تحقيق معنى السيّد والسيادة . قال في الرياض : مشتملة علىٰ فوائد جمّة ، وقد ألّفها باسم الوزير الأعظم الأمير شجاع الدين الصفوي الحيدري الموسوي الحسيني ، والظاهر أنّه كان وزيراً للسلطان شاه طهماسب الصفوي ، ورأيت نسخاً منها ، وعندنا منها نسخة أيضاً .

٦ – تذكرة الموقنين في تبصرة المؤمنين في أُصول الدين . ذكره في رسالة رفع البدعة في حلّ المتعة .

٧ – التعليقة على الصحيفة الكاملة السجّاديّة . قال في الرياض : وقد صرّح بذلك نفسه في إجازته لتلميذه الشيخ شمس الدين البحراني ، ورأيتها بأردبيل علىٰ هوامش النسخة ولعلّها لم تدوّن ، فلاحظ .

٨ – رسالة في تعيين قتل الرمع والعمل منه . ذكره في الرياض . والرمع مقلّب عمر .

٩ – رسالة كبيرة في التوحيد . قال في الرياض : ألّفها لبعض أركان سلطنة السلطان شاه طهماسب .

١٠ – جواب استفتاء السلطان عن ذبيحة أهل الخلاف ونجاستهم . قال في الرياض : وقد بالغ السلطان عند السؤال عنه في كتابه في مدحه وذكر جميل أوصافه وجليل أعرافه ، وعظّمه غاية التعظيم في خطابه .

١١ – رسالة في جواب من سأله عن نجاسة أهل السنّة وحرمة ذبيحهم . ذكره في الرياض .

١٢ – الحاشية علىٰ عيون أخبار الرضا عليه السلام . ذكره في الرياض .

١٣ – دفع المناواة عن التفضيل والمساواة في شأن علي عليه السلام بالنسبة إلى النبيّ والأئمّة والملائكة والأنبياء عليهم السلام . وهو هذا الكتاب المماثل بين يديك .

١٤ – رسالة رفع البدعة في حلّ المتعة . قال في الرياض : وهي رسالة طويلة الذيل ، حسنة الفوائد جدّاً ، وعندنا منها نسخة ، وقد ألّفها لكمال الدين شيخ أويس .

١٥ – سيادة الأشراف ، قال في الروضات : فيه تحقيق القول بأنّ المنتسب بالأُمّ إلىٰ آل هاشم منهم .

١٦ – شرح روضة الكافي . ذكره في الرياض .

١٧ – شرح الشرائع . قال في الرياض : ورأيت كتاب الطهارة منه في بلدة أردبيل ، ولعلّه لم يخرج منه إلاّ هذا القدر .

١٨ – صحيفة الأمان في الأدعية . قال في الرياض : رأيت قطعة منه بأردبيل .

١٩ – الرسالة الطهماسبيّة في الإمامة . قال في الرياض : حسنة الفوائد .

٢٠ – رسالة في قوله تعالىٰ ﴿ اليوم أُحلّ لكم الطيّبات وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم ﴾ ذكره في الرياض .

٢١ – رسالة اللمعة في أمر صلاة الجمعة . قال في الرياض : ورأيت نسخاً منها ، وعندنا منها أيضاً نسخة ، وقد فرغ من تأليفها في شهر رمضان سنة ستّ وستّين

وتسعمائة في حضرة الشاه صفي بأردبيل ، وقد ألّفها للسلطان شاه طهماسب ، ويظهر من تلك الرسالة أنّه يقول بوجوب صلاة الجمعة تخييراً ، لكن بشرط كون إمام الجمعة فقيهاً مجتهداً جامعاً لشرائط الفتوىٰ ، وقد تعرّض في تلك الرسالة لمناقضة الشيخ الشهيد الثاني في رسالته المعمولة في وجوب صلاة الجمعة عيناً ، وردّ فيها جميع أدلّته غاية الردّ ، بل تكلّم عليها بأقبح وجه .

٢٢ – المسائل الأحمديّة . وهي رسالته أجوبة مسائل بعض أكابر مازندران المتقدّمة .

٢٣ – المقدّمة الأحمديّة فيما لابدّ من الشريعة المحمّديّة في أُصول الدين والطهارة والصلاة . ذكره في الرياض .

٢٤ – النفحات الصمديّة في أجوبة المسائل الأحمديّة . وهي رسالته أجوبة مسائل بعض أكابر مازندران المتقدّمة .

٢٥ – النفحات القدسيّة في أجوبة المسائل الطبرسيّة . وهي رسالته أجوبة مسائل بعض أكابر مازندران المتقدّمة .

٢٦ – نقض دعامة الخلاف في كفر عامّة أهل الخلاف . قال في الرياض : نسبه إلىٰ نفسه في سائر مؤلّفاته منها النفحات القدسيّة .

٢٧ – رسالة في نيّات النائب في جميع العقود . قال في الرياض : ألّفها لبعض مقرّبي السلطان ، وكان عندنا منها نسخة ، وهي حسنة الفوائد .

٢٨ – رسالة وجيزة في بيان حال أهل الخلاف في النشأتين . قال في الرياض : حكم فيها بكفرهم بل بنجاستهم أيضاً ، وعندنا منها نسخة .

وغيرها من الكتب والرسائل ، قال في الرياض : وله جوابات استفتاءات كثيرة متفرّقة رأيت بعضها بأردبيل وغيرها .

وقال أيضاً : وله تعليقات عديدة علىٰ هوامش كثير من الكتب ، وقد رأيت

بعضها في أردبيل .

وفاته :

قال في تاريخ عالم آرا : إنّ في سنة إحدىٰ وألف من الهجرة في أيّام دولة السلطان شاه عبّاس الماضي الصفوي قد وقع طاعون عظيم بقزوين ، وكان ممّن مات به السيّد الجليل خاتم المجتهدين السيّد حسين الحسيني الكركي العاملي .

ثمّ قال : وقد أرسل السلطان شاه عبّاس الصفوي نعشه الشريف بعد وفاته إلىٰ مشاهد الأئمّة عليهم السلام بالعراق ، ودفن بتلك الأراضي المقدّسة .

حول الكتاب :

وهو كتاب دفع المناواة عن التفضيل والمساواة في شأن علي عليه السلام بالنسبة إلى النبيّ والأئمّة والملائكة والأنبياء عليهم السلام ، مشتملة علىٰ ثلاثة مراصد :

المرصد الأوّل : المساواة فيما عدا النبوّة .

المرصد الثاني : في الأفضليّة علىٰ سائر الخلق .

المرصد الثالث : في أنّ الأئمّة بعد النبيّ والوصيّ أفضل البشر .

قال في الرياض : رأيت الكتاب ببلدة لاهيجان من بلاد جيلان ، وهو كتاب حسن نافع مشتمل علىٰ أخبار غريبة ، ألّفه باسم السلطان أحمد خان ، ولعلّه ملك جيلان وصهر شاه عبّاس الماضي . وكان عندنا نسخة أُخرىٰ منه . ويظهر من ديباجته أنّه جعلها للسلطان شاه طهماسب الصفوي ، أو السلطان شاه عبّاس الماضي الصفوي ، والأمر في ذلك سهل ؛ إذ أمثال هذه التغييرات في خطب الكتب وديباجتها شائعة ، فلاحظ .

وكان في آخره هكذا : فرغ من تسويدها مؤلّفها المذنب الجاني الحسين بن الحسن الحسيني في ربيع الأوّل من سنة تسع وخمسين وتسعمائة . ولعلّ تلك النسخة كانت بخطّه . ويروي فيه عن كتب عديدة غريبة ، وقد صرّح في مواضع

عديدة منه بأنّ جدّه الشيخ علي شارح القواعد ، ومراده جدّه الأُمّي : لأنّ الشيخ علي ليس بسيّد . وقد وعد في آخر هذا الكتاب أن يؤلّف كتاباً مفرداً في إيمان أبي طالب عليه السلام إن يسّر الله له ، ولعلّه قد ألّفه .

وقال في الذريعة : دفع المناواة عن التفضيل والمساواة ، في بيان شأن علي أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وبالنسبة إلىٰ سائر أهل البيت ، ونسبة بعضهم مع بعض ، ونسبتهم إلى الأنبياء ، للسيّد حسين المجتهد المفتي ابن حسن بن أبي جعفر محمّد الموسوي العاملي الكركي .

ثمّ قال : بيّن مقاصده في طيّ مراصد ، والمرصد الثالث منها في إثبات أنّ الأحد عشر بعد النبيّ والوصيّ أفضل من سائر البشر ، وقد كتبه باسم السلطان أبي المظفّر الشاه طهماسب الصفوي ، وفرغ منه في (٤ - ع١ - ٩٥٩) كما في نسخة عصر المؤلّف ، وهي بخطّ المولىٰ محمّد بن علي البيوني ، فرغ من الكتابة في أواخر ربيع الثاني (٩٦٢) يعني بعد التأليف بثلاث سنوات ، ولعلّ الكاتب كان من تلاميذ المؤلّف ، وهذه النسخة رأيتها بمكتبة السيّد جعفر بحر العلوم .

ثمّ قال : ويوجد نسخة أُخرىٰ ناقصة في مكتبة التستريّة ، ونسخة أُخرىٰ في مكتبة المشكاة .

وقال السيّد الصفائي في كشف الأستار نقلاً عن المستدرك للمحدّث النوري : وعندي نسخة صحيحة من كتاب دفع المناواة ، علىٰ ظهرها خطّ المجلسي ، وفي آخرها : وفرغ من تسويدها مؤلّفها المذنب الجاني الحسين بن الحسن في رابع ربيع الأوّل من سنة تسع وخمسين وتسعمائة ، فهو في طبقة الشهيد الثاني .

خاتمة :

والنسخة التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب وتصحيحه ومقابلته ، هي النسخة الفريدة السقيمة الموجودة في مكتبة المرحوم آية الله العظمىٰ المرعشي

النجفي ﷺ برقم: ٦٤٢٢، بخطّ ملاّ نظر علي بن محمّد صالح اللاهيجي، المستنسخ في سنة ١١١٥ هـ.

ولم آل جهدي في تصحيح الكتاب واستخراج ما يحتاج إلى الاستخراج، فخرج بحمد الله تعالىٰ خالياً عن الأغلاط إلاّ ما زاغ عن البصر، فإنّ الانسان محلّ السهو والنسيان، وأسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يقيّظ رجالاً من بيت المؤلّف أن يحيوا جميع آثاره بمنّه وتوفيقه، والحمد لله ربّ العالمين.

السيّد مهدي الرجائي

١٣ رجب المرجبّ سنة ١٤٢١ هـ

قم المشرّفة ص.ب ٧٥٣ - ٣٧١٨٥

مصادر الترجمة

١ – أعيان الشيعة ، للسيّد محسن الأمين .
٢ – أمل الآمل ، للشيخ الحرّ العاملي .
٣ – تعليقة أمل الآمل ، للميرزا عبد الله الأفندي .
٤ – تكملة أمل الآمل ، للسيّد حسن الصدر .
٥ – الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، للشيخ آغا بزرك الطهراني .
٦ – روضات الجنّات ، للسيّد محمّد باقر الخوانساري .
٧ – رياض العلماء وحياض الفضلاء ، للميرزا عبد الله الأفندي الأصفهاني .
٨ – مرآة الكتب ، لثقة الإسلام التبريزي .
٩ – مستدرك الوسائل ، للمحدّث النوري .
وغيرها من كتب التراجم .

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هو الله الذي لا إله إلاّ هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر ، سبحان الله عمّا يشركون ، منشىء الأرواح والصور ، جاعل القوىٰ والقدر ، جلّ أن يتلوّث قدس جنابه بمقابلة نعمة من نعمه حمد من حمد أو شكر ، كيف ؟ والحمد نعمة من نعمه لمن نسي أو ادّكر .

فله الحمد وله الشكر علىٰ تشريفه الانسان من بين الموجودات بكرامة ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾[1] فلمع وزهر من تكريمه إيّاه بشرف ﴿ وفضّلناهم علىٰ كثير ممّن خلقنا تفضيلاً ﴾[2] ما دهش وبهر ، واختصاصه من بينهم أكرم جراثيمهم العرب ، فجعل منهم سيّد ولد آدم ولا فخر لمن افتخر .

ورفع لواء السعادة من بين شعوبها بالشرف الناصع لمضر ، وأخرج سهم الكرامة من كنانه كنانة من جملة القبائل فظهر لقريش من بين عمائرها نجم السعادة وانجهر ، وشدّ ذروة المجد من بين البطون لقصيّ فيما بطن أو ظهر ، وأنار برهان الرفعة من تلك الأفخاذ لهاشم فقهر بعزّة السيادة من بدا ومن حضر ، وألبس تاج الرئاسة بوساج الفضائل من جميع الفضائل لعبد المطّلب ، فذاع له صيت الفتوّة والمروءة واشتهر .

وشعشع من كواكب عشائرها شمس النبوّة والرسالة من العزّة المحمّديّة ، فسطع

---

(١) الاسراء : ٧٠ .

(٢) الاسراء : ٧٠ .

بدر الوصيّة والولاية من الجهة العلويّة ، وتشعّب أغصان الفضل من أطراف الدروع الفاطميّة ، فحازوا مواريث النبوّة والوصيّة ، وشرعوا مشارع الأفضليّة وشرائع الأكمليّة لمن ورد وصدر ، فلا جرم أن كانت سابقة الفضل لمحمّد وآله علىٰ كلّ أُنثىٰ وذكر .

والصلاة علىٰ قائل محمّدٌ وعليٌّ خير البشر ، وأنّ من آمن فقد آمن ومن أبىٰ فقد كفر[١] ، وآله الذين أنطق الله بفضلهم الآيات والسور ، وأذعن له الموجودات بأسرها حتّى الشجر والحجر ، رجال الفضائل وشجعانها ، وحماة الفواضل وفرسانها ، وارثوا الكمالات كابراً عن كابر ، رافعوا رؤوس المنابر بشرفهم السائر ، وممهّدوا قواعد المنابر لمجدهم الدائر علىٰ لسان الغالي والقالي ، والنمط الأوسط من الأصاغر والأكابر ، فأرضعوا أقلامهم أخلاف المحابر ، وملؤوا بها متون الطروس والدفاتر .

فلم يخل من أخبارهم بطن دفتر ... تبوح بعلياهم ولا ظهر منبر

وجرىٰ جواد جودهم ، فكان السبق السُكيت جودهم على السابق واللاحق من الماضي والغابر ، وتساووا في مضمار المعارف ، وتدانوا في حلبة العوارف ، فالآخر كالأوّل ، والأوّل كالآخر .

شرف تتابع كابر عن كابر ... كالرمح أُنبوب علىٰ أُنبوب[٢]

وترى النجوم الزمر من أسلافه ... كالغيث شابوب علىٰ شابوب[٣]

---

(١) حديث « علي خير البشر » من الأحاديث المتواترة بين الفريقين ، وقد رواه جمع من أعلام السنّة في صحاحهم ومسانيدهم ، راجع كتاب احقاق الحقّ ٤ : ٢٤٩ - ٢٥٦ .

(٢) الأُنبوب : ما بين العقدتين من القصب أو الرمح ، ويستعار لكلّ أجوف مستدير كالقصب .

(٣) أي : يزيد بعضه في حسن البعض الآخر .

أشراف السادات ، وسادات الأشراف ، رغموا آناف المنافسة عن معاطسة آل عبد مناف ، شنشنة معروفة في السلف والخلف ، ينكرها من أنكر ويعرفها من عرف .

فالناس أرض في السماحة والندىٰ وهم إذا عدّ الكرام سماء
لو أنصفوا كانوا لآدم وحدهم وتفرّدت بولادهم حوّاء

مفاتيح الحكم ، وينابيع النعم ، ومصابيح الظلم ، وعلّة خروج الدنيا من كتم العدم ، سيوف التي لا تخبوا ، وأنواره التي لا تنبوا ، مدار الدهر ، ونواميس العصر ، والمنزل عليهم ما ينزّل في ليلة القدر ، وأصحاب الحشر والنشر ، تراجمة وحيه ، وولاة أمره ونهيه ، البدور الساطعة ، والشموس اللامعة ، ذا الحجج البالغة ، والحبال الدامغة ، النجوم الزاهرة ، والأنوار الباهرة ، أوتاد البلاد ، وأقطاب العباد ، نظام الدين ، والحبل المتين ، فمن يقدر قدرهم ، أو يدرك أمرهم .

والرضا عليه السلام يقول علىٰ ما في عيون أخبار الرضا : هيهات من ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ؟ ضلّت العقول[١] ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وحسرت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيّرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت الخطباء [وجهلت الألباء][٢] .

وكلّت الشعراء ، وعجزت الأُدباء ، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه ، وفضيلة من فضيلته ، فأقرّت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف له ؟ أو ينعت بكنهه ؟ أو يفهم شيء من أمره [أو يوجد من يقام مقامه ويغني غناه][٣] لا ، كيف وأنّىٰ ؟

---

(١) في العيون : فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ويمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات ضلّت العقول الخ .

(٢) الزيادة من المصدر .

(٣) الزيادة من المصدر .

وهو النجم[١] من أيدي المتناولين[٢].

نعم إذا رمت وصفاً منه قصرت دونه، وأين الثريّا من يد المتناول؟

صلاةً تعجز عن محاولتها الحصر والاحصاء، ويضيق عن مساجلتها الأرض والسماء.

وبعد: فقد سأل - أدام الله عزّه وخلّد شرفه ولا زال معزّه - عن مساواة علي للنبيّ، وعن أفضليّته من عدا نبيّنا من نبيّ ووصيّ صلوات الله عليهم أجمعين.

وحيث وجد القلم ميداناً فسيحاً انساق إلىٰ بيان حال باقي الأئمّة عليهم السلام علىٰ نهج جليّ، وذلك ممّا لا يترامىٰ إليه طرف العقل، أو لا يكون من قبله إلاّ بعد العلم بمقدار فضل كلٍّ منهم وقياسه إلى الآخر، فيظهر هنالك التساوي والتفاضل، ويتّضح طريق المفاضلة والمحاطّة في التناضل.

وهو ممّا يخسأ عن معانيه حسيرة أبصار خفافيش الوهم، ويحترق من أشعّة شعشعة أجنحة طوائر الفهم ومن له قوّة رفع حجاب الجرأة عن وجه الوقاحة، وادّعاء معرفة درجاتهم، وتمييز مراتبهم، وهم قوم ما عرفهم إلاّ الله، ولا عرف الله إلاّ هم.

فقد روىٰ أسعد بن إبراهيم بن الحسين بن علي الأربلي بإسناده إلىٰ أحمد بن حنبل من الأربعين حديثاً، التي سمعها من محمّد بن إدريس الشافعي، من الحديث السابع عشر: إنّ لله حقّاً لا يعلمله إلاّ أنا وهذا، وإنّ لي حقّاً لا يعلمه إلاّ الله وهذا، ولهذا عليّ حقّاً لا يعلمه إلاّ الله وأنا[٣].

---

(١) في المصدر: وهو بحيث النجم.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٩.

(٣) رواه في البحار ٢٧: ١٩٦ ح ٥٦ عن الفضائل والروضة، ورواه في الإحقاق ٥: ١٢١ عن الحافظ محمّد بن أبي الفوارس في كتابه الأربعين.

فذلك طريق لا يوجد إلاّ عنهم ، ولا يؤنس إلاّ منهم ، ووسمت هذه العجالة بـ« دفع المناواة عن التفضيل والمساواة » وأتحفت بها عاليجناب الدوحة الأحمديّة ، زبدة السدرة العلويّة ، ملاذ السطوة والحميّة ، ملجأ الأخلاق الحسنيّة، صفوة الطرائق الحسينيّة ، المؤيّد بالأعراق الهاشميّة ، المسدّد بالأيادي الحاتميّة .

وما جود أهل الأرض إلاّ مقدّر تقطّره ماء من عباب بحاره
وما لمعان الشمس إلاّ تلألؤ قد اقتبسته من شرارة ناره

حسن السيرة ، نقيّ السريرة ، حميد الشمائل ، كثير الفضائل .

أضاءت لنا أنوار مصباح وجهه دحى الليل حتّىٰ نظم الجرع باقيه

المنادي بصوت صيت ﴿ وآتيناه الحكم صبيّاً ﴾[1] والمخاطب بلساني ﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً ﴾[2] رافع ألوية الفضل ، هادم أندية الجهل ، مالك ممالك المجد والشرف ، سالك مسالك الفخر والشنف[3] .

شمس كان البدر فوق حسنه متهلّل بالأمن والاصباح
وإذا نزلت ببابه ورواقه فانزل بسعد وارتحل بنجاح

له في أقاليم الرفعة والعلوّ زمام البسط والقبض ، وفي أقطار القضاء والقدر يد الإبرام والنقض .

وفي أنف الزمان له زمام وفي كفّيه متناه الزمام

مروّج قواعد الشريعة الغرّاء ، ومشيّد مباني الطريقة البيضاء ، رافع أعلام العلماء إلىٰ عنان الوسيطة الخضراء ، خافض مقادير الرعاع الدهماء إلىٰ تخوم

---

(١) مريم : ١٢ .

(٢) مريم : ٣١ .

(٣) شنف شنفاً إليه : نظر إليه كالمعترض عليه أو كالمتعجّب منه .

البسيطة الغبراء ، من سرت سمعه مكارمه سير الأمثال في الأقطار ، وارتفعت أرومة معاليه ارتفاع الشمس رابعة النهار ، إذا رأيت شمائله سنّت منها معاني الأشراف ، وإذا تأمّلت خصائله توسّمت بها خصائل هاشم وعبد مناف .

فيا نسباً كالشمس أبيض واضحاً ويا شرفاً من هامة المجد أرفع

فريدة جريدة السلطنة والايالة ، قرّة عين الأبهّة والجلالة ، الموفّق المسدّد المظفّر المؤيّد ، صاحب الطالع الأسعد ، والرأي الأرشد ، والطريق الأحمد ، السلطان الجليل خان أحمد ، لا زالت آيات مكارمه مكتوبة بالنور على خدود حور الدهور ، ورايات معاديله مزيّنة بالظفر والحبور إلى يوم ينفخ في الصور ، ولا برح المجد ما يشاء بين برديه ، والكرم متمائلاً بين ثوبيه .

وهذا دعاء قد أُجيب ، وإنّما يريد به داعيه إظهار إخلاص ، لعلمي أنّه لا يضيع قدر شيء من تلك الفوائد جليلها وحقيرها ، ويقوم بواجب حقّ تلك الفرائد نقيرها وقطميرها ، فكان أحقّ بها وأهلها ، وأبو عذرها ومُحلّها ومَحلّها ، وعلمت أنّ العدول عن ذلك وضع الشيء في غير محلّه ، وهو ظلم كما قيل : لا تضعوا العلم في غير أهله فتظلموه ، ولا تمنعوه أهله فتظلموهم . نعم :

ومن منح الجهّال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وتلك المقاصد تبيّن بمراصد :

المرصد الأوّل

في المساواة فيما عدا النبوّة

يدلّ علىٰ ذلك وجوه :

الأوّل : من الكتاب قوله تعالىٰ ﴿ فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾[1] .

وجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة : انّه كما أراد بالأبناء الحسنين عليهما السلام وبالنساء فاطمة عليها السلام، أراد بالأنفس عليّاً عليه السلام، بلا خلاف من المفسّرين ممّن يعوّل علىٰ قوله .

والاتّحاد محال ، فلم يبق إلاّ الحمل علىٰ أقرب المجازات ، وهو المساواة فيما يمكن المساواة فيه ، خرجت النبوّة للدليل ، بقي الباقي بحاله .

ولو كابر مكابر ألزمناه بأنّه لم يكن من أهل العباء أحد سواهم ، والحسنان وفاطمة عليهم السلام غير مرادين بالأنفس اتّفاقاً ، فلم يبق : إمّا أن يكون المراد بها النبيّ ، أو علي عليهما الصلاة والسلام ، لا سبيل إلى الأوّل ، وإلاّ كان داعياً إلىٰ نفسه ، وهو بديهيّ البطلان ، فلم يبق أن يكون المراد إلاّ عليّاً عليه السلام، وهو المطلوب .

الثاني : من السنّة ، فمن ذلك : ما رواه إمام الفرقة طراز الرواة الثقات ناقد

---

(١) آل عمران : ٦١ .

الأخبار ، شيخ المحدّثين محمّد بن يعقوب الكليني في الكافي ، بالإسناد إلى المفضّل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث : جرىٰ له - يعني : لعلي عليه السلام - من الفضل ما جرىٰ لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ولرسول الله صلى الله عليه وآله الفضل علىٰ جميع من خلق الله[١] .

وفي الكافي أيضاً ، عن سعيد الأعرج وسليم بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام : جرىٰ له من الفضل ما جرىٰ لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ولرسول الله صلى الله عليه وآله الفضل علىٰ جميع من خلق الله[٢] .

وروىٰ فيه أيضاً عن أبي الصامت ، عن أبي جعفر عليه السلام : جرىٰ له من الطاعة والفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما لرسول الله صلى الله عليه وآله - إلىٰ أن قال : والمتفضّل عليه كالمتفضّل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله[٣] .

وانظر إلى المبالغة في التفضيل عليه إلىٰ أن ادّعىٰ في الحديث سراية ذنب المفضّل إلى المفضّل ، حتّىٰ جعله كالمتفضّل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكلّ ذلك نصّ في الباب لو كانوا يعقلون .

ومن ذلك : ما في أمالي الصدوق بالإسناد إلىٰ محمّد بن العيص[٤] بن المختار ، عن أبيه ، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو راكب ، وخرج علي عليه السلام وهو يمشي ، فقال له : يا أبا الحسن إمّا أن تركب وإمّا أن تنصرف ، فإنّ الله عزّوجلّ أمرني أن تركب إذا ركبت ، وتمشي إذا مشيت ، وتجلس إذا جلست ، إلاّ أن يكون حدّ محدود من

---

(١) أُصول الكافي ١ : ١٩٦ ح ١ .
(٢) أُصول الكافي ١ : ١٩٧ ح ٢ .
(٣) أُصول الكافي ١ : ١٩٨ ح ٣ .
(٤) في الأمالي : الفيض .

حدود الله ، لابدّ لك من القيام والقعود فيه ، وما أكرمني الله بكرامة إلاّ وقد أكرمك بمثلها ، وخصّني بالنبوّة والرسالة ، وجعلك وليّي في ذلك ، تقوم في حدوده ، وفي صعب أموره .

والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً ما آمن بي من أنكرك ، ولا أقرّ بي من جحدك ، ولا آمن بي[١] من كفر بك ، وإنّ فضلك لمن فضلي ، وإنّ فضلي لك لفضل الله ، وهو قول ربّي عزّوجلّ ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون ﴾[٢] وفضل الله نبوّة نبيّكم ، ورحمته ولاية علي بن أبي طالب ، قال : ﴿فبذلك﴾ بالنبوّة والولاية ﴿ فليفرحوا ﴾ يعني الشيعة ﴿ هو خير ممّا يجمعون﴾ يعني : مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدنيا .

والله يا علي ما خلقت إلاّ ليعبد ربّك ، ولتعرف بك معالم الدين ، ويصلح بك دارس السبل[٣] ، ولقد ضلّ من ضلّ عنك ، ولن يهتدي إلى الله من لم يهتد إليك وإلىٰ ولايتك ، وهو قول ربّي ﴿ وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدىٰ﴾[٤] يعني : إلىٰ ولايتك .

ولقد أمرني ربّي تبارك وتعالىٰ أن افترض من حقّك ما افترضه من حقّي ، وأنّ حقّك لمفروض علىٰ من آمن بي ، ولولاك لم يعرف حزب الله ، وبك يعرف عدوّ الله ، ومن لم يلقه بولايتك لم يلقه بشيء ، ولقد أنزل الله عزّوجلّ إليّ ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك ﴾ يعني : في ولايتك يا علي ﴿ وان لم تفعل فما

---

(١) في الأمالي : بالله .

(٢) يونس : ٥٨ .

(٣) في الأمالي : السبيل .

(٤) طه : ٨٢ .

بلّغت رسالته ﴾[١] ولو لم أبلّغ ما أُمرت به من ولايتك لحبط عملي، ومن لقي الله عزّوجلّ بغير ولايتك، فقد حبط عمله وعد منجز لي وما أقول إلاّ قول ربّي تبارك وتعالىٰ، وإنّ الذي أقول لمن الله عزّوجلّ أنزله فيك[٢].

وفي الحديث أطراف ينبغي أن تلحظ بعين الانصاف:

الأوّل: تسوية النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بنفسه، ولهذا خيّره بين الركوب أو الانصراف، وأنّ الله أمره بذلك بأن يكون في حالة أدون من حالته صلى الله عليه وآله، بل يركب إذا ركب، ويمشي إذا مشي، ويجلس إذا جلس، وأن لا يخل بذلك الالتزام إلاّ في موضع يتوقّف حدّ من حدود الله علىٰ شيء من ذلك.

الثاني: أنّ الله ما أكرم النبيّ صلى الله عليه وآله بكرامة إلاّ وقد أكرمه بمثلها، و «ما» من أدوات العموم، وتخصيص النبوّة والرسالة أقوىٰ مؤيّد؛ لأنّه من أُمّته، ومع ذلك فقد جعله وليّه فيهما.

الثالث: أنّ الإيمان بكلّ منهما مقرون بالآخر كالكفر، وقد أيّده بالقسم.

الرابع: أنّ فضله من فضله، وفضله فضل الله.

الخامس: أنّ شيعته فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو النبوّة، ورحمته وهي الولاية، وأنّ الدين لهم والدنيا لمخالفيهم.

السادس: القسم بالله أنّه ما خلق إلاّ ليعبد الله به، وليصلح به دارس السبل، وليعرف به معالم الدين.

السابع: أنّ من ضلّ عنه ضلّ، ومن لم يهتد إلىٰ ولايته لم يهتد إلى الله.

الثامن: إخباره أنّه مأمور من قبله تعالىٰ بأن يفترض له من حقّه ما افترض من حقّه.

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص ٥٨٣ - ٥٨٤ برقم: ٨٠٣.

التاسع : أنّ لولاه لم يعرف حزب الله .

ويؤيّده ما رواه ابن المغازلي من عدّة طرق بأسانيدها أنّ النبيّ ﷺ قال لعلي : لولاك ما عرف المؤمنون بعدي[١] .

العاشر : أنّ به يعرف عدوّ الله أيضاً .

وفي مسند أحمد بن حنبل : عن أبي الزبير ، قال : قلت لجابر : كيف كان علي بن أبي طالب فيكم ؟ قال : ذلك من خير البشر ، ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغضهم إيّاه[٢] .

الثالث : الاجماع من الطائفة المحقّة ، فإنّا لا نعلم منها مخالفاً في ذلك ، بل من العامّة كما سيجيء .

يدلّ علىٰ ذلك ما قال ثقة الاسلام الطبرسي في أسرار الإمامة[٣] : وأجمع

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٧٠ برقم : ١٠١ .

(٢) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ : ٦٧١ برقم : ١١٤٦ .

(٣) قال المحقّق الطهراني في الذريعة ٢ : ٤١ : أسرار الامامة لأمين الاسلام المفسّر الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب التفاسير الثلاثة المتوفّىٰ سنة ٥٤٨ ، نسبه إليه السيّد حسين بن الحسن الموسوي المعروف بالسيّد حسين المجتهد الكركي المتوفّىٰ بأردبيل سنة ١٠٠١ في كتابه دفع المناواة ، وينقل عنه بعنوان قال ثقة الاسلام أمين المذهب الطبرسي في أسرار الامامة ، ويعبّر عنه تارة بأسرار الأئمّة ، وأُخرىٰ بالأسرار كما قاله في الرياض .

وقال فيه ما ملخّصه : إنّ الظاهر اتّحاد الجميع ، ويحتمل تعدّدهما ، والظاهر أنّ نسبته إلىٰ أمين الاسلام اشتباه نشأ من اشتراكه مع عماد الدين الحسن بن علي صاحب أسرار الامامة في اطلاق الطبرسي عليهما : إلاّ أن يكون أسرار الامامة الذي هو لأمين الاسلام الطبرسي غير هذا الموجود عندنا نسخه ، فإنّه لعماد الدين الطبرسي ، بدلالة تأريخه وما يلوح من أوّله وأثنائه .

واحتمل بعض العلماء أنّ يكون أسرار الامامة المؤرّخ للشيخ عماد الدين المذكور كما

الناس أنّ المراد بالنساء فاطمة ، وبالأبناء الحسن والحسين عليهما السلام .

ثمّ قال : إن قيل : لم لا يجوز أن يكون المراد بالنفس نفس الرسول ؟

الجواب : هذا باطل من وجوه :

الأوّل : أنّها جاءت بالواو ، وهو للمغايرة .

الثاني : أنّه فصّل بين أنفسنا وندع ، ولا يجوز الفصل بين الشيء ونفسه بأجنبيّ .

الثالث : أن يكون الداعي والمدعوّ شيء واحد .

الرابع : أنّه يؤدّي إلى العبث ؛ لأنّ دعاء الرجل نفسه محال ؛ إذ لا فائدة له .

الخامس : لو تصوّر أنّ النفس نفسه تصوّر أنّ الأبناء والنساء غير ما اتّفق عليه المفسّرون .

السادس : أنّه عطف الشيء على نفسه .

وقال الفاضل المقداد في شرح رسالة العلاّمة : أمّا أنّه مساوٍ له ، فلقوله تعالى في آية المباهلة ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ والمراد بأنفسنا هو علي عليه السلام ؛ لما ثبت بالنقل الصحيح ، ولا شكّ أنّه ليس المراد به أنّ نفسه هي نفسه ؛ لبطلان الاتّحاد ، فيكون المراد أنّه مثله ومساويه[1]

وقال بعض الفضلاء في شرحها أيضاً : فجعله الله تعالى نفس الرسول ، وحيث

مرّ ، ويكون تأليف أمين الاسلام الطبرسي هو أسرار الأئمّة ، كما قد يعبّر عنه كذلك أيضاً السيّد حسين المجتهد الكركي عند النقل عنه انتهى ما لخّصناه عن الرياض في ترجمة الشيخ أمين الاسلام الطبرسي .

أقول : وقوع الاشتباه وان كان ممكناً ، لكن ظهور اخبار أهل الاطّلاع بأنّه رآه ونقل عنه في وجوده عنده واقعاً وإن لم نطّلع عليه لا يرفع بمجرّد الاحتمال انتهى .

أقول : والصحيح أنّ الكتاب لعماد الدين حسن بن علي الطبرسي ، وفرغ من تأليفه في أواخر عمره الشريف في سنة ٦٩٨ .

(١) النافع يوم الحشر في شرح باب الحادي عشر للفاضل المقداد ص ٤٥ طبع مشهد .

امتنع أن يكون هو هو بعينه لاستحالة الاتّحاد ، يكون المراد المساوي له فيما يمكن فيه المساواة ، كالعصمة وغيرها سوى النبوّة[١] .

وقال الفاضل المقداد في لوامعه : ومن المحال أن تكون نفس علي عليه السلام هي نفس النبيّ صلى الله عليه وآله حقيقة ، فبقي أن يكون المراد المثليّة ، والمثليّة هي التساوي ، والمتساويان - كما عرفت - هما اللذان يسدّ أحدهما مسدّ صاحبه ، فيقتضي ذلك أنّ كلّما حصل للنبيّ صلى الله عليه وآله من الفضائل ، فمثله حاصل لعلي عليه السلام إلاّ ما أخرجه الدليل ، فيبقىٰ عامّاً فيما سواه .

ثمّ قال : إن قلت : لم لا يجوز أن يكون المراد بالنفس هو رسول الله صلى الله عليه وآله ليكون اللفظ مستعملاً في حقيقته ؟ لأنّ ما ذكرتموه مجاز خلاف الأصل ، وصيغة الجمع لا تنافي ما ذكرناه ؛ إذ المعظم يعبّر عن نفسه بالجمع ، كنحن نقصّ عليك .

قلت : أوّلاً هذا خلاف الظاهر ، ولا يصار إليه إلاّ بدليل ، خصوصاً وقد ثبت أنّ المفسّرين نقلوا ذلك[٢] .

وثانياً : يلزم أن يكون الداعي والمدعوّ واحد ، وهو باطل[٣] .

أقول : بمثل هذا أجاب الرضا عليه السلام ، كما نقل المرتضىٰ علم الهدىٰ في الفصول المختارة من العيون والمحاسن ، لشيخنا الأعظم الإمام الشيخ المفيد قدّس الله روحيهما عنه ، أنّ المأمون قال للرضا عليه السلام : أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يدلّ عليها القرآن ؟ فقال له الرضا عليه السلام : فضيلته في المباهلة ، قال الله جلّ جلاله ، ثمّ تلا الآية ، ثمّ قال عليه السلام : فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه ، ودعا فاطمة صلوات الله عليها وعلى أبيها

---

(١) لم أعثر علىٰ هذا الشرح .

(٢) جاء في هامش الأصل : نقلوا عدم ذلك .

(٣) اللوامع الالٰهيّة في المباحث الكلاميّة ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

وبعلها وبنيها ، فكانت في هذا الموضع نساءه ، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه عليه السلام بحكم الله عزّوجلّ ، وقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق الله أجلّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضل ، فوجب أن لا يوجد أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم الله عزّوجلّ .

قال : فقال له المأمون : أليس قد ذكر الله تعالى الأبناء بلفظ الجمع وذكر النساء بلفظ الجمع ؟ وإنّما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنيه وحدها ، فلم لا جاز أن يكون يذكر الدعاء لمن هو نفسه ، ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره ، فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل ؟

قال : فقال له الرضا عليه السلام : ليس يصحّ ما ذكرت يا أمير المؤمنين ، وذلك أنّ الداعي إنّما يكون داعياً لغيره ، كما أنّ الآمر يكون آمراً لغيره ، ولا يصحّ أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة ، كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة ، وإذا لم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً في المباهلة إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد ثبت أنّه نفسه التي عناها الله سبحانه في كتابه ، وجعل حكمه ذلك في تنزيله .

قال : فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال[1] .

وفي أمالي الصدوق من احتجاج الرضا عليه السلام بمحضر من المأمون مع علماء ذلك الزمان : فهل تدرون ما معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ قالت العلماء : عنىٰ به نفسه ، فقال أبو الحسن عليه السلام : غلطتم إنّما عنىٰ بها عليّاً عليه السلام ، ثمّ قال عليه السلام : وممّا يدلّ علىٰ قوله صلى الله عليه وآله « لينتهنّ بنوا وليعة أو لأرسلنّ عليهم رجلاً كنفسي » يعني علي بن أبي طالب ، فهذه خصوصيّة لا يتقدّمه فيها أحد ، وفضل لا يلحقه فيه بشر ، وشرف لا يسبقه إليه خلق أن جعل نفس علي كنفسه[2] انتهى كلامه صلّى

---

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن ص ١٧ - ١٨ طبع النجف .

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص ٦١٨ برقم : ٨٤٣ .

الله عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام من احتجاج لموسى عليه السلام بمحضر من الرشيد بعد إيراد الآية: ولم يدع أحد أنّه أدخل مع النبيّ صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند المباهلة للنصارىٰ إلاّ علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين، فكان تأويل قوله تعالىٰ ﴿ أبناءنا ﴾ الحسن والحسين ﴿ ونساءنا ﴾ فاطمة ﴿ وأنفسنا ﴾ علي بن أبي طالب[١].

وقال آية الله العلاّمة في منهاج الكرامة في قوله تعالىٰ ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾: وهذه الآية أدلّ دليل علىٰ ثبوت الإمامة لعلي بن أبي طالب؛ لأنّه تعالىٰ قد جعله نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، والاتّحاد محال، فيبقى المراد المساوي له، وله الولاية العامّة فكذا المساواة[٢].

وقال في نهج الحقّ وكشف الصدق: وأنفسنا إشارة إلىٰ علي عليه السلام، فجعله نفس محمّد صلى الله عليه وآله، والمراد المساوي، ومساوي الأكمل الأولىٰ بالتصرّف أكمل وأولىٰ، وهذه الآية أدلّ دليل علىٰ علوّ رتبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه تعالىٰ حكم له بالمساواة لنفس الرسول[٣].

وقال في تسليك النفس إلىٰ حظيرة القدس: ولإجماع المفسّرين علىٰ أنّ المراد بقوله تعالىٰ ﴿ وأنفسنا ﴾ علي عليه السلام، والاتّحاد محال، والمراد المساوي[٤].

وقال في كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: واتّفق المفسّرون كافّة علىٰ أنّ الأبناء إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السلام، والنساء إشارة إلى فاطمة عليها السلام،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٨٥ ح ٩.

(٢) منهاج الكرامة، البرهان التاسع، ذيل الآية الشريفة.

(٣) نهج الحقّ وكشف الصدق ص ١٧٧ - ١٧٩.

(٤) تسليك النفس للعلاّمة الحلّي، لم أعثر عليه.

والأنفس إشارة إلىٰ علي عليه السلام. ولا يمكن أن يقال : إنّ نفسيهما واحدة ، فلم يبق المراد من ذلك إلاّ المساوي[١] .

وقال الثقة الجليل علي بن عيسىٰ : وإنّ الله تعالىٰ أبان أنّ عليّاً نفس النبيّ صلى الله عليه وآله كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل ، ومساواته النبيّ صلى الله عليه وآله في الكمال[٢] .

وقال في كتاب لم يحضرني الآن ، وعهدي به من اثني عشر سنة ، وأظنّه الثاقب في المناقب : وحيث جعله تعالىٰ نفس الرسول صلى الله عليه وآله والاتّحاد محال ، حمل علىٰ أقرب المجازات ، وهو المساواة للنبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ شيء ماعدا النبوّة ، ممّا أخرجه الدليل أقوىٰ[٣] .

أقول : وقد قال الشهيد في قواعده : قاعدة ، وهي أنّه إذا حكم الشارع باتّحاد شيئين لا يمكن فيهما الاتّحاد ، وجب الحمل على المماثلة والمساواة[٤] .

قلت : أراد بحكم الشارع باتّحادهما ، حمل أحدهما على الآخر ، كقوله صلى الله عليه وآله «الطواف صلاة»[٥] إلاّ في الكلام لا التنصيص على اتّحادهما ، يدلّ علىٰ ذلك تمثيله رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وآله « ذكاة الجنين ذكاة أُمّه »[٦] .

وقال الرئيس المحقّق جدّي في نفحات اللاهوت : ومن كان نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وجب أن يثبت له كلّ ما ثبت للنبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ ما دلّ علىٰ خروجه دليل ، وهو النبوّة لقوله تعالىٰ ﴿ وخاتم النبيّين ﴾ وقوله عليه السلام « لا نبيّ بعدي » ومن ذلك أولويّة

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ص ٣٨٥ .

(٢) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ١ : ٢٣٣ .

(٣) لم أعثر عليه في الثاقب في المناقب لابن حمزة .

(٤) القواعد والفوائد ٢ : ٣٠٩ قاعدة ٢٩٣ .

(٥) عوالي اللئالي ٢ : ١٦٧ ح ٣ .

(٦) القواعد والفوائد ٢ : ٣٠٩ قاعدة ٢٩٣ .

التصرّف في الخلق بعد النبيّ صلى الله عليه وآله[١].

وقال إمام الشافعيّة - وكان من زهّاد أهل زمانه وعبّادهم - في مطالب السؤول : قد نقل أنّ المراد بقوله تعالىٰ ﴿ وأنفسنا ﴾ هو علي ، ويمتنع أن تكون نفس علي هي نفس النبيّ بعينها ، فيكون المراد من الآية المشاركة[٢] بين نفسيهما، وهذا يقتضي أن تكون كلّ واحدة من النفسين متّصفة بمثل جنس صفات الأُخرىٰ ، وإلاّ لما حصل التشارك[٣] بينهما ، فتكون نفس علي متّصفة بمثل صفات النفس النبويّة الموصوفة بصفات الكمال جنساً ، لكن ترك العمل بذلك في صفة النبوّة ؛ لاختصاص النبيّ صلى الله عليه وآله بها ؛ لاستحالة وجودها في غيره ، فتبقىٰ صفة الفضيلة والعلم حاصلة لعلي عليه السلام ، إذ النفس المشاركة[٤] للنفس المتّصفة بالفضيلة والعلم متّصفة بذلك لا محالة .

وفي هذه الآية الشريفة من الاشارة إلىٰ هذه الفضيلة ما لو اقتصر عليها في حقّه لأشرق بها نور فضله ، وبرق منها موفور نبله ، وسمق بسببها مقرّ محلّه ، واندفق من وجوب تعظيمه هامر وبله[٥] .

قلت : ومنع مكابرٍ من أهل السنّة علىٰ سبيل الجدل لا يضرّ .

إن قلت بمجرّد عدم الاطّلاع علىٰ مخالف كيف يصحّ دعوى الاجماع ؟ وعدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدم الشيء .

قلت : قال الرئيس المحقّق جدّي ما مضمونه : إنّا بعد التتبّع الصادق لكلام

---

(١) نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت ص ٦١ .

(٢) في المصدر : المساواة .

(٣) في المصدر : التساوي .

(٤) في المصدر : المساوية .

(٥) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ١ : ١٠٥ - ١٠٦ .

الأصحاب الذين هم أهل الحلّ والعقد في كتبهم المختصّة بذلك الأمر من مظانّه، ولم نجد في كلام أحد منهم تصريحاً ولا تلويحاً بالمنع نحكم بالعدم لتبعهم لنقل الخلاف النادر في المسائل النادرة، وتصدّيهم لتوجيهه أو ردّه، فلو كان هناك شيء لتوفّرت الدواعي على نقله لا محالة.

إن قلت: غاية ما ذكرت أنّ الدليل على ذلك استقرائيّ، وهو لا يفيد إلاّ الظنّ.

قلت: غير التامّ، أمّا التامّ فإنّه يفيد اليقين، وعلى كلّ حال فالعمل على الاجماع المظنون ليس ببدع من الاستدلال، وأيضاً عند قيام الرجحان فلا يجوز العدول إلى المرجوح قطعاً.

أقول: وكما استخرجوا المماثلة من حمل أحدهما على الآخر في الكتاب، فقد استخرجوه في السنّة من المؤاخاة أيضاً، فكان مأخذ هذا الاجماع الكتاب والسنّة؛ إذ الاجماع لا يكون عن لا شيء، والمأخذان متواتران.

فمن ذلك في اللوامع: والمؤاخاة مظنّة المساواة في المنصب، بل هي المساواة بعينها، فيكون كلّ واحد منهما قائماً مقام الآخر[1].

قلت: حديث المؤاخاة من المتواترات، وقد ورد من طرق شتّى.

فمن كشف الغمّة: بالإسناد إلى ابن عمر، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة[2].

ومنه: وفي حديث عن علي بن الحسين عليه السلام: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأقرب الناس منّي موقفاً يوم القيامة.

ومنه: من حديث عن علي عليه السلام قاله على منبر الكوفة: إنّه كان من النبيّ صلى الله عليه وآله عشر خصال أحبّ عليّ ممّا طلعت عليه الشمس، قال النبيّ صلى الله عليه وآله لي: يا علي أنت

---

(١) اللوامع اللاهيّة ص ٣٣٢.

(٢) كشف الغمّة ١: ٣٢٩.

أخي في الدنيا والآخرة ، وأنت أقرب الخلائق إليّ يوم القيامة في الموقف بين يدي الجبّار[١] .

أقول : والحديثان يدلاّن علىٰ أفضليّته ؛ لاستحالة تقديم المفضول ، أو ترجيح المساوي ، ولا ريب في أنّ الأقربيّة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تقديم .

وروى الثقة الجليل علي بن عيسىٰ ، عن الدارقطني ، يرفعه إلى ابن عبّاس ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خير إخواني علي[٢] .

ومن كتاب المناقب مرفوعاً إلى ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أُمّ سلمة إسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، وسيّد المرسلين ، وعيبة علمي ، وبابي الذي أُوتي منه ، وأخي في الدنيا والآخرة ، وجاري في الآخرة ، ومعي في الرفيق الأعلىٰ[٣] .

وروىٰ ثقة الاسلام عن المصابيح أنّه قال صلى الله عليه وآله يوم المؤاخاة : يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة[٤] .

ومن مسند أحمد بن حنبل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مكتوب علىٰ باب الجنّة محمّد رسول الله ، علي أخو رسول الله قبل أن يخلق السماوات بألفي عام[٥] .

قال يحيى بن الحسن بن البطريق : قول النبيّ صلى الله عليه وآله « أنت أخي في الدنيا والآخرة » أراد بذلك غاية المدحة ونهاية المبالغة في علوّ المنزلة ؛ لأنّه صلى الله عليه وآله لمّا

---

(١) كشف الغمّة ١ : ٢٨٨ .

(٢) كشف الغمّة ١ : ٣٢٩ .

(٣) كشف الغمّة ١ : ٢٩٥ .

(٤) كشف الغمّة ١ : ٣٢٨ .

(٥) راجع مصادر الحديث : احقاق الحقّ ٤ : ١٩٩ - ٢٠٢ .

آخرٌ بين المرء[١] ونظيره لم يجد لعلي عليه السلام نظيراً غيره، ثمّ قال ما ملخّصه: فهو نظيره من وجوه:

نظيره في الأصل، بدليل شاهد النسب الصريح بينهما بلا ارتياب.

ونظيره في العصمة، بدليل قوله تعالىٰ ﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾[٢].

ونظيره في أنّه وليّ الأُمّة، بدليل قوله تعالىٰ ﴿ إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾[٣].

ونظيره في الأداء والتبليغ، بدليل الوحي الوارد يوم إعطاء براءة.

ونظيره في كونه مولى الأُمّة، بدليل قوله عليه السلام «من كنت مولاه فعلي مولاه».

ونظيره في مماثلة نفسيهما، وانّ نفسه قامت مقام نفسه صلى الله عليه وآله؛ لأنّ الله تعالىٰ جعله نفس الرسول، بدليل قوله تعالىٰ ﴿ فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾[٤] فجعل نفس علي عليه السلام نفسه؛ لأنّه تعالىٰ قال: ﴿ تعالوا ندع ﴾ والداعي لا يدعو نفسه وإنّما يدعو غيره، فثبت أنّ المراد بنفسه في الدعاء نفس علي عليه السلام، وبذلك ورد تفسير هذه الآية.

ونظيره في فتح بابه في المسجد، كفتح باب النبيّ صلى الله عليه وآله وجوازه في المسجد جنباً كجوازه جنباً كحال النبيّ على السواء.

فثبت المناظرة والمشابهة له بالنبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ ما استثناه صلى الله عليه وآله وهو النبوّة

---

(١) في العمدة: الرجل.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) المائدة: ٥٥.

(٤) آل عمران: ٦١.

بقوله صلى الله عليه وآله « لا نبيّ بعدي » فلذلك صحّ أن يجعله أخاه في الدنيا والآخرة بما ثبت له من المشابهة والمشاكلة في هذه المنازل ، ولمشاركته له عليه السلام في منزلته في الجنّة ممّا تضمّنته الأخبار[١] .

أقول : يدلّ علىٰ ما قاله ابن البطريق ما أورده هو بالإسناد إلىٰ حذيفة بن اليمان، قال : آخى النبيّ صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار ، وكان يؤاخي بين الرجل ونظيره ، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : هذا أخي ، قال حذيفة : فرسول الله صلى الله عليه وآله سيّد المرسلين ، وإمام المتّقين ، ورسول ربّ العالمين ، الذي ليس له في الأنام شبيه ولا نظير ، وعلي أخوه[٢] .

سل العدوّ والصديق وإنّما ... يعادي الفتىٰ أمثاله ويصادق

قال السيّد النقيب الورع المتهجّد المتفنّن المتبحّر شرف العترة جمال آل الرسول ، رضي الدين علي بن طاووس الحسني قدّس الله لطيفه في طرائفه ، بعد إيراد محبّة الله لعلي عليه السلام : ثمّ نظرت فإذا هذه المحبّة من النبيّ صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قد كانت عظيمة ، ووجدت أسبابها قديمة ، وانّ هذا بأمر إلٰهيّ وسرّ ربّاني ، والاتّحاد بين النبيّ صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام قد كان سابقاً ومستمرّاً وآنفاً .

ومن ذلك الأحاديث المتقدّمة في أوائل هذا الكتاب أنّهما كانا نوراً واحداً قبل خلق آدم عليه السلام . ورواه أيضاً بهذا المعنىٰ أحمد بن مردويه في كتاب المناقب من عدّة طرق .

ومن ذلك حديث المباهلة وانّه معينه . ومن ذلك حديث خيبر ، وانّه يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، في مقام أنّ من كان قد هرب لم يكن كذلك ؛ لأنّ الحديث ورد علىٰ هذه الواقعة .

---

(١) العمدة لابن البطريق ص ١٧٢ - ١٧٥ .

(٢) العمدة لابن البطريق ص ١٧١ .

ومن ذلك حديث الطائر ، وانّه أحبّ العباد إلى الله تعالى ، وأحبّهم إلى رسول‌الله صلى الله عليه وآله . وقد تقدّم وسيأتي من الأحاديث الدالّة على هذا الاتّحاد بين النبيّ وعلي عليه السلام ، والمحبّة الخالصة بينهما ما لم يبلغ إليه أحد[١] .

قال ثقة الاسلام الطبرسي في أسرار الامامة : آخى النبيّ صلى الله عليه وآله بين كلّ متجانسين من أصحابه ، كما آخى بين سلمان وأبي ذرّ ، وبين طلحة والزبير ، وبين المقداد وعمّار ، وبين أبي بكر وعمر ، وعثمان وعبد الرحمن بن عوف ، فتكلّم أبوبكر والعبّاس في علي ، فقال : ما أخّرته إلاّ لنفسي ، وآخاه مع نفسه . كما ورد في المصابيح وغيره من كتبهم[٢] .

وروى الصدوق في الأمالي مسنداً إلى ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله آخى بيني وبين علي بن أبي طالب ، وزوّجه ابنتي فوق سبع سماواته ، وأشهد على ذلك مقرّبي ملائكته ، وجعله وصيّاً وخليفة ، فعلي منّي وأنا منه ، محبّه محبّي ، ومبغضه مبغضي ، وانّ الملائكة لتتقرّب إلى الله بمحبّته[٣] .

أقول : قوله « منّي وأنا منه » ورد من طرق لا تحصى كثرة .

منها : ما رواه ثقة الاسلام في أسرار الامامة عن مصابيحهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : علي منّي وأنا من علي . وقال : يا علي أنت منّي وأنا منك . ورواه أحمد في مسنده من عدّة طرق[٤] ، ورواه ابن مردويه من طرق متعدّدة أيضاً ، ورواه البخاري في الجزء الرابع من صحيحه والخامس أيضاً[٥] ، ورواه في الجمع بين الصحاح الستّة

---

(١) الطرائف في معرفة المذاهب ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) أسرار الامامة ، لم أعثر على هذا الكتاب ، وتقدّم الكلام حوله .

(٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٨٧ برقم : ١٩٥ وص ٣٤٣ برقم : ٤١٠ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٦٥ و ٤٣٧ و ٥ : ٣٥٦ .

(٥) صحيح البخاري ٥ : ١٨ باب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ، و ٥ : ١٤١ باب عمرة

من عدّة طرق أيضاً، منها: عن أبي جنادة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: علي منّي وأنا من علي، لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو علي. ورواه ابن المغازلي من عدّة طرق[١]، وزاد في مدائحه[٢].

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام من احتجاج طويل لموسىٰ عليه السلام بمحضر الرشيد، يقول فيه: علىٰ أنّ العلماء قد اجتمعوا علىٰ أنّ جبرئيل قال يوم أُحد: يا محمّد إنّ هذه لهي المواساة من علي، قال: لأنّه هو منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله، ثمّ قال: لا فتىٰ إلاّ علي لا سيف إلاّ ذو الفقار، فكان كما مدح الله عزّوجلّ خليله عليه السلام إذ يقول: ﴿ فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ الحديث[٣].

قلت: وفرق بين إثبات النبوّة للشخص وبين إثباتها له ونفيها عمّا عداه.

قال كمال الدين بن طلحة في مطالب السؤول: قوله ﷺ لعلي «أنت منّي وأنا منك» و «علي منّي وأنا من علي» والكلام فيهما واحد.

وإيضاح معناهما وتبيين مقتضاهما: أنّ لفظة «من» موضوعة لمعان كثيرة، لكنّها في مثل هذا النمط من الكلام حقيقتها الجزئيّة، كقوله تعالى ﴿ خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾[٤] وقوله ﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخّار * وخلق الجانّ من مارج من نار ﴾[٥] وقوله ﷺ «فاطمة بضعة منّي» فحقيقتها في مثل هذا التركيب من القول الجزئيّة.

القضاء.

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٢٢١ - ٢٣٠.

(٢) أسرار الامامة - مخطوط.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٨٥ ح ٩.

(٤) الروم: ٢١.

(٥) الرحمٰن: ١٤ - ١٥.

ولهذه الجزئيّة لوازم ، فإنّ كون الشيء جزءً من الانسان كالولد والرأس والعين وسائر الأعضاء والأجزاء يلازمه أنّ ذلك الانسان بجهده يدفع عن جزئه الأذىٰ ، ويحميه من تطرّق المكاره إليه ، ويجتهد في حراسته ، وفي ايصال كلّ ما فيه نفعه إليه ، وفي حفظ صحّته ، هذا من لوازم حقيقته الجزئيّة ، وقد صرّح النبيّ صلى الله عليه وآله بهذه اللوازم لمّا قال : « فاطمة بضعة منّي يريبني ما يريبها ويؤذيني ما يؤذيها ».

فلمّا لم يكن إثبات الحقيقة تعيّن الحمل علىٰ لوازمها علىٰ ما علم من استعمال اللفظ في لوازم حقيقته ، وهاهنا الحقيقة غير مرادة لانتفائها ؛ لأنّ عليّاً ليس جزءً من ذات النبيّ صلى الله عليه وآله ولا النبيّ صلى الله عليه وآله جزءً من ذات علي عليه السلام ، فيكون المراد بهذا القول إثبات لوازم الحقيقة من إرادة حراسته عن المكاره ومدافعة الأذىٰ عنه ، والسعي في مصالحه ، وايصال المنافع إليه ، والاشفاق التامّ عليه ، وقد تقدّم تقرير ذلك في لوازم الأُخوّة في هذا الأمر ما يحكم لعليّ عليه السلام بعلوّ المرتبة ، ويسجّل له بسموّ المكانة والمنزلة[١] .

وقال في شرح صحيح مسلم : هذه تسمّىٰ بـ« من » الاتّصاليّة .

وقريب من ذلك ما أورده المفيد في إرشاده عنه صلى الله عليه وآله : حسين منّي وأنا من حسين[٢] .

قال الثقة الجليل علي بن عيسىٰ روّح الله روحه : ونقلت من مناقب الخوارزمي عن عبد خير ، عن علي عليه السلام ، قال : أُهدي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قنو موز ، فجعل يقشر الموزة ويجعلها في فمي ، فقال له قائل : يا رسول الله إنّك تحبّ عليّاً ؟ قال : أو ما علمت أنّ عليّاً منّي وأنا منه .

يدلّ علىٰ مكانة أمير المؤمنين عليه السلام ومنزلته ، وأنّه قد بلغ من الشرف والكمال

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ١ : ٩٧ - ٩٨ .

(٢) الارشاد ٢ : ١٢٧

إلىٰ أقصىٰ غايته ، وتسنّم من كاهل المجد أعلىٰ ذروته ، ورفعه رسول الله ﷺ بما أثبته من تنبيهه علىٰ محلّه منه ونسبته ، وبيان هذه الجملة التي أسفر مخباها ، وإيضاح هذه المنقبة التي تضوع عرفها ، وفاح ريّاها ، وكشف غطاء هذه الفضيلة التي اتّفق لفظها ومعناها أنّه لمّا قال ﷺ « سلمان منّا أهل البيت » حصل لسلمان رضي الله عنه بذلك شرف مدّ أطنابه ، ونصب علىٰ قمّة الجوزاء قبابه ، وفاق به أمثاله من الأصحاب وأضرابه .

ولمّا ذكر عليّاً وخصّه بـ«أنت منّي » سما به علىٰ تلك الرتبة ، وتجاوز به عن تلك المحلّة ، ولو اقتصر عليها كانت مع كونها متعالية عن رتبة سلمان رضي الله عنه قريبة منها .

فلمّا قال له : وأنا منك ، أتمّ المنفعة وكمّلها ، وزيّن سيرته بهذه الفريدة ، وجمّلها فإنّها عظيمة المحلّ ، ظاهرة الفضل ، يشهد بشرفه ومكانه ، ورجاحة فضله ، وثقل ميزانه ، وذلك لأنّها دلّت أنّ كلّ واحد منهما صلّى الله عليهما أصل للآخر ، ونازل منزلته ، وانّه لم يرض أن يقتصر له عليه السلام بأنّ عليّاً منه حتّىٰ جعل نفسه نفس علي صلّى الله عليهما .

وقد أورد ابن جرير الطبري وابن أثير الجزري في تأريخيهما أنّه ﷺ كان يقول لعلي عليه السلام في يوم أُحد ، وقد فرّ من الزحف من فرّ ، وقرّ مع النبيّ من قرّ : يا علي اكفني أمر هؤلاء اكفني أمر هؤلاء . إشارة إلى الكفّار ، وعلي عليه السلام يجالد بين يديه باذلاً نفسه دونه ، خائضاً غمرات الحرب في نصره ، صابراً علىٰ منازلة الأقران ، ومصاولة الشجعان ، ومقارعة صناديد العرب ، ومصارعة فرسان الجاهليّة بعزم لا ينثنىٰ ، وهمّة لا تنىٰ ، وبأس يذلّ مردة الطغيان ، ونجدة تقيّد شياطين الكفر في أشطان الذلّ والهوان ، فقال جبرئيل : يا محمّد هذه المؤاساة ، فقال : هو منّي وأنا منه ، فقال : وأنا منكما .

فانظر إلىٰ هذه الحال التي خصّ بها الامام عليه السلام ما أجلّها ، والمنزلة التي طلب جبرئيل أن ينالها ، ويتفيّأ ظلّها ، والحديث ذو شجون ، أي : يدخل بعضه في بعض[1] انتهى كلامه .

فمحمّد وعلي عليهما السلام في رتبة ، من أنّ كلاً منهما من الآخر وجبرئيل منهما ، وسلمان من أهل البيت ، فانظر وانصف ، وقال في موضع آخر :

أتاه المجد من هنّا وهنّا فكان له بمجتمع السيول

اتّصل بها من رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة يزيد علىٰ ايصاله ، واختصّ به ما رفعه علىٰ أصحابه وآله ، فلهذا جعل نفسه نفسه ، ونساءه نساءه ، وأبناءه أبناءه ، حين قدم النجرانيّون لمباهلته وجداله ، وكفىٰ بها مناقب سمت على النجوم الزاهرة ، ومراتب يغبطها أهل الدنيا والآخرة ، لا يدفعها إلاّ من يدفع الحقّ بعد ظهوره ، ولا ينكرها إلاّ من يدّعي أنّ الليل يغلب النهار بنوره .

فإن قلت : فعلىٰ ما تقرّر من المساواة فيما عدا النبوّة ، يلزم أن يشارك النبيّ في سائر ما عداها من الأحكام ، وذلك ينافي ما ذكره الفقهاء من خصوصيّات النبيّ صلى الله عليه وآله .

قلت : لا يلزم ذلك . أمّا أوّلاً : فلأنّه ليس المراد خروج النبوّة وحدها ، بل كلّما شاركها في الخروج لدليل ؛ إذ لم يحكم بخروجها إلاّ لمكان ورود الدليل ، ويكون إيرادها علىٰ سبيل التمثيل ، فأين وقع الدليل اطّرد حكم الخروج ، ومتى انتفىٰ انتفي ، ويكون تخصيصها بالذكر من حيث أنّ خروجها ضروريّ ، بخلاف غيرها .

وأمّا ثانياً : فخصوصيّات النبيّ صلى الله عليه وآله علىٰ ما ذكروه ليست كلّها ممّا لا يشاركه فيها غيره ، بل بعضها ممّا يشاركه سائر الأئمّة ، بل سائر بني هاشم ، بل سائر

---

(١) كشف الغمّة ١ : ٩٦ - ٩٧ .

الأئمّة.

فمن التحقيقات اصطفاء ما يختاره من الغنائم قبل القسمة، كجارية حسناء وثوب مرتفع، ويقال له: الصفيّ والصفيّة، فالامام كالنبيّ فيه.

ومنها إباحة أخذ الطعام والشراب من مالكها، وان كان المالك المضطرّ إليهما؛ لأنّ حفظ نفسه المقدّسة أحقّ من حفظ نفس غيره.

قال الرئيس المحقّق جدّي: وينبغي أن يكون الامام كذلك، كما يرشد إليه العقل.

ومنها إباحة أن يحمي لنفسه من الأرض ليرعي ماشيته، وكان حراماً على ما قبله من الأنبياء، وهو عندنا مشترك بين النبيّ والأئمّة عليهم السلام.

قال الرئيس المحقّق في شرح القواعد: وقول المصنّف في التذكرة «والأئمّة ليس لهم أن يحموا لأنفسهم» ليس بجار على مذهبنا[1].

ومن الكرامات أنّه من ورائه ينظر كأمامه، وتنام عيناه ولا ينام قلبه. وكتب الحديث مشحونة بأنّ هاتين الخصلتين من علامات الامام، وذلك أجلى من أن يخفى على متصفّحها.

ومنها: ما في ارشاد المفيد، عن محمّد بن الأقرع، قال: كتبت إليه أسأله عن الامام هل يحتلم؟ وقلت في نفسي: بعد ما فصل الكتاب شيطنة، وقد أعاذ الله تعالى أولياءه من ذلك. فردّ الجواب: الأئمّة حالهم في المنام حالهم في اليقظة، لا يغترّ النوم منهم شيئاً، وقد أعاذ الله أولياءه من لمّة الشيطان، كما حدّثتك به نفسك[2].

---

(١) جامع المقاصد ٧: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ١٥٧ ح ٢٨ عن كشف الغمّة والخرائج، والحديث غير موجود في ارشاد الشيخ المفيد.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام عن الرضا عليه السلام في حديث في علامات الامام منه : ويرىٰ من خلفه كما يرىٰ من بين يديه ، ثمّ قال : ولا يحتلم ، وتنام عينه ولا ينام قلبه[1] .

هذا ما يشاركه فيه الأئمّة عليهم السلام وحدهم . ومن التغليطات تحريم الصدقة ، فإنّ سائر بني هاشم مشاركون في ذلك .

ولذلك قال الرئيس المحقّق : ومشاركة أُولي القربىٰ إيّاه في تحريمهما لا يقدح في كونه من خصوصيّاته ؛ لأنّ التحريم عليهم بسببه والخاصّة عائدة إليه ، وقد قال صلى الله عليه وآله : إنّا أهل بيت لا يحلّ لنا الصدقة .

ومن التحقيقات إباحة الغنائم لنا وله ، وكانت حراماً علىٰ من قبله من الأنبياء ، وكانوا مأمورين بجمعها ، فينزل نار من السماء فتأكلها .

ومنها : إباحة جعل الأرض مسجداً والتراب طهوراً لنا وله أيضاً ، ولم يكن ذلك للأنبياء السابقين ، وإنّما كان لعباداتهم مواضع مخصوصة لا يتعبّدون في غيرها .

أقول : والقول في هذين كالقول في تحريم الصدقة في أنّ الخاصّة عائدة إليه ؛ لأنّهما بسببه صلى الله عليه وآله .

إن قلت : ففي ماعدا هذه المذكورات هل يشاركه على المساواة في جميع ماعدا النبوّة ، ولما في مناقب الفقيه ابن المغازلي الشافعي : روىٰ بإسناده إلىٰ نافع مولىٰ عمر ، قال : قلت لابن عمر : من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : ما أنت وذاك لا أُمّ لك ، ثمّ قال : أستغفر الله خيرهم بعده من كان يحلّ له ما يحلّ له ويحرم عليه ما يحرم عليه ، قلت : من هو ؟ قال : علي بن أبي طالب ، سدّ أبواب المسجد وترك باب علي ، وقال له : لك في هذا المسجد ما لي ، وعليك فيه ما عليّ ،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢١٣ ح ١ .

وأنت وارثي ووصيّي تقضي ديني وتنجز عداتي ، وتقتل علىٰ سنّتي ، كذب من زعم أنّه يبغضك ويحبّني[١] .

والدين - بالفتح والكسر - أم يفارقه في الباقي ؟

قلت : ظاهر قولهم « إلاّ في النبوّة » يفيد العموم في ماعداها ؛ لأنّ الاستثناء آية العموم ، إلاّ أنّ ظاهر عبارات القوم تأبىٰ ذلك ، وهو الظاهر . علىٰ أنّ الظاهر أنّ المراد من المساواة المساواة في الفضائل ، ومن هذه الخصوصيّات الباقية ما لا مدخل له في ذلك ، فلا يشاركه في حلّ التسع ونحوه .

ويعضد ذلك ما قاله الثقة الصدوق في شرح الشرائع ، حيث قال المصنّف في علّة حلّ التسع له صلى الله عليه وآله : وربّما كان الوجه الوثوق بعدله منهنّ دون غيره ليس الوثوق بعدله صلى الله عليه وآله علّة تامّة ، وإلاّ لسرت إلىٰ غيره ممّن يحصل الوثوق بعدله من كلّ واحد من الأئمّة عليهم السلام ، فلمّا لم يبح لهم ذلك باجماع المسلمين مع الوثوق بعدلهم ، ثبت أنّ الوثوق ليس علّة تامّة لتلك الاباحة ، وإنّما الوجه الاكرام والتفضيل من الله لنبيّه .

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٢٦١ برقم : ٣٠٩ .

المرصد الثاني[1]

في الأفضليّة على سائر الخلق سوى نبيّنا ﷺ

ويتّضح ذلك من طرق :

الأوّل

مساواته بالآية والرواية والاجماع لأفضل الأوّلين والآخرين

فيكون أفضل . أمّا الصغرىٰ ، فلما مرّ . وأمّا أفضليّة رسول الله ﷺ، فمسألة إجماع ، ويدلّ عليه بعد الاجماع وجوه ذكرها العلماء في مصنّفاتهم .

الثاني

انّه أكثر كمالات في القوّة العلميّة والعمليّة

فيكون أفضل ، أمّا الصغرىٰ فلوجوه :

أحدها : أنّ العلوم الفاشية عنه لا يصل إليها علم غيره من الأنبياء تحقيقاً وفائدة .

وثانيها : أنّ شريعته عامّة مؤيّدة ، فيكون أكثر نفعاً ، فيكون اتّباعه أكثر عدداً من اتّباع غيره .

وثالثها : أنّ أخلاقه أشرف من أخلاق غيره ؛ لورود التعبّدات في شرعه ، والأمر بمكارم الأخلاق فيه أكثر .

---

(١) وفي الأصل : المسلك الثاني ، وفي هامش الأصل : المرصد الثاني خ ل .

وأمّا الكبرى المضمرة ، فبيّنة ؛ إذ لا نعني بالأفضل إلاّ الأكثر كمالاً .

الثاني : قوله تعالىٰ ﴿ تلك الرسل فضّلنا بعضهم علىٰ بعض - إلىٰ قوله - نرفع بعضهم فوق بعض درجات ﴾[١] قال المفسّرون : المراد به نبيّنا صلى الله عليه وآله .

الثالث : قوله تعالىٰ بعد ذكر الأنبياء ﴿ أُولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾[٢] أمّا الاقتداء بهداهم المشترك بينهم توجب أن يأتي بكلّ ما أتىٰ به كلّ واحد منهم ، فنحصل علىٰ مثل كمالات جميعهم ، فيكون أفضل من كلّ واحد .

قلت : ويدلّ علىٰ ذلك ما رواه في الكافي ، عن أبي عبد الله عليه السلام : انّ الله عزّوجلّ لم يعط الأنبياء شيئاً إلاّ وقد أعطاه محمّداً صلى الله عليه وآله ، وقد أعطىٰ محمّداً جميع ما أعطى الأنبياء الحديث[٣] .

الرابع : قوله عليه السلام « أنا سيّد ولد آدم » .

الخامس : قوله عليه السلام « أنا أشرف البشر » .

السادس : قوله عليه السلام « محمّد وعلي خير البشر ، فمن أبىٰ فقد كفر » .

السابع : قوله عليه السلام « آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة » .

الثامن : ما في الحديث القدسي « لولاك لما خلقت الأفلاك » فيكون هو الغاية في خلق العالم ، فيكون غيره فرع عليه .

إن قلت : قد مدح المؤمنين بقوله تعالىٰ ﴿ لا نفرّق بين أحد من رسله ﴾[٤] ونحوها من الآيات ، وهل الحكم بالتفضيل إلاّ تفريق بينهم عليهم السلام ؟

قلت : التفريق الممدوحين ينفيه عنهم هو التفريق بينهم بإثبات الرسالة لبعضهم

---

(١) البقرة : ٢٥٣ .

(٢) الأنعام : ٩٠ .

(٣) أُصول الكافي ١ : ٢٢٥ ح ٥ .

(٤) البقرة : ٢٨٥ .

دون بعض ، يدلّ عليه أوّل الآية ، وإلاّ فالتفضيل له ﷺ أمر ضروريّ .

وأمّا الكبرىٰ ، فلمساواته لأفضل الأوّلين والآخرين ، ومساوي الأفضل أفضل، وإلاّ لم يكن المساوي مساوياً ، هذا خلف .

قال آية الله العلاّمة في كشف المراد - بعد الاستدلال بالآية على المساواة - : ولا شكّ في أنّ رسول الله ﷺ أفضل ، فمساويه كذلك[١] .

وقال في رسالته : ولأنّه أفضل ؛ لقوله تعالىٰ ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ ومساوي الأفضل أفضل[٢] .

وقال الفاضل المقداد في شرحها : وهو مساوٍ للنبيّ ، والنبيّ أفضل فكذا مساويه ، وإلاّ لم يكن مساوياً . أمّا أنّه مساوٍ له ، فلقوله تعالىٰ في آية المباهلة وقد نقلناه عنه . ثمّ قال : وإذا كان مساوياً له كان أفضل ، وهو المطلوب[٣] .

وقال بعض الفضلاء في شرحها أيضاً : وهو مساوٍ ، لقوله تعالىٰ ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ وقد أوردنا عنه . إلىٰ أن قال : والنبيّ أفضل الناس وفاقاً ، ومساوي الأفضل أفضل[٤] .

وقال الفاضل المقداد في لوامعه : علي أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، وهو مذهب معتزلة بغداد وعطاء ومجاهد من التابعين والشيعة كافّة قديماً وحديثاً .

ثمّ قال : الأوّل أنّه مساوىء الأفضل ، ومساوىء الأفضل أفضل . أمّا الأُولىٰ فلقوله تعالىٰ ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ واتّفق المفسّرون علىٰ أنّ المراد بالنساء فاطمة ، والأبناء الحسنان ،

---

(١) كشف المراد ص ٣٨٥ .

(٢) الباب الحادي عشر للعلاّمة ص ٤٤ المطبوع مع شرحه للسيوري .

(٣) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للفاضل المقداد السيوري ص ٤٥ .

(٤) مفتاح الباب لأبي الفتح بن مخدوم الحسيني ص ١٨٩ .

وبالأنفس هو علي ، وساق ما ذكرناه عنه من قوله ، ومن المحال أن تكون إلىٰ آخر كلامه .

ثمّ قال : وأمّا أنّ محمّداً ﷺ أفضل ، فهو ممّا لا شبهة فيه ، فيكون علي عليه السلام كذلك[1] انتهى .

إن قلت : ثبوت المساواة لا يقتضي كونها من كلّ وجه ليدخل فيه جميع ماعدا النبوّة .

قلت : أقرب المجازات الذي حمل عليه الاتّحاد هو ذلك ، فيكون من كلّ وجه إلاّ ما أخرجه الدليل ، ولهذا فرّع المحقّون من المحقّقين الاماميّة والأكمليّة اللتين هما بعض ما ثبت للنبيّ ﷺ وجه من كلّ منه لعلي عليه السلام .

إن قلت : مساواة علي للنبيّ ﷺ ليست في كلّ الصفات ، وإنّما هي في البعض، أعني : ماعدا النبوّة ، فلا يقتضي تلك المساواة أفضليّة علي عليه السلام علىٰ سائر النبيّين، إذ ليس بمعلوم أنّ أفضليّة النبيّ ﷺ عليهم من كلّ جهة نبوّة وغيرها ، فربّما لم يكن النبيّ ﷺ أفضل إلاّ بالمجموع لا بالجميع ، فلا يكون مع قطع النظر عن النبوّة أفضل ، فلا يكون لعلي بتلك المساواة أفضليّة ؛ لأنّها إنّما يقتضي الأفضليّة لو كان ما به المساواة مقتضياً لها .

ولئن سلّمنا ذلك ، فلا يلزم تفضيل علي عليه السلام عليهم إلاّ من بعض الوجوه ، أعني: ما سوى النبوّة لفقدانها فيه ، ولأنّ المساواة إنّما كانت فيما عداها ، فلا يكون علي عليه السلام حينئذ أفضل مطلقا ، والكلام إنّما هو فيه .

قلت : لا ريب في أفضليّته ﷺ علىٰ كلّ واحد من الأنبياء بكلّ واحدة من الفضائل ، وعلىٰ كلّ تقدير فمساواة علي عليه السلام له ﷺ علىٰ ما مرّ فيما سوى النبوّة

---

(١) اللوامع الإلهيّة ص ٣٢٩ .

الذي من جملته أفضليّته ﷺ مطلقا ، فيقتضي أفضليّة علي عليه السلام كذلك ، وإلاّ لم يكن المساوي مساوياً ، هذا خلف .

وغاية ما يتوهّم أنّ أفضليّة النبيّ ﷺ إنّما كانت مع تحقّق النبوّة ، فينتفي بانتفائها ؛ لأنّ منشأ الأفضليّة قد كان عدّة كمالات أحدها النبوّة ، والكلّ عدم عند عدم جزئه ، وعدم العلّة علّة العدم ، وهو ساقط عن درجة الاعتبار ؛ لأنّ الدليل قد دلّ على أفضليّته ﷺ عليهم عليهم السلام ، وهو أعمّ من أن يكون بجميع صفاته ، أو مجموعها ، أو بمجموع ماعدا النبوّة ، أو بجميعه ، أو للمساواة في البعض ، والرجحان في الباقي ، ولو لم يكن إلاّ خصلة واحدة ، والمساواة في الجميع والزيادة بخصلة واحدة .

وبالجملة فالمعتبر ما يتحقّق فيه الأكمليّة كمّاً وكيفاً ؛ لأنّ المصحّح للأفضليّة ذلك ، وهو لا يقتضي أن يكون علّة الأفضليّة بما يلاحظ معها النبوّة بكونها شطراً أو شرطاً لها ؛ لأنّ العام لا يدلّ على الخاصّ بأحد الدلالات الثلاث ، فمن أين يعلم مدخليّة النبوّة في الأفضليّة ، وربّما كانت عندها لا بها ؛ وحصر طريق الأفضليّة في ذلك تخصيص يحتاج إلى مخصّص ولم يثبت .

والتحقيق أن يقول : إنّه لو كان الدليل على الأفضليّة هنا لمّياً ثابتاً بها لاثبات عدّة وجوه يفضل محلّها على محلّ كمالات أُخر ينقص عنها من المفضّل عليه ، ويحقّق هناك في المفضّل عليه ماليس في المفضّل ، كنبوّة الأنبياء عليهم السلام المنتفية عن علي عليه السلام للزوم ذلك لفقدان المعلول ؛ لفقدان شطر علّته أو شرطها . فأمّا والدليل إنّي فلا ، فإنّ القول بثبوت علّة الأفضليّة هنا لثبوتها هي وقد قام المقتضي السالم عن المعارض عليه ، وهو دخولها تحت ماعدا النبوّة الثابت المساواة بثبوتها .

وإن قلت : على تقدير فرعيّة الأفضليّة بالنسبة إليه ﷺ على النبوّة ،

فاستثناؤها يقتضي استثناءها .

قلت : ذلك لا يقتضي اتّحادهما ، فهي أمر وراء كلّ تلك الكمالات المتفرّعة هي عليها ومغايرة لها ، فلا يلزم من نفس استثناء أحدها استثناؤها ، فيبقىٰ تحت المستثنىٰ منه .

وأيضاً فالمستثنىٰ عن علي عليه السلام إنّما هو النبوّة ، وهو لا يقتضي نفيها عن النبيّ صلى الله عليه وآله كيف ؟ وذلك كفر ، فثبت الأفضليّة له ، وذلك آية ثبوت مثلها لعلي عليه السلام ، وبعد قيام الدليل علىٰ ثبوتها ، فيكفي بيان امكانها ، وعلى المنازع اثبات امتناعها ، وأنّىٰ لهم التناوش من مكان بعيد .

وعلى تقدير مدخليّة النبوّة يمكن أن يكون هذه الأفضليّة ناشئة بالنسبة إليه صلى الله عليه وآله بعد ملاحظة النبوّة ، وفي علي عليه السلام بما يقوم مقامها ؛ لجواز أن يكون بعض أجزاء علّة الأفضليّة بما لا يتوقّف عليه تحقّقها بخصوصه لقيام غيره مقامه ، ويكون الموقوف عليه أحدهما لا بعينه ، ولم يكن خصوص شيء منهما شرط في التأثير ، فلا يكون لخصوص النبوّة مدخل في تحقّق تلك الأفضليّة .

وموجبها حينئذ أمر كلّيّ يتحقّق بحزئيّة النبوّة وما يقوم مقامها ، فلا ينحصر تماميّته في جزء شخصيّ هو النبوّة ، بل يكون بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله هو النبوّة ، وبالنسبة إلىٰ علي عليه السلام ما يقوم مقامها ، وهو ممكن الوقوع بالنظر إلىٰ علي عليه السلام الكافي في تصحيح الأفضليّة .

إن قلت : متىٰ ما كان لعلي عليه السلام جهة تقاوم النبوّة لتناوي النبيّ صلى الله عليه وآله فيفضل علىٰ من يفضل عليه النبيّ صلى الله عليه وآله وإلاّ لم يكن علي عليه السلام أفضل من باقي الأنبياء مطلقا ، وذلك يفضي إلىٰ أن لا يكون النبيّ صلى الله عليه وآله أفضل من علي عليه السلام ، وهو باطل اتّفاقاً .

قلت : لا يلزم من ذلك أن يكون لعلي عليه السلام كلّ ما للنبيّ صلى الله عليه وآله فيساويه ، بل

يكفيه مساواته فيما لابدّ منه في الأفضليّة ، وهو لا يقتضي أن يكون مساوياً له في الجميع ، فاللازم مساواة علي للنبيّ ﷺ فيما يفضل معه على الأنبياء عليهم السلام لمشاركته إيّاه في ماعدا النبوّة الذي منه الأفضليّة .

والحاصل أنّ الدليل قام على اختصاص النبيّ ﷺ بالنبوّة وأفضليّته عليه ، ومساواتهما في ماعدا النبوّة ، ومنه الأفضليّة ، فيفضل الأنبياء ، وإن اختصّوا بصفة لم يشاركهم فيها كالنبوّة .

إن قلت : بتقدير مدخليّة النبوّة في الأفضليّة ولزوم جهة لعلي عليه السلام يجبرها فيه لفقدانه إيّاها ، يقتضي أن يكون الأفضليّة بينهما على سبيل العموم والخصوص ، والاجماع واقع على أنّه ﷺ أفضل منه عليه السلام مطلقا .

قلت : أفضليّة علي عليه السلام لمساواته في ماعدا النبوّة لا يوجب الاحتياج إلى الالتزام بجهة يجبر جهة النبوّة في النبيّ ﷺ لامكان أفضليّته ﷺ في ماعداها .

وعلىٰ تقدير أن يكون مدخليّة النبوّة ثابتة ، والاحتياج إلىٰ ذلك لازم ، فاللازم التفاضل في خصوص بعض الفضائل والمزايا بينهما صلّى الله عليهما ، وهو لا ينافي الأفضليّة مطلقا ؛ لجواز كونهما بالنظر إلى المجموع من حيث المجموع ، فيكون لعلي عليه السلام ما يجبر جهة نبوّة الأنبياء ، وإن لم يصل إلىٰ جبرانها نبوّة النبيّ ﷺ .

إن قلت : قد تقرّر أفضليّة نوع النبوّة علىٰ نوع الامامة .

قلت : وإن كان ذلك كذلك ، لكن لا يقتضي أفضليّة كلّ فرد من أفراد النبوّة علىٰ كلّ فرد من أفراد الامامة ، كما في قوله تعالىٰ ﴿ وليس الذكر كالأُنثىٰ ﴾[1] فإنّ مريم أفضل من كثير من الرجال ، علىٰ أنّه لو كان الأمر كذلك ، فلا يقتضي إلاّ

---

(١) آل عمران : ٣٦ .

أفضليّة كلّ فرد من أفرادها على الأُخرىٰ لا كلّ شخص متّصف بها على المتّصف بالأُخرىٰ، كما في علي عليه السلام وآحاد أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام.

والحاصل أنّ الدليل قد قام علىٰ أفضليّة علي عليه السلام من عدا النبيّ صلى الله عليه وآله مطلقا، وأفضليّة النبيّ صلى الله عليه وآله علىٰ ماعداه مطلقا، وغاية ما يتصوّر أنّ عليّاً مساوياً للنبيّ صلى الله عليه وآله في ماعدا النبوّة وللأنبياء النبوّة، وليست فيه، فلابدّ لها من جهة تجبرها، وجبرانها بتلك الجهة جبران لجهة نبوّة النبيّ أيضاً، فيتساويان مطلقا.

فنقول: جهة جبران نبوّة غير النبيّ لا يقتضي جهة نبوّة النبيّ؛ لأنّه ربّما كان خصوصيّة الشخص لها مدخل، فيفارق نبوّة النبيّ نبوّتهم بزيادتها عليها، أو أنّ الفضائل التي هي سوى النبوّة التي ساوىٰ علي عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله فيها أفضل من جميع ما للأنبياء السابقين، وإن كانت لهم النبوّة التي ليست أعلىٰ من دون احتياج إلىٰ جبران لها، وإنّ ذلك يجبرها دون نبوّة النبيّ.

الثالث

ما مرّ من الأحاديث القاطعة بأنّه جرىٰ له من الفضل ما جرىٰ لرسول الله، ولرسول الله صلى الله عليه وآله الفضل علىٰ جميع من خلق الله.

الرابع

انّه خير البشر

فمن ذلك ما رواه ابن مردويه الثقة عندهم في كتابه، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن كامل، وأحمد بن عمرو بن السعيد الأحمسي، قالا: حدّثنا عبيد بن كثير العامري، قال: حدّثنا محمّد بن علي الصيرفي، قال: حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل اليشكري، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة، قال: قال

رسول الله ﷺ : علي خير البشر ، فمن أبىٰ فقد كفر[١] .

قال شمس الدين السمرقندي في صحائفه : روىٰ ابن مسعود أنّه ﷺ قال : علي خير البشر ، فمن أبىٰ فقد كفر[٢] .

ومن مناقب الحافظ أبي بكر أحمد بن مردويه : علي خير البشر ، فمن أبىٰ فقد كفر[٣] .

وفي التحفة ، عن ابن مسعود : علي خير البشر ، فمن أبىٰ فقد كفر[٤] .

وفي خطبة تفسير أبي بكر الشيرازي عنه ﷺ أنّه عليه السلام قال : علي خير البشر ، ومن أبىٰ فقد كفر[٥] .

وفي أمالي الصدوق ، عن عبد الله بن يونس ، عن النبي ﷺ قال : علي بن أبي طالب خير البشر ، ومن أبىٰ فقد كفر[٦] .

وفيها أيضاً ، عن التميمي ، قال : حدّثني سيّدي علي بن موسى الرضا عليهما السلام ، قال : حدّثني أبي موسىٰ ، قال : حدّثني أبي جعفر بن محمّد ، قال : حدّثني أبي محمّد بن علي ، قال : حدّثني أبي علي بن الحسين ، قال : حدّثني أبي الحسين بن علي ، قال : حدّثني أخي الحسن بن علي ، قال : حدّثني أبي علي بن أبي طالب عليهم السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا علي أنت خير البشر ، ولا يشكّ

---

(١) إحقاق الحقّ ٤ : ٢٥٤ عن المناقب المخطوط لابن مردويه .

(٢) لم أعثر علىٰ كتاب السمرقندي .

(٣) إحقاق الحقّ ٤ : ٢٥٤ عن المناقب المخطوط لابن مردويه .

(٤) لم أعثر علىٰ كتاب التحفة .

(٥) راجع مصادر الحديث : إحقاق الحقّ ٤ : ٢٥٤ - ٢٥٦ .

(٦) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٣٥ برقم : ١٣٢ .

فيك إلاّ كافر[١].

ومن المناقب، عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ قال: علي خير البشر، ولا يشكّ فيه إلاّ كافر[٢].

وفي اللوامع، عن ابن مسعود: علي خير البشر، ومن أبىٰ فقد كفر[٣].

وفي مؤلّف الطبرسي[٤]، عن جابر، عن رسول الله ﷺ قال: عليك بعلي بن أبي طالب، فإنّه خير البشر، فمن أبىٰ فقد كفر الحديث[٥].

وروىٰ في الأمالي مرفوعاً الى عبد الرحمٰن بن شريك، قال: حدّثنا أبي، عن الأعمش، عن عطاء، قال: سألته عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ذاك خير البشر، ولا يشكّ فيه إلاّ كافر[٦].

وعن حذيفة أنّه سئل عن علي عليه السلام، فقال: ذاك خير البشر، ولا يشكّ فيه إلاّ منافق[٧].

وفي أمالي الصدوق مرفوعاً إلى أبي الزبير المكّي، قال: رأيت جابراً متوكّئاً علىٰ عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم، وهو يقول: علي خير البشر، فمن أبىٰ فقد كفر، يا معشر الأنصار أدّبوا أولادكم علىٰ حبّ علي بن أبي طالب، فمن أبىٰ فانظروا في شأن أُمّه[٨].

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٣٦ برقم: ١٣٤.

(٢) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ٢٥٤.

(٣) اللوامع الالهيّة ص ٣٣٠ - ٣٣١.

(٤) ولعلّه هو كتابه أسرار الامامة.

(٥) لم أعثر علىٰ كتاب أسرار الامامة للطبرسي.

(٦) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٣٥ برقم: ١٣٠.

(٧) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٣٥ برقم: ١٣١.

(٨) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٣٦ برقم: ١٣٣.

ومن مناقب المجاهد ابن مردويه ، عن عطيّة بن سعد ، قال : دخلت علىٰ جابر وهو شيخ كبير ، فقلت : أخبرنا من هذا الرجل علي بن أبي طالب ، فرفع حاجبيه ، ثمّ قال : ذاك خير البشر[١] .

وفي منبع الغرر ومجمع الدرر لأبي فراس عبد الرحيم التميمي العنبري ، بالإسناد إلىٰ أبي وائل ، عن حذيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ : علي خير البشر ، من أبىٰ فقد كفر[٢] .

وفي أمالي الصدوق مسنداً إلىٰ زياد بن المنذر ، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام ، قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : إنّ رسول الله ﷺ كان ذات يوم في منزل أُمّ إبراهيم وعنده نفر من الأصحاب إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فلمّا بصر به النبيّ ﷺ ، قال : يا معشر الناس أقبل إليكم خير الناس بعدي وهو مولاكم ، طاعته مفروضة كطاعتي ، ومعصيته محرّمة كمعصيتي ، معاشر الناس أنا دار الحكمة وعلي مفتاحها ، ولن يوصل إلى الدار إلاّ بالمفتاح ، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً[٣] .

وروى الثقة الجليل علي بن عيسىٰ : أنّ عائشة سألت مسروق عن المخدّج ، فقال : قتله علي عليه السلام في موضع يقال له أعلاه : النهروان ، فقال : ائتني معك بمن يشهد ، فأتاها تسعين رجلاً - إلى قوله - شهدوا أنّ عليّاً قتله علىٰ نهر يقال لأسفله تامرّا وأعلاه النهروان بين أخافيق[٤] وطرفا ، فقالت : لعن الله عمرو بن العاص ، فإنّه كتب إليّ أنّه قتله علىٰ نيل مصر ، قال : فقلت : يا أُمّ المؤمنين أخبريني أيّ

---

(١) إحقاق الحقّ ٤ : ٢٤٩ .

(٢) لم أعثر علىٰ كتاب منبع الغرر ، ورواه الصدوق في أماليه ص ١٣٥ برقم : ١٣٢ .

(٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٣٤ برقم : ٥٧٤ .

(٤) هي الشقوق في الأرض .

شيء سمعت من النبيّ ﷺ يقول فيهم ؟ قالت : هم شرّ الخلق والخليقة ، يقتلهم خير الخلق والخليقة ، وأقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة[١] .

وبالإسناد عنه ، فقلت : يا أُمّ المؤمنين فأسألك بحقّ الله وبحقّ رسوله وحقّي عليك ألاّ أخبرتني ما سمعت من النبيّ ﷺ فيه ، قالت : إذا أنشدتني ، فإنّي سمعت النبيّ ﷺ يقول : هم شرّ الخلق والخليقة ، يقتلهم خير الخلق والخليقة ، وأقربهم عند الله وسيلة[٢] .

قال الفاضل علي بن عيسىٰ : المخدج وهو الناقص ، قال النبيّ ﷺ في حقّه : إنّ فيهم - يعني في الخوارج - له عضد ليس له ذراع ، عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض .

وقال الفاضل المقداد في اللوامع : الرابع قول النبيّ ﷺ في ذي الثدية : يقتله خير الخلق . ومعلوم أنّ قاتله هو علي عليه السلام[٣] .

وروى الثقة الجليل علي بن عيسىٰ مرفوعاً إلىٰ جابر بن عبد الله ، قال : كنّا عند رسول الله ﷺ ، فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال رسول الله ﷺ : أتاكم أخي ، ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده ، ثمّ قال : إنّه أوّلكم ايماناً معي ، وأوفاكم بعهد الله ، وأقواكم[٤] علىٰ أمر الله ، وأعدلكم بالرعيّة ، وأقسمكم بالسويّة ، وأعظمكم عند الله ، قال : فنزلت ﴿ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البريّة ﴾[٥] فكان أصحاب محمّد ﷺ إذا أقبل علي عليه السلام قالوا : قد جاء خير

---

(١) كشف الغمة ١ : ١٥٩

(٢) كشف الغمّة ١ : ١٦٠ .

(٣) اللوامع الالهيّة ص ٣٣٠ .

(٤) في الكشف : وأقومكم .

(٥) البيّنة : ٧ .

البريّة[١].

ومن مناقب الحافظ أبي بكر أحمد بن مردويه بالإسناد إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية ﴿ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البريّة ﴾ في علي بن أبي طالب[٢].

ومنه أيضاً عن حسن بن عبادة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خير من يمشي على الأرض بعدي علي بن أبي طالب[٣].

إن قلت : « بعدي » ظرف لـ« يمشي » فيكون المراد من مشىٰ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لا ظرف لاسم التفضيل ، أعني خير ، حتّىٰ يكون بمنزلة استثناء نفسه .

قلت : مع أنّ الظاهر خلاف ذلك ، إنّ المتبادر أنّ بعدي لاخراج نفسه صلى الله عليه وآله ؛ لأنّ البعديّة للرتبة ؛ إذ الكلام فيها من بيان الشرف والفضيلة لا للزمان ؛ لأنّ المقام يأباه.

وأيضاً فلا معنىٰ للتقييد بما بعد زمانه ؛ لأنّه أفضل من شيء في زمانه أيضاً سواه، فما وجه التقييد بما بعد زمانه .

وعلىٰ كلا التقديرين فعيسى بن مريم ممّن يمشي بعدي ، وهو أحد أُولي العزم ، فيفضل باقي الأنبياء بالطريق الأولىٰ ، وعلىٰ باقي أُولي العزم لعدم القائل بالفرق .

إن قلت : ذلك لا يتمّ إلاّ بعد أن يعلم أنّ « خير » إسم تفضيل ، والألف واللام في «البشر» للاستغراق ، والمقدّمتان ممنوعتان ، وسنده أنّ كلاًّ منهما ورد لمعانٍ ، فالتخصيص بهما يحتاج إلىٰ دليل .

قلت : لفظة « خير » إمّا مصدر أو صفة ، ويكون حينئذ لمعنيين ، أحدهما ما

---

(١) كشف الغمّة ١ : ١٥٢ – ١٥٣ .

(٢) راجع مصادر الحديث : إحقاق الحقّ ٣ : ٢٨٧ – ٢٩٢ .

(٣) راجع : إحقاق الحقّ ١٥ : ٢١٢ .

يلائم الطبع ، كخلق الحيوانات النافعة والأغذية اللذيذة ، والثاني ما اشتمل على مصلحة ، ويقابله الشرّ بالمعنيين ، والأقسام بأسرها غير متصوّرة هنا ، فلم يبق إلاّ أن يكون إسم تفضيل ، وأمّا الاستغراق ، فبالنظر إلى مدلول الاسم وحده حاصل ، ولمعونة المقام مستفاد أيضاً .

أمّا الأوّل ، فقد قال الشهيد في قواعده - بعد أن ذكر أنّ أداة التعريف بالنظر إلى متعلّقها من حيث هو هو وهو الحقيقة ، أو من حيث هو مستغرق لتمام ما يندرج تحته وهو الجنس ، أو من حيث هو جزئيّ خاصّ وهو العهد - : قرّر أنّه متى كان في الكلام معهود يمكن عود التعريف إليه تعيّن له ، وإن لم يكن معهوداً ولا قرينة عهد ، فالأصل أنّهما لاستغراق الجنس ؛ لأنّ الأعمّ أكثر فائدة ، فالحمل عليه أولى ، فإن تعذّر الجنس حمل على الحقيقة[1] .

ولا ريب أنّ حمل اللام هنا على الجنس ليس بمتعذّر ، والعهد وقرينته مفقودان ، صحّت صرفه إلى الجنس .

وأيضاً فإنّ ذلك إسم جنس صالح لكلّ واحد واحد من آحاده ، وصالح للكلّ فينافي الحمل على البعض ، فإمّا أن يحمل على معيّن أو مبهم ، والأوّل منتف ضرورة ؛ لعدم دلالة اللفظ على التعيّن ، فيؤدّي إلى التخصيص من غير مخصّص ، والثاني أيضاً ممتنع ، لما فيه من الاجمال وعدم الافادة ، فلم يبق غير الحمل على الجميع .

وأمّا بمعونة المقام ، فقال المحقّقون : المتبادر إلى الفهم من اسم الجنس المعرّف باللام في المقامات الخطابيّة والشايع في استعماله إنّما هو للاستغراق ، والمقام الخطابيّ أدلّ دليل وأعدل شاهد على الاستغراق .

---

(١) القواعد والفوائد ١ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

إن قلت : الاسم لا يدلّ إلاّ علىٰ مسمّاه ، واللام لا يفيد إلاّ التعريف ، فلا يتجاوز الحقيقة .

قلت : على ما ذكرناه عن الشهيد لا تأتي ذلك ، وإن سلّمناه فإن أردت أنّه ليس بمدلول اللفظ من حيث هو موضوع فمسلّم ، وإن أردت أنّه لا يستفاد بالوضع ولا بملاحظة الخارج ولو بمعونة المقام فيما لا يخفىٰ بطلانه .

إذا تقرّر ذلك ، فيلزم أن يكون أفضل الخليقة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ؛ لأنّ مفهوم الموافق حجّة ، وهو كون الحكم في المسكوت عنه أولىٰ منه في المنطوق ، وهو البيّنة بالأدنىٰ على الأعلىٰ ، كتحريم التأفيف على الضرب في قوله تعالىٰ ﴿ فلا تقل لهما أُفّ ﴾[1] إذ الدليل قام علىٰ أفضليّة الأنبياء على الملائكة ، وأفضليّته عليهم ، فيكون أفضل بطريق أولىٰ . وغير هذين النوعين من المخلوقات ممّن هو مقطوع بمفضوليّته .

الخامس
انّه خير الخلق

فمن ذلك : في مؤلّف الطبرسي أنّه صلى الله عليه وآله قال : علي بن أبي طالب خير من طلعت عليه الشمس ومن غربت[2] . وفي موضع آخر منه مثله[3] .

وروى المحقّق أبو القاسم جعفر بن سعيد قدّس الله لطيفه في مسلك الأفهام ، عن الأصبغ بن نباتة ، قال : خرج علينا أمير المؤمنين عليه السلام ويده في يد الحسن عليه السلام وهو يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ويده في يدي هكذا ، وهو يقول : خير جميع الخلق بعدي وسيّدهم أخي هذا ، وهو إمام كلّ مسلم ، ومولىٰ كلّ

---

(١) الاسراء : ٢٣ .

(٢) راجع : إحقاق الحقّ ٤ : ٢٥٠ .

(٣) أسرار الامامة للطبرسي ، لم أعثر عليه .

مؤمن الحديث[١].

ومن مسند أحمد بن حنبل، عن عبد الله بن عبّاس، قال: قرأت على رسول الله ﷺ سبعين سورة، وختمت القرآن على خير الناس علي بن أبي طالب[٢].

السادس

انّه أفضل الخلق

ففي أمالي الصدوق مرفوعاً إلى علي بن الحسين عليه السلام، قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّك لأفضل الخليقة بعدي[٣].

وروى الفاضل المقداد في لوامعه، عن ابن مسعود، قال رسول الله ﷺ: علي أفضل الخلق بعدي، وابناه سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما[٤].

وفي لوامع الأسرار، قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: يا معاشر الناس عليكم بخدمة من أكرمه الله بالاصطفاء، واختاره بالارتضاء، وجعله أفضل أهل الأرض والسماء. وعنى به عليّاً عليه السلام الحديث بطوله[٥].

السابع

انّه أحبّ الخلق إلى الله

فمن ذلك: ما رواه كمال الدين بن طلحة في مطالب السؤول عنه ﷺ أنّه قال

---

(١) مسلك الأفهام للمحقّق الحلّي، لم أعثر عليه.

(٢) راجع: إحقاق الحقّ ٤: ٢٥٣.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ٦٢ برقم: ٢٤.

(٤) اللوامع الالهيّة ص ٣٥٢.

(٥) لوامع الأسرار لم أعثر عليه.

- وقد حضر إليه طائر ليأكله - : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير ، فجاء علي عليه السلام فأكل معه منه ، وكان أنس حاضراً ، وكان قد اطّلع بنور النبوّة على أنّ علياً عليه السلام ممّن يحبّه الله تعالىٰ ، وأراد أن يتحقّق الناس ثبوت هذه المنقبة السنيّة ، والصفة العليّة التي هي أعلىٰ درجات المتّقين لعلي عليه السلام ، ولمّا كانت صفة معيّنة معنويّة لا تدرك بالعيان إلاّ بصفة محسوسة تدرك بالأبصار ، هي إتيانه إليه وأكله معه ، وزيادة الأحبّية على أصل المحبّة .

وفي ذلك دلالة واضحة علىٰ علوّ مكانه عليه السلام ، وارتفاع درجته ، وسموّ منزلته ، واتّصافه بكون الله تعالىٰ يحبّه ، وأنّه عليه السلام أحبّ خلقه إليه[1] .

وقال الفاضل المقداد في لوامعه : خبر الطائر ، وهو قوله صلى الله عليه وآله « اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر » فجاء علي عليه السلام ، والخبر مشهور متواتر ، ومعلوم أنّ المحبّة هي كثرة الثواب التي هي عبارة عن الأفضليّة ، فمن كان أحبّ فهو أفضل .

لا يقال : لفظة « أحبّ » ليست ناصّة[2] على العموم ، إذ يحتمل أن يكون أحبّ في كلّ الأُمور وفي بعضه ، فلا يكون دليلاً على الأفضليّة .

لأنّا نقول : هذا باطل ؛ لأنّه خلاف الظاهر ، فإنّ قوله « أحبّ خلقك إليك » يقتضي العموم لمكان الاضافة ، فجرىٰ مجرىٰ قولنا زيد أفضل الناس ، فإنّه يقتضي العموم[3] .

وقال المحقّق أبو القاسم في مسلك الأفهام : قوله عليه السلام : اللهمّ ائتني بأحبّ

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ١ : ٧٦ - ٧٧ . وخبر حديث الطير من الأخبار المتواترة بين الفريقين ، رواه جمع من أعلام القوم ، راجع : إحقاق الحقّ ٥ : ٣١٨ - ٣٦٨ .

(٢) في اللوامع : باقية .

(٣) اللوامع الالٰهيّة ص ٣٣٠ .

خلقك عليك يأكل معي من هذا الطائر .

لايقال : هذا خبر واحد وأنتم لا تعملون بالآحاد ، سلّمنا لكن لفظه مطلق يصدق بالكلّ والجزء ، فلعلّه أحبّ إليه في شيء دون شيء . سلّمنا شموله لكن غايته أنّ النبيّ ﷺ دعا ، فمن أين تجب على الله الاجابة ؟ لكن ما المانع أن يكون سأل الاتيان بأحبّ الخلق مطلقا : إمّا في ذلك المقام ، أو في غيره ، أو في غير ذلك الطعام .

لأنّه نقول : في أنّه خبر واحد لا ريب ، لكنّه من الأخبار التي اشتهرت بين الناقلين ، وإذا بلغ الخبر هذا المبلغ خرج عن حكم الآحاد إلىٰ وجوب العمل به والانقياد إلىٰ مضمونه .

قوله « لفظه مطلق » قلنا : هذا حقّ لكن المطلق يفيد الماهيّة ، فإذا أُضيفت اقتضى تعليق الحكم بتلك الماهيّة لا باعتبار قيد زائد .

قوله « دعا فمن أين الاجابة » قلنا : إجماع المسلمين علىٰ أنّه مجاب الدعوة .

قوله « لم لا يجوز أن يكون أتىٰ من هو أحبّ الخلق قبل علي أو بعده » قلنا : قول الناقلين أتىٰ علي عليه السلام دليل علىٰ أنّه هو المراد ، ولم ينقل مجيء غيره .

لا يقال : لا يثمر الظنّ .

لأنّا نقول : العدول عن الراجح لا يجوز قطعاً[1] .

وقال ثقة الاسلام الطبرسي في أسرار الأسرار[2] : روى المخالف منهم في نكت الفصول : أنّ أُمّ أيمن جاءت بطير مشويّ إلى النبيّ ﷺ فوضعه بين يديه ،

---

(١) مسلك الأفهام لم أعثر عليه .

(٢) العجب من المؤلّف ، تارة يعبّر عن هذا الكتاب بأسرار الامامة ، وأُخرىٰ بأسرار الأئمّة ، وأُخرىٰ كما هنا بأسرار الأسرار ، وأُخرىٰ بعناوين أُخر ، هذا كلّه مع التأمّل في نسبة الكتاب إلىٰ ثقة الاسلام الطبرسي صاحب التفسير .

وقال : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي من هذا الطائر ، فحضر علي ثلاثاً وأنس يردّه بأنّ رسول الله ﷺ في حاجة ، فحاج النبيّ ﷺ قائلاً أُدخل يا علي ، فلمّا دخل قال : ما أبطأك يا علي ؟ قال : هذه ثالثة يردّني أنّ رسول الله ﷺ في حاجة، فقال : ما حملك علىٰ ما فعلت يا أنس ؟ قال : سمعت دعاك فأحببت أن يحضر رجل من قومي - يعني من الأنصار - فقال ﷺ : الرجل يحبّ قومه . وبسط هذه في نكته بسطاً وأحال إلى الصحاح .

وقال آية الله العلاّمة في كشف المراد في تجريد الاعتقاد أنّ النبيّ ﷺ أخبر في مواضع كثيرة ببيان فضله ، وزيادة كماله علىٰ غيره ، ونصّ علىٰ إمامته .

منها : ما ورد في خبر الطير ، وهو أنّه قال : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، فجاء علي عليه السلام فأكل معه . وفي رواية : اللهمّ أدخل إليّ أحبّ أهل الأرض إليك . رواه أنس ، وسعد بن أبي وقّاص ، وأبو رافع مولىٰ رسول الله ﷺ ، وابن عبّاس .

وعوّل أبو جعفر الاسكافي وأبو عبد الله البصري علىٰ هذا الحديث في أنّه أفضل من غيره ، وادّعىٰ أبو عبد الله شهرة هذا الحديث وظهوره بين الصحابة ، ولم ينكره أحد منهم ، فيكون متواتراً[1] انتهى بعبارته .

قال شارح الفصول المهمّة : خبر الطائر ، وهو أنّ النبيّ ﷺ أُهدي إليه طائر مشويّ، فقال : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك يأكل هذا الطائر . وفي رواية : اللهمّ أدخل إليّ أحبّ أهل الأرض إليك ، فجاء علي وأكل معه من ذلك الطائر ، وكان علي عليه السلام أحبّ الخلق إلىٰ من يأتي النبيّ ﷺ لا مطلقا حتّىٰ يكون أحبّ من النبيّ ﷺ فيكون أفضل الخلق بعده[2] انتهى عبارته .

---

(١) كشف المراد ص ٣٩٣ .

(٢) شرح الفصول المهمّة لم أعثر عليه .

ومن مناقب الخوارزمي عن ابن عبّاس ، قال : أُتي النبيّ ﷺ بطائر ، فقال : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك ، فجاء علي بن أبي طالب ، فقال : اللهمّ وإليه[١] .

ومنه عن أنس بن مالك ، قال : كان عند النبيّ ﷺ طير ، فقال : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، فجاء علي عليه السلام فأكل معه . أخرج أبوعيسىٰ هذا الحديث في جامعه ، وذكره النسائي في حديثه[٢] .

وروى الصدوق في أماليه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم بن هاشم ، عن أبي هدبة ، قال : رأيت أنس بن مالك معصوباً بعصابة ، فسألته عنها ، فقال : هذه دعوة علي بن أبي طالب ، قلت له : كيف كان ذلك ؟ قال : كنت خادماً لرسول الله ﷺ فأُهدي إليه طائر مشويّ ، فقال : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر ، فجاء علي عليه السلام فقلت له : رسول الله ﷺ عنك مشغول ، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي .

فرفع رسول الله ﷺ يده ثانية ، وقال : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر ، فجاء علي عليه السلام ، فقلت : رسول الله ﷺ عنك مشغول ، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي ، فرفع النبيّ ﷺ يده ثالثة ، فقال : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر ، فجاء علي عليه السلام ، فقلت : رسول الله ﷺ عنك مشغول .

فرفع علي عليه السلام بأعلىٰ صوته ، وقال : ما يشغل رسول الله ﷺ ؟ فقال : يا أنس من هذا ؟ فقلت : علي بن أبي طالب ، فقال : ائذن له ، فلمّا دخل قال له : يا علي إنّي دعوت الله عزوّجل ثلاث مرّات أن يأتيني بأحبّ خلقه إليه وإليّ يأكل معي من هذا الطائر ، ولو لم يجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك أن يأتيني بك .

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٠٧ برقم : ١١٣ .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٠٨ برقم : ١١٤ .

فقال علي عليه السلام : يا رسول الله إنّي قد جئت ثلاث مرّات كلّ ذلك يردّني أنس ويقول : رسول الله عنك مشغول ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أنس ما حملك على هذا ؟ فقلت : يا رسول الله سمعت الدعوة فأحببت أن يكون رجلاً من قومي .

فلمّا كان يوم الدار استشهدني علي عليه السلام فكتمته ، فقلت : إنّي نسيته ، فرفع علي عليه السلام يده إلى السماء ، فقال : اللهمّ ارم أنساً بشرّ بوضح[1] لا يستره من الناس، ثمّ كشف العصابة عن رأسه ، فقال : هذه دعوة علي ، هذه دعوة علي ، هذه دعوة علي[2] .

ورواه الفقيه ابن المغازلي من أكثر من ثلاثين طريقاً[3] .

قال خلاصة الدوحة الأحمديّة مولانا أحمد الأردبيلي : ومنها ما يدلّ على أنّ ذلك قد وقع في طائر آخر .

أقول : يؤيّد ذلك روايته إيّاه عن مسند أحمد يرفعه إلى سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ امرأة من الأنصار أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله طيرين بين رغيفين ، فقدّمت إليه الطيرين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإلى رسولك ، فجاء علي عليه السلام فرفع صوته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من هذا ؟ فقلت : علي ، قال : فافتح له ، ففتحت له ، فأكل مع النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى فنيا .

ثمّ قال قدّس الله روحه : وممّا يدلّ على أنّ هذا المعنى تكرّر في عدّة أطيار وعدّة مجالس ، ما رووه من غير هذا الطريق في الجمع بين الصحاح الستّة من الجزء الثالث ، ومن صحيح أبي داود ، ثمّ ساقه عن أنس[4] .

---

(١) الوضح : البرص .

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص ٧٥٣ – ٧٥٤ برقم : ١٠١٢ .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ١٥٦ – ١٧٥ .

(٤) راجع : إحقاق الحقّ ٥ : ٣٦٠ – ٣٦٢ .

أقول : والدعاء من النبيّ ﷺ ثلاثاً ، ومجيء علي عليه السلام بعد كلّ دعوة ، وقول النبيّ ﷺ « لو لم تجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك » نصّ صريح لا يأتيه التأويل من بين يديه ولا من خلفه ، في أنّ المراد بالأحبّ علي عليه السلام لا غير ، وهو مع ذلك يرشد إلىٰ قول ابن طلحة : إنّ غرض النبيّ ﷺ إنّما كان إظهار الأحبّيّة ، وإلاّ فمن أوّل الأمر كان يمكنه أن يدعو باسم علي عليه السلام.

وأمّا ردّ أنس لعلي عليه السلام إنّما كان كفراً وعناداً وبغضاً لعلي عليه السلام حتّىٰ ردّه ثلاثاً : إذ في الثالثة أيضاً ردّه ، ولمّا رفع صوته وسمعه النبيّ ﷺ وعرف صاحبه وأمره بإدخاله لم يبق له حيلة ، ولهذا رفع علي عليه السلام يده ودعا عليه بتلك الدعوة التي هتكت ستره .

وفي أحاديث أُخر عن أنس أيضاً أنّ سبب الدعوة شيئاً آخر غير ذلك .

وقال الثقة الجليل علي بن عيسىٰ : إنّ النبيّ ﷺ لمّا قسّم غنائم حنين ، جاء رجل أدم أحناء طوال - والأدمة : السمرة . ورجل أحناء وامرأة حيناء وحنوائيّ في ظهرها أُحديدب . والطوال بالضمّ الطويل ، فإذا أفرط قيل : طوّال بالتشديد - بين عينيه أثر السجود ، فسلّم ولم يخصّ النبيّ ﷺ ، ثمّ قال : قد رأيتك وما صنعت بهذه الغنائم ؟ فقال : وكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت في قسمتها ، فغضب النبيّ ﷺ وقال : ويلك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ فقال المسلمون : ألا نقتله ؟ فقال ﷺ : دعوه فإنّه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، يقتلهم الله علىٰ يدي أحبّ الخلق إليه من بعدي . فقتله علي عليه السلام في من قتله من الخوارج يوم النهروان[1] .

وفي مؤلّف الطبرسي عن أُمّ سلمة : أنّ النبيّ ﷺ قال : علي أحبّ إلى الله من

---

(١) كشف الغمّة ١ : ٢٢٥ - ٢٢٦

جميع ملائكة سبع سماوات ، وانّ الله ليباهي يوم القيامة بعلي أهل الجنّة ، ويدخل يومئذ فيه الأنبياء[١] .

نكتة في المحبّة :

قال الامام القدوة إبراهيم بن نوبخت قدّس الله نفسه الزكيّة في الياقوت : والمحبّة الإرادة ، لكنّها من الله إرادة الثواب ، ومنّا إرادة الطاعة .

قال آية الله العلاّمة في شرحه الموسوم بأنوار الملكوت : المحبّة في الإرادة لكنّها من الله تعالىٰ إرادة الثواب ، ومنّا في حقّه هي إرادة الطاعة ، وقد يطلق على معاني أُخر باشتراك الاسم ، وهي تصوّر كمال من لذّة أو منفعة أو مشابهة[٢] كمحبّة العاشق لمعشوقه ، والمنعم عليه لمنعمه ، والصديق لصديقه[٣] .

قال بعض الفضلاء المحقّقين : محبّة الله تخصيصه بإنعام مخصوص يكون سبباً لتقريبه وإزلافه من محال الطهارة والقدس ، وقطع شواغله عمّا سوى الله ، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ، ورفع الحجاب حتّىٰ يشاهده في جميع الأشياء ، ويشهد أنّ جميع الأشياء بالحقّ قائمة ، وأن لا وجود لشيء من الأشياء إلاّ من وجوده تبارك وتعالىٰ ، فيأخذ بالله ، ويعطي بالله ، ويحبّ لله ، ويبغض لله ، وهذا سرّ لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

ثمّ قال : وروى الثقات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر عن الله ، قال : لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّىٰ أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده الذي يبطش بها ، ورجله الذي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي

---

(١) أسرار الأمامة للطبرسي لم أعثر عليه .

(٢) في الأنوار : مشاكلة .

(٣) أنوار الملكوت في شرح الياقوت ص ١٣٧ و ١٣٩ .

يبصر، وبي يعطي، وبي يقوم، وبي يقعد الحديث[١].

وقال الرئيس المحقّق نصير الملّة والدين أفاض الله على تربته شآبيب الرضوان: لطيفة: المحبّة هي الابتهاج بحصول كمال، أو تخيّل وصول كمال مظنون، أو محقّق ثابت في المشعور به من كمال أو لذّة، ولمّا كانت اللذّة هي إدراك الملائم عنى نيل الكمال لم يخل المحبّة من لذّة أو تخيّل لذّة، وهي قابلة للشدّة والضعف، وأوّل مراتبها الارادة، فإنّ الارادة محبّة أيضاً، ثمّ يقاربها الشوق، ومع الوصول التامّ الذي ينتهي عنده الارادة والشوق يزداد المحبّة، ومادام أنّها يقارن طاب أمر باق كانت ثابتة.

والعشق هو المحبّة المفرطة، وربّما يتّخذ به الطالب والمطلوب وإن تغاير باعتبار آخر، فإذا انتفى الاعتبار انتفت المحبّة، فيكون آخر المحبّة والعشق الاتّحاد.

قالت الحكماء: إنّ المحبّة: إمّا فطريّة، أو كسبيّة. والمحبّة الفطريّة مركوزة في الكائنات كلّها، فإنّ في الفلك محبّة مقتضية لمكانه الطبيعي، وكذلك محبّته لنا في أحواله الطبيعيّة من الوضع والمقدار والفعل والانفعال، وفي المركّبات كالمغناطيس الجاذب للحديد، وأكثر منها في النبات بسبب حركة النموّ والاغتذاء، وتحصيل البذر وحفظ الزرع، وأكثر من النبات في الحيوان للألف والأُنس بالمشاركة والرغبة إلى التزاوج والشفقة على الوالد والولد وأبناء النوع.

وأمّا المحبّة التي أغلبها في نوع الانسان، فسببها أحد ثلاثة أشياء: اللذّة، وهي جسمانيّة وغير جسمانيّة، وغير الجسمانيّة: إمّا وهميّة، وإمّا حقيقيّة.

والثاني الشفقة، وهي: إمّا مجازيّة، وهي محبّة الأُمور الدنيويّة التي ينقرض،

---

(١) راجع: بحار الأنوار ٧٠: ٢٢.

أو حقيقيّة وهي بخلاف الدنيويّة .

والثالث مشاكلة الجوهر ، كما يكون بين شخصين متقاربين بالطبع والخلق ، يبتهج كلّ واحد بأخلاق الآخر وشمائله وأفعاله ، أو خاصّة بأهل الحقّ ، وهي طلب محبّته الكمال للكامل المطلق ، ويجوز أن يكون سبب المحبّة مركّباً من هذه الأسباب تركّباً ثنائيّاً أو ثلاثيّاً .

ويجوز أن يكون سبب المحبّة هو المعرفة لمحبّة العارف ، مع أنّ المنفعة واللذّة والخير كلّها تصل من الكامل المطلق إليه ، فتكون محبّته أبلغ من الجهات الأُخر ، ومن هنا يظهر معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿ والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله ﴾[1] .

وقال أهل الذوق : إنّ الرجاء والخشية والشوق والأُنس والانبساط والتوكّل والرضا والتسليم جميعها من لوازم المحبّة ، فمع تصوّر رقّة المحبوب يقتضي الرجاء ، ومع تصوّر هيبته يقتضي الخشية ، ومع عدم الوصول يقتضي الشوق ، ومع الوصول الأُنس ، ومع إفراط الأُنس يقتضي الانبساط ، ومع الثقة بعنايته يقتضي التوكّل ، ومع استحسان كلّ أثر صادر عن محبوبه وقدرته يقتضي التسليم ، إذا اعتقد أنّ محبوبه هو الحاكم المطلق ، والمحبّ المحكوم عليه المطلق .

والعشق الحقيقيّ ينتهي إلى الفناء ، فإنّ العاشق الحقيقيّ يجعل الوجود كلّه لمعشوقه ، ولا يجعل لنفسه وجوداً ، وكلّ ما سوى الله عند هذه المرتبة حجاب ، فينتهي غاية السير إلىٰ أن يعرض كلّ ما سواه ، ويتوجّه إليه بكلّه .

أقول : قوله « والعشق الحقيقيّ ينتهي ... » إلىٰ آخره سرّ ما في الحديث القدسي « أحاطتك بما أنشأه ، حتّىٰ إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به » الحديث .

---

(١) البقرة : ١٦٥ .

وقريب من هذه العبارة جداً عبارة الفاضل المقداد في شرح الفصول[١]، فانّه قال: المحبّة هي الابتهاج بحصول كمال، أو تخيّل وصول كمال مظنون، أو محقّق ثابت في المشعور به.

وبوجه آخر: هي ميل النفس إلىٰ ما في المشعور به من كمال، ولمّا كانت اللذّة هي إدراك الملائم، أعني: نيل الكمال، لم يخل المحبّة من لذّة، وهي قابلة للشدّة والضعف، وأوّل مراتبها الارادة، فإنّها محبّة أيضاً، ثمّ يقارنها التشوّق، ومع الوصول التامّ الذي ينتفي عنده الارادة والشوق يزداد، والمحبّة مادام أنّها يقارن أثر باقي كانت ثابتة.

ثمّ المحبّة التي في نوع الانسان سببها أُمور ثلاثة:

الأوّل: اللذّة، وهي: إمّا جسمانيّة، أو وهميّة، أو حقيقيّة.

الثاني: الشفقة، وهي: إمّا مجازيّة وهي الأُمور التي يفرض نفعها، أو حقيقيّة لما يدوم نفعها.

الثالث: مشاكلة الجوهر: إمّا عامّة كما يكون بين شخصين متقاربين طبعاً أو خلقاً أو شمائل أو فعلاً، وإمّا خاصّة يختصّ بأهل الحقّ، وهي محبّة الكمال.

الرابع: المعرفة بالله، والمراد بها أعلىٰ مراتبها، فإنّ لها مراتب كثيرة، ومثل مراتبها كمثل النار في معرفتها، فإنّ أدناها من يسمع أنّ في الوجود شيئاً يعدم كلّما يلاقيه، إلىٰ غير ذلك من خواصّه.

ونظير ذلك في معرفة الله تعالىٰ معرفة المقلّدين لأهل العلم، وأعلىٰ منها من وصل إليه دخان النار وعلم أنّه أثر لابدّ له من مؤثّر.

ونظيره في معرفة الله تعالىٰ معرفة أهل النظر للحاكمين بالبراهين علىٰ وجود

---

(١) هو كتاب الأنوار الجلاليّة في شرح الفصول النصيريّة.

صانع إستدلالاً بوجود آثاره علىٰ وجوده ، وأعلىٰ منها من أحسّ بأثر من حرارة النار بسبب مجاورتها وانتفع بذلك الأثر .

ونظيره في معرفة الله مرتبة من آمن بالغيب من المؤمنين ، وعرفوا الصانع من وراء حجاب وابتهجوا به . وأعلىٰ منها مرتبة من شاهد النار بتوسّط نورها يشاهد الموجودات .

ونظير هذه المرتبة في المعرفة مرتبة العارفين ، فإنّ لهم المعرفة الحقيقيّة ، ولهم أيضاً مراتب ، ويسمّون أهل اليقين ، ومنهم جماعة لا ينفكّ عنهم المعرفة ، وهم أهل الحضور ، وهو نهاية المعرفة التي ينتفي فيها العارف نظير من يحترق بالنار .

وحيث أنّ المقام لكشف اللثام عن وجه المحبّة ، فما الاطناب فيها إلاّ إيجاز ، ولا التطويل إلاّ تقصير .

وكيف يتصوّر مع المحبّة سأم أو ملال ؟ وإذا كانت يفضي بالرجال إلىٰ هذا الحال ، فلا غرو علىٰ من أطال في القيل والقال ، ولسان الحال في هذا المقام أنطق من لسان المقال في الافصاح عن عذر الاكثار ، وإن ضاق المجال إلاّ عن الاقلال .

وبعد اطّلاعك علىٰ كنه المحبّة ، وخازن أسرار ذلك من أنباء الغيب ما نوحيه إليك عن حظّ علي عليه السلام منها من الحظّ الأوفىٰ والكأس المعلّىٰ ، وعلمت أنّ ذلك قميصاً لم يخط إلاّ علىٰ قدره ، وضليع شاوٍ لم يمتط جواد صهوة جواد جدّه ، يحلّ عن أن يشار إليه ببنان البيان في التقرير .

فكيف يتصوّر دخوله تحت محيط دائرة التحرير ؟ فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرّة أعين ، فهنالك ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، فلا جرم أنّه كان أعزّ من الكبريت الأحمر .

الثامن

انّه أحبّ الخلق إلى النبيّ صلى الله عليه وآله

فمن ذلك : ما رواه في كتاب المناقب ، عن معاوية بن ثعلبة ، قال : جاء رجل إلىٰ أبي ذرّ وهو جالس في المسجد وعلي عليه السلام يصلّي أمامه ، فقال : يا أبا ذرّ ألا تحدّثني بأحبّ الناس إليك ، فوالله لقد علمت بأنّ أحبّهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أحبّهم إليك ، والذي نفسي بيده أنّ أحبّهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله هو ذلك الشيخ ، وأشار إلىٰ علي عليه السلام[1].

قلت : وحديث « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء علىٰ ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ » أشهر من أن يخفىٰ .

وروى الثقة الجليل علي بن عيسىٰ في حديث طويل عن أُسامة بن زيد : أمّا أنت يا علي فختني وأبو ولدي ومنّي وأحبّ الخلق إليّ[2] .

ونقل هو أيضاً عن كتاب المناقب ، عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل بأيّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج ؟ فقال : خاطبني بلغة علي ، فألهمني أن قلت : يا ربّ خاطبتني أم علي ؟ فقال : يا أحمد أنا شيء وليس كالأشياء ، ولا أُقاس بالناس ، ولا أُوصف بالأشياء ، خلقتك من نوري ، وخلقت عليّاً من نورك ، فاطّلعت علىٰ سرائر قلبك ، فلم أجد إلىٰ قلبك أحبّ إليك من علي بن أبي طالب ، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك[3] .

ورواه أخطب خوارزم بإسناده إلىٰ محمّد بن جرير الطبري ، عن محمّد بن حميد الرازي ، عن العلاء بن الحسن الهمداني ، عن أبي مخنف لوط بن يحيى

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ٦٩ برقم : ٤٣ ، وكشف الغمّة ١ : ١٠٢ .

(٢) كشف الغمّة ١ : ٩٩ .

(٣) كشف الغمّة ١ : ١٠٦ .

الأزدي، عن عبد الله بن عمر أيضاً[١].

وما أنسب قول الشافعي بهذا المقام:

لو أنّ المرتضىٰ أبدىٰ محلّه ... بحر الخلق طرّاً سجّداً له

كفىٰ في فضل مولانا علي ... وقوع الشكّ فيه أنّه الله

وروى الثقة الجليل علي بن عيسىٰ، عن العوام بن حوشب، حدّثني ابني عمّي، عن مجمع، قال: دخلت على عائشة، فسألتها عن مسيرها يوم الجمل، فقالت: كان قدراً من الله، فسألتها عن علي بن أبي طالب، فقالت: تسألني عن أحبّ الناس كان إلى النبيّ صلى الله عليه وآله.

وممّا أخرجه العزّ المحدّث عن العبّاس بن عبد المطّلب، قول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عمّ رسول الله والله لله أشدّ حبّاً له منّي حين سأله العبّاس أتحبّ هذا؟ وقد قام إليه واعتنقه وأجلسه عن يمينه[٢].

وفي أمالي الصدوق مسنداً إلى الصادق عليه السلام عن آبائهم عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحبّ إخواني إليّ علي بن أبي طالب، وأحبّ أعمامي إليّ حمزة[٣].

قلت: والمراد بالأعمام هنا إخوة أبيه؛ لوجوب صرف اللفظ إلىٰ حقيقته إذا لم يكن هناك صارف، وبالأُخوّة المعنى المجازي، أعني الايمان؛ لقوله تعالىٰ ﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾[٤] لتحقّق الصارف إذا لم يكن صلى الله عليه وآله أخ، والنبيّ صلى الله عليه وآله كثيراً ما كان يعبّر أكابر سابق الأنبياء بالاخوة، كما في الحديث المشهور «إفترقت أُمّة

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ٧٨ برقم: ٦١.

(٢) كشف الغمّة ١: ٩٤.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ٦٤٧ برقم: ٨٧٩.

(٤) الحجرات: ١٠.

أخي موسىٰ ، وافترقت أُمّة عيسىٰ » .

وفي أمالي الصدوق مرفوعاً إلىٰ أبي سعيد الخدري ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن قول الله جلّ ثناؤه ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾[١] قال : ذاك وصيّ أخي سليمان بن داود ، فقلت : يا رسول الله قول الله عزّوجلّ ﴿ قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾[٢] قال : ذاك أخي علي بن أبي طالب[٣] .

فيكون أفضل ؛ لأنّه متىٰ فضل من له صلاحيّة التعبير عنه من النبيّ ﷺ بالاخوّة من أكابر الأنبياء ، فغيرهم بالطريق الأولىٰ .

وفي نكت الفصول[٤] : انّ عائشة قالت : من أحبّ الناس إليك يا رسول الله ؟ قال : فاطمة ، قالت : قلت : فمن الرجال ؟ قال : بعلها علي بن أبي طالب[٥] .

وفي كتاب ابن المغازلي بإسناده إلىٰ عائشة أنّها سئلت من كان أحبّ الناس إلىٰ رسول الله ﷺ ؟ قالت : فاطمة ، فقلت : إنّما سألتك عن الرجال الحديث .

التاسع

انّ الله اختاره من الخلق

ففي مؤلّف الطبرسي أنّ النبيّ ﷺ قال في حقّ فاطمة : إنّ الله اطّلع إلى الأرض اطّلاعة ، فاختار رجلين ، أحدهما أبوك فجعله نبيّاً ، والآخر بعلك فجعله

---

(١) النمل : ٤٠ .

(٢) الرعد : ٤٣ .

(٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ٦٥٩ برقم : ٨٩٢ .

(٤) قال في الذريعة ٢٤ : ٣٠٥ : نكت الفصول لأبي الفتوح منتجب الدين ، نسبه إليه عماد الدين حسن الطبري في أسرار الأئمّة ، قاله صاحب الرياض ، وزاد : ولعلّه بعينه نكت فصول عبد الوهّاب ، المنسوب إلىٰ القطب الراوندي ، وقد رأيته بأردبيل في الخزانة الصفويّة .

(٥) نكت الفصول لم أعثر عليه .

وصيّاً[١].

وفي صحائف شمس الدين السمرقندي : إنّ الله اطّلع علىٰ أهل الدنيا فاختار منها أباك فجعله نبيّاً ، ثمّ اطّلع ثانية فاختار منها بعلك[٢].

وفي مسلك الأفهام للمحقّق أبي القاسم ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ الله اطّلع إلى الأرض فاختارني منها ، ثمّ اطّلع ثانية فاختار منها عليّاً[٣].

ومنه عن سلمان قول النبيّ ﷺ : إنّ الله اطّلع إلى الأرض فاختار منها أباك ، ثمّ اطّلع ثانية فاختار منها زوجك الحديث[٤].

وفي المناقب ، عن أُمّ سلمة في حديث طويل يذكر فيه خطبة علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام وتزوّجيهما ، قوله ﷺ : يا بنيّة إنّ الله اطّلع إلى الأرض اطّلاعة فاختار من أهلها رجلين ، فجعل أحدهما أباك ، والآخر بعلك .

وروىٰ تاج الدين محمّد بن نصر بن العلاء العلوي الحسيني ، مرفوعاً إلىٰ علي عليه السلام قال النبيّ ﷺ لفاطمة عليها السلام : يا بنيّة إنّ الله تعالىٰ أشرف على الدنيا ، فاختارني علىٰ رجال العالمين ، ثمّ اطّلع ثانية فاختار زوجك علىٰ رجال العالمين ، ثمّ اطّلع ثالثة فاختارك علىٰ نساء العالمين ، ثمّ اطّلع الرابعة فاختار ابنيك علىٰ شباب العالمين[٥].

وفي كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب للكنجي الشافعي ، عن

---

(١) أسرار الامامة للطبرسي لم أعثر عليه .

(٢) صحائف شمس الدين السمرقندي لم أعثر عليها .

(٣) مسلك الأفهام لم أعثر عليه .

(٤) نفس المصدر .

(٥) راجع : إحقاق الحقّ ٤ : ١٠٤ - ١١٢ .

أبي هريرة ، قال : قالت فاطمة : يا رسول الله زوّجتني من علي بن أبي طالب وهو فقير لا مال له ، فقال ﷺ : يا فاطمة أما ترضين أنّ الله اطّلع إلىٰ أهل الأرض فاختار منها رجلين : أحدهما أبوك ، والآخر بعلك ؟[١] .

قلت : حاشا ساحة صبرها وتسليمها أن يكون بالشكاية ، لاسيّما والفقر فخرهم ، وإنّما كان ذلك تسبّباً لأن يقول النبيّ ﷺ ذلك ، وحسماً لمادّة الخوض بالتشنيع بمثل ذلك .

وفي التحفة : وعن جعفر بن محمّد الصادق ، عن آبائه عليهم السلام ، عن رسول الله ﷺ ، قال : أوحىٰ إليّ ربّي جلّ جلاله ، فقال : يا محمّد اطّلعت إلى الأرض اطّلاعة ، فاخترتك منها فجعلتك نبيّاً ، ثمّ اطّلعت الثانية ، فاخترت منها عليّاً ، فجعلته وصيّك وخليفتك وزوج ابنتك .

وفيها : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ الله عزّوجلّ اطّلع إلى الأرض ، فاختارني منها فجعلني نبيّاً ، واطّلع ثانية فاختار منها عليّاً فجعله إماماً ، ثمّ أمرني أن أتّخذه إماماً ووصيّاً وخليفة ووزيراً ، فعلي منّي وأنا من علي .

وفيها : وعن أنس بن مالك في حديث طويل ، عن رسول الله ﷺ قال : أوحى الله إليّ : يا محمّد إنّي اطّلعت إلى الأرض اطّلاعة ، فاخترتك منها فجعلتك نبيّاً ، ثمّ اطّلعت ثانياً فاخترت عليّاً ، فجعلته وصيّك ووارث علمك والامام بعدك[٢] .

وفي لوامع الفاضل المقداد : أنّ النبيّ ﷺ قال لفاطمة عليها السلام : إنّ الله اطّلع إلى الأرض اطّلاعة ، فاختار منها أباك فاتّخذه نبيّاً ، ثمّ اطّلع ثانية فاختار منها بعلك

---

(١) كفاية الطالب ص ١٦٢ .

(٢) لم أعثر على كتاب التحفة .

فجعله وصيّاً[١].

وفيها: ومن ذلك ما صحّ لنا روايته عن شيخنا أبي جعفر بن بابويه، بإسناده عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله اطّلع إلى الأرض اطّلاعة، فاختارني منها فجعلني نبيّاً، ثمّ اطّلع ثانية فاختار منها عليّاً فجعله إماماً الحديث[٢].

وفي الأمالي في حديث طويل جدّاً حدّث به الأعمش أبا جعفر الدوانيقي منه، فقال لها النبي ﷺ - يعني فاطمة عليها السلام عند سكاتها من قول من عيّرها بتزويجها معدماً -: لا تبكي فوالله ما زوّجتك حتّىٰ زوّجك الله من فوق عرشه، وأشهد بذلك جبرئيل وميكائيل، وإنّ الله عزّوجلّ اطّلع علىٰ أهل الأرض، فاختار من الخلائق أباك فبعثه نبيّاً، ثمّ اطّلع الثانية فاختار من الخلائق بعلك[٣]، فزوّجك إيّاه واتّخذه وصيّاً الحديث[٤].

ومن المناقب: في حديث عن أبي أيّوب الأنصاري عنه ﷺ: إنّ الله اطّلع إلى الأرض اطّلاعة فاختارني منهم فبعثني نبيّاً، ثمّ اطّلع اطّلاعة فاختار منهم بعلك، فأوحىٰ إليّ أن أُزوّجك إيّاك وأتّخذه وصيّاً[٥].

أقول: وإن لم يكن في الأحاديث السابقة ما في هذا الحديث صريحاً من أنّه عليه السلام بعد النبيّ ﷺ مختار من جميع الخلائق، لكن متىٰ كان مختاراً من أهل الأرض الذين من جملتهم الأنبياء الذين هم أفضل من الملائكة، كما تقرّر في الكلام، كان أفضل من غيرهم بطريق أولىٰ.

---

(١) اللوامع الالٰهيّة ص ٣٣٠.

(٢) اللوامع الالٰهيّة ص ٢٧٤.

(٣) في الأمالي: عليّاً.

(٤) أمالي الشيخ الصدوق ص ٥٢٤ برقم: ٧٠٩.

(٥) المناقب للخوارزمي ص ١١٢ برقم: ١٢٢.

وفي مؤلّف الصدوق في مولد فاطمة عليها السلام وفضائلها وما يلحق بذلك ، مرفوعاً إلى علي عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام : يا بنيّة إنّ الله أشرف على الدنيا ، فاختارني على العالمين ، ثمّ اطّلع ثانياً فاختار زوجك على رجال العالمين ، ثمّ اطّلع ثالثة فاختارك على نساء العالمين ، ثمّ اطّلع رابعة فاختار ابنيك على شباب العالمين[١] .

وفي أعلام الورى لأمين الاسلام الطبرسي ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض اطّلاعة ، فاختارني منها فجعلني نبيّاً ، ثمّ اطّلع الثانية فاختار منها عليّاً فجعله إماماً[٢] .

وفي ما جمعه الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله في المهدي عليه السلام ، عن علي بن هلال ، عن أبيه ، قال : دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله وهو على الحالة التي قبض فيها ، فإذا فاطمة عليها السلام عند رأسها ، فبكت حتّى ارتفع صوتها ، فرفع النبيّ صلى الله عليه وآله إليها رأسه ، وقال : حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك ؟ فقالت : أخشى الضيعة من بعدك ، فقال : يا حبيبتي أما علمت أنّ الله عزّوجلّ اطّلع على الأرض اطّلاعة ، فاختار منها أباك فبعثه برسالته ، ثمّ اطّلع اطّلاعة فاختار منها بعلك الحديث[٣] .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام ، مرفوعاً إلى المفضّل بن عمر ، عن الصادق جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لمّا اُسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربّي جلّ جلاله ، فقال : يا محمّد إنّي اطّلعت على الأرض اطّلاعة ، فاخترتك منها فجعلتك نبيّاً ، وشققت لك من اسمي إسماً ، فأنا المحمود وأنت محمّد ، ثمّ اطّلعت الثانية فاخترت منها عليّاً وجعلته وصيّك

---

(١) كتاب مولد فاطمة عليها السلام للشيخ الصدوق ، لم أعثر عليه .

(٢) أعلام الورى ص ١٦٤ .

(٣) كشف الغمّة ٢ : ٤٦٨ عنه .

وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذرّيّتك ، واشتققت له اسماً من أسمائي ، فأنا العليّ الأعلىٰ وهو علي الحديث[١] .

إن قلت : قوله « فاتّخذته نبيّاً ووصيّاً » يشعر بأنّ هذا الاختيار إنّما هو للنبوّة والوصيّة ، وهما إنّما كانا علىٰ من في زمانهما صلّى الله عليهما ومن بعده ، فلا يجري في من سبق عليه . وأيضاً فهذا القدر من الاختيار للنبوّة والامامة ثابت لكلّ من الأنبياء المتقدّمين وأوصيائهم .

قلت : مع أنّ بعض الأحاديث خالية من هذه الزيادة ، فالمراد الاختيار المطلق لا الاختيار لهذين المنصبين ؛ إذ لم يقل أحد باختياره ﷺ للنبوّة وحدها ، ولما مرّ في بعض الأخبار من التصريح باختيارهما علىٰ غيرهم ممّا يقتضي التعرّض للمختار عليه دون تخصيصه بشيء من المختار له ، وللنصّ على اختياره تعالىٰ لهما علىٰ كلّ من عداهما ، لمكان الجمع المحلّىٰ باللام في المختار عليهم ، ويكون الفاء للتفريع لا للتسبيب .

علىٰ أنّه يمكن أن يكون قوله « نبيّاً ووصيّاً » من قبيل قولهم « كان والله رجلاً » قال النحاة : إذا أخذت في مدح إنسان وقلت : إنّه كان والله رجلاً ، فإنّه في قوّة رجلاً كاملاً شجاعاً ، ويرشد إلىٰ ذلك التنوين ، فإنّ أحد موارده التعظيم ، وحينئذ فكان ذلك الشيء لارتفاع شأنه بلغ مبلغاً لا يمكن أن يعرف ، بل إنّما يعرف منه القدر الذي يعبّر عنه بالنكرة ، كما حقّقه أهل البيان ، مثل قوله تعالىٰ ﴿ وإن يكذّبوك فقد كذّبت رسل من قبلك ﴾[٢] سواء كان ذلك علىٰ سبيل الحقيقة أو الادّعاء ، ويؤيّده عطف اشتقاق الاسم والتزويج وأُبوّة الذرّيّة عليه ، المؤذن بعلوّ المنزلة وشرف المكانة .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٥٨ ح ٢٧ .

(٢) فاطر : ٤ .

العاشر

انّه اجتمع فيه ما تفرّد في أفاضل الأنبياء

فمن ذلك : في أعلام الورىٰ ، عن أربعين محمّد بن الخطيب الرازي : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه ، وإلىٰ نوح في تقواه ، وإلىٰ إبراهيم في خلّته ، وإلىٰ موسىٰ في هيبته ، وإلىٰ عيسىٰ في عبادته ، فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب . ثمّ قال : فعلىٰ هذا لابدّ أن يكون فيه ما كان في هؤلاء متفرّقاً[١] .

وقال في أسرار الامامة مثله[٢] .

وقال الثقة الجليل علي بن عيسىٰ : روى البيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : من أراد أن ينظر إلىٰ آدم ، وساق الحديث بعينه ، إلاّ أنّ فيه : وإلىٰ إبراهيم في حلمه. ثمّ قال : فقد ثبت لعلي بن أبي طالب عليه السلام ما ثبت لهم من هذه الصفات ، واجتمع فيه ما تفرّق في غيره .

تركت فيك المنىٰ مفرّقة وأنت منها بمجمع الطرق[٣]

ونقل كمال الدين ابن طلحة في مطالب السؤول مثله ، ثمّ قال : فقد أثبت النبيّ صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بهذا الحديث علماً يشبه علم آدم ، وتقوىً يشبه تقوىٰ نوح ، وحلماً يشبه حلم إبراهيم ، وهيبةً تشبه هيبة موسىٰ ، وعبادةً تشبه عبادة عيسىٰ عليهم أجمعين الصلاة والسلام[٤] .

ومن مناقب الخوارزمي عنه صلى الله عليه وآله : من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه ، وإلىٰ

---

(١) لم أعثر عليه في أعلام الورىٰ .

(٢) أسرار الامامة ، لم أعثر عليه .

(٣) كشف الغمّة ١ : ١١٤ .

(٤) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ١ : ١٠٨ .

نوح في فهمه ، وإلىٰ يحيىٰ في زهده ، وإلىٰ موسى بن عمران في فطنته[١] ، فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب .

وفيها : ورواه البيهقي في فضائل الصحابة[٢] .

وروى الثقة الجليل عن الحارث صاحب راية علي عليه السلام قال : بلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في جمع من أصحابه ، فقال : أُريكم آدم في حلمه[٣] ، ونوحاً في فهمه ، وإبراهيم في حكمته ، فلم يكن بأسرع من أن طلع علي عليه السلام ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أقست رجلاً بثلاثة من الرسل ، بخ بخ لهذا الرجل ، من هو يا رسول‌الله؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : ألا تعرفه يا أبا بكر ، قال : الله ورسوله أعلم ، قال : هو أبو الحسن علي بن أبي طالب ، فقال أبو بكر : بخ بخ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أباالحسن؟[٤] .

قلت : « بخ » كلمة يقال عند المدح والرضا بالشيء ، وتكرّر للمبالغة ، فيقال : بخ بخ ، وربّما شدّدت ، وما أشبه ذلك ببخبخة عمر يوم نصب علي عليه السلام في غدير خمّ ، حيث قال : بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مومن ومؤمنة .

وقول أبي بكر « أقست رجلاً بثلاثة من الرسل » يؤمىء إلىٰ أنّه اجتمع فيه ما تفرّق في غيره .

وروى الصدوق عن أبيه ، قال : حدّثنا إبراهيم بن عمروس الهمداني بهمدان ، قال : حدّثنا أبو علي الحسن بن إسماعيل ، قال : حدّثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم ، عن أبيه ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الله ، عن سلمة بن

---

(١) في المناقب : في بطشه .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٨٣ برقم : ٧٠ .

(٣) في الكشف : علمه .

(٤) كشف الغمّة ١ : ١١٥ .

قيس ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله : علي في السماء السابعة كالشمس بالنهار في الأرض ، وفي السماء الدنيا كالقمر بالليل في الأرض ، أعطى الله عليّاً من الفضل جزءً لو قسّم علىٰ أهل الأرض لوسعهم ، وأعطاه من الفهم جزءً لو قسّم علىٰ أهل الأرض لوسعهم ، شبّهت لينه بلين لوط ، وخلقه بخلق يحيىٰ ، وزهده بزهد أيّوب ، وسخاءه بسخاء إبراهيم ، وبهجته ببهجة سليمان بن داود ، وقوّته بقوّة داود .

له إسم مكتوب علىٰ كلّ حجاب في الجنّة - إلىٰ أن قال : - لم يمش على الأرض ماشٍ بعدي إلاّ كان هو أكرم منه عزّاً وفخراً ومنهاجاً الحديث بطوله[1] .

إن قلت : نفي أكرميّة غيره عليه لا يقتضي إثبات أكرميّته .

قلت : وصفاً نعم ، أمّا استعمالاً فلا ، ومنه لم أجد فضل من زيد ، فإنّ المعرّف إنّما يفهم أفضليّة لا نفي أفضليّة غيره عليه عنه ، ومنه قولهم عليهم السلام : ما تقرّب العبد إلى الله تعالىٰ بشيء بعد المعرفة أفضل من الصلاة . فإنّ المراد أفضليّة الصلاة بعد المعرفة علىٰ كلّ ما تقرّب وتقرب من قوله عليه السلام « أُعطي من الفضل والفهم » إلىٰ آخر ما في كتاب مطالب السؤول .

وروى الحافظ يرفعه في حليته مسنداً عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنت عند النبيّ صلىٰ الله عليه وآله فسئل عن علي عليه السلام ، فقال : قسّمت الحكمة عشرة أجزاء ، فأُعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءً واحداً[2] .

أقول : ومن خلّص بصر بصيرته من عشواء العصبيّة ، علم أنّ من استجمع ما تفرّد به كلّ واحد من أُولي العزم ، ومن يليهم في الفضل ، المخصوصين بالذكر في الأحاديث من الصفات ، وامتاز به من الفضائل ، واختصّ به من الكمالات ، أفضل من كلّ واحد منهم ، فما ظنّك بمن عداهم ؟

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٥٧ - ٥٨ برقم : ١٤ .

(٢) حلية الأولياء ١ : ٦٥ .

وفي مثل ذلك يقول عمّه العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنهما :

من فيه ما في جميع الناس كلّهم وليس في الناس ما فيه من الحسن

إنّ الله وصفه وحده بأوصاف لم يصف غيره إلاّ بآحاد منها ، كما قاله صاحب كتاب لوامع الأسرار[١] ، وكيف لا يكون كذلك ؟ والله تعالىٰ وصف أنبياءه بأوصاف ووصفه بمثلها ، فقال في نوح : ﴿ إنّه كان عبداً شكوراً ﴾[٢] وقال في علي عليه السلام ﴿وكان سعيهم مشكوراً ﴾[٣] وأين مقام الشكر من الشكور ؟

ووصف إبراهيم فقال : ﴿ وإبراهيم الذي وفّىٰ ﴾[٤] وقال في علي عليه السلام : ﴿ ويوفون بالنذر ﴾[٥] ووصف سليمان بالملك ، فقال : ﴿ وآتيناه ملكاً عظيماً ﴾[٦] وقال في علي عليه السلام : ﴿ وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾[٧] ووصف أيّوب بالصبر ، فقال : ﴿ إنّا وجدناه صابراً ﴾[٨] وقال في علي عليه السلام : ﴿ وجزاهم بما صبروا ﴾[٩].

ووصف عيسىٰ عليه السلام بالصلاة ، فقال : ﴿ وأوصاني بالصلاة ﴾[١٠] وقال في

---

(١) لم أعثر علىٰ كتاب لوامع الأسرار .

(٢) الاسراء : ٣ .

(٣) الانسان : ٢٢ .

(٤) النجم : ٣٧ .

(٥) الانسان : ٧ .

(٦) النساء : ٥٤ .

(٧) الانسان : ٢٠ .

(٨) ص : ٤٤ .

(٩) الانسان : ١٢ .

(١٠) مريم : ٣١ .

علي عليه السلام : ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً ﴾[١] ووصف محمّداً صلى الله عليه وآله بالعزّة ، فقال : ﴿ ولله العزّة ولرسوله ﴾ فساواه برسوله وقال : ﴿وللمؤمنين ﴾[٢] ووصف الملائكة ، فقال: ﴿ يخافون ربّهم من فوقهم ﴾[٣] وقال في علي عليه السلام : ﴿إنّا نخاف من ربّنا ﴾[٤] ووصف نفسه ، فقال : ﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾[٥] وقال في علي عليه السلام: ﴿ ويطعمون الطعام علىٰ حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾[٦] حتّىٰ أنّه قال : ﴿ وإنّ من شيعته لإبراهيم ﴾[٧] قال الصادق عليه السلام: إبراهيم من شيعة علي عليه السلام .

وقال أمين الاسلام الطبرسي في أسرار الامامة : والله تعالىٰ أخبر عن فضائل شيعة علي عليه السلام ودرجاتهم عند القيامة ، فقال إبراهيم : إلٰهي أسألك بمحمّد وعلي أن تجعلني من شيعة علي ، فأجاب دعاءه ، ومن ذلك قوله تعالىٰ ﴿ إنّ من شيعته لإبراهيم ﴾ .

ولذلك جعل النبيّ صلى الله عليه وآله بيته من أفاضل بيوت الأنبياء ، فيما أورده الحافظ ابن مردويه في قوله تعالىٰ ﴿ في بيوت أذن الله ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار ﴾[٨] فقام إليه رجل ، فقال : أيّ

---

(١) الانسان : ٢٦ .

(٢) المنافقون : ٨ .

(٣) النحل : ٥٠ .

(٤) الانسان : ١٠ .

(٥) الأنعام : ١٤ .

(٦) الانسان : ٨ .

(٧) الصافات : ٨٣ .

(٨) النور : ٣٦ .

بيوت هذه يا رسول الله ؟ قال : بيوت الأنبياء ، فقام إليه أبو بكر فقال : يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة ؟ قال : نعم من أفاضلها[١] .

الحادي عشر

تأهيل الله نفسه الكريمة وتهيأها وإعدادها كالنفس النبوّة عليهما أفضل الصلاة في عالم الأُنس ومحلّ الأُنس ، لاستفاضة الكمالات الغيبيّة والفضائل اللدنّيّة على وجه لا يتلوّث صقالة مرآة اختصاصهم بانتقاش مشاركة غيرهم لهم في خصوص ذلك التهيّؤ والاستعداد .

كما رواه الثقة الجليل علي بن عيسى مرفوعاً إلى جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : ألا أُبشّرك ؟ ألا أُمنحك ؟ فقال : بلى يا رسول الله ، قال : فإنّي خلقت أنا وأنت من طينة واحدة ، ففضلت منها فضلة ، فخلق منها شيعتنا ، فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأُمّهاتهم إلاّ شيعتك ، فإنّهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم[٢] .

أقول : كونهم من طينة كناية عن كونهم من شبح واحد وأصل واحد وسواسيّة في الاستعداد لقبول فيضان ، وعلى حدّ واحد في التهيّؤ لجرّ ذيل الاستمال بالكمالات ، وإلاّ فمنادي ﴿ وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾[٣] ينادي على رؤوس الأشهاد بأنّ جميع بني آدم من طينة ، وذلك أظهر من الشمس رابعة النهار .

ومن ذلك الحديث المشهور : أنا وأنت يا علي من نور واحد[٤] .

---

(١) راجع : إحقاق الحقّ ٣ : ٥٥٨ .

(٢) كشف الغمّة ١ : ١٤٢ .

(٣) الأعراف : ١٨٩ .

(٤) راجع : احقاق الحقّ ٥ : ٢٥٤ .

وقريب منه ما في كتاب الفردوس ، عن ابن عبّاس عنه ﷺ: أنا وعلي من شجرة واحدة ، والناس من أشجار شتّى[١] .

وما رواه الفقيه الشافعي ابن المغازلي في كتابه ، بإسناده إلى جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ ذات يوم بعرفات وعلي تجاهه : أُدن منّي يا علي ، خلقت أنا وأنت من شجرة ، فأنا أصلها وأنت فرعها ، والحسن والحسين أغصانها ، فمن تعلّق بغصن منها أدخله الله الجنّة[٢] .

والحاصل أنّهم ذرّيّة بعضها من بعض .

ومنه كلام لثقة الاسلام الطبرسي في أسرار الامامة في معنى العصمة : منه الأئمّة من نور العزّة خلقوا ، إلى ذلك أشار في قوله تعالى ﴿ الله نور السماوات والأرض - إلى أن قال : - في بيوت أذن الله أن ترفع ﴾ يعني : هذا البيت الذي فيه النور المذكور ، ثمّ قال في ذلك البيت ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾[٣] يروى عن الباقر عليه السلام : انّ هذا البيت بيتنا أهل البيت ، وإنّ هؤلاء الرجال نحن أهل البيت . ولذا كان علمهم وعقلهم وكمالهم من يوم الولادة إلى يوم الكهولة على السواء ، ولذلك تكلّموا في بطون الأُمّهات ، كفاطمة عليها السلام مع أُمّها وسائر الأئمّة عليهم السلام . قال الباقر عليه السلام في ذلك : حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرّب ، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

وقال : سلوني عمّا دون العرش إلى آخر الحديث .

وقال رسول الله ﷺ : كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين . معناه كنت نبيّاً

---

(١) فردوس الأخبار ١ : ٧٧ برقم : ١١٢ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٩٠ برقم : ١٣٣ .

(٣) النور : ٣٦ .

للملائكة ، والملائكة يتعلّمون منّي نوري ، ونور عترتي حمد الله ، ويسبّحونه وتهليله وتمجيده ، وكان قائماً على شرف من شرفات العرش ، فأخرج الله ذلك بكسوة بشريّة محمّد وعلي وفاطمة إلى الآخر عليهم السلام ، وإليه أشار بقوله تعالى ﴿ ولو أنزلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾[١] لأنّه لو بعث ذلك النور لم يطق الآدمي مشاهدته ومعاينته ؛ لأنّه من غير جنسه .

إلى أن قال : فكان قلع باب خيبر من علي عليه السلام من هذا الباب ، حتّى قال : ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانيّة ولكن بقوّة إلهيّة انتهى كلامه[٢] .

قلت : وحديث سلوني رواه مسلم في الجزء الخامس من صحيحه : إنّ علياً عليه السلام قال على المنبر : سلوني عن كتاب الله تعالى ، فما من آية إلاّ وأعلم حيث نزلت بحضيض جبل أو سهل أرض ، وسلوني عن الصين فما من فتنة إلاّ وقد علمت كشفها ، ومن يقتل فيها[٣] .

ورواه الشيخ الصدوق في روضة الغرّاء[٤] : أنّه عليه السلام كان ذات يوم على منبر الكوفة[٥] إذ قال : أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن طرق السماوات ، فأنا أعرف بها من طرق الأرض ، فقام إليه رجل من وسط القوم ، فقال له : أين جبرئيل في هذه الساعة ؟ فرمق بطرفه إلى السماء ، ثمّ رمق بطرفه إلى الأرض ، ثمّ رمق إلى المشرق ، ثمّ رمق إلى المغرب ، فلم يجد موضعاً ، فالتفت إليه وقال : يا ذا الشيخ أنت جبرئيل ، قال : فصفق طائراً من بين الناس ، فضجّ عند ذلك

---

(١) الأنعام : ٩ .

(٢) أسرار الامامة لم أعثر عليه .

(٣) راجع : إحقاق الحقّ ٧ : ٥٨٥ .

(٤) لم أسمع بهذا الكتاب للشيخ الصدوق .

(٥) في البحار : البصرة .

الحاضرون، وقالوا : نشهد أنّك خليفة رسول الله حقّاً حقّاً[١] .

وقال الثقة الجليل علي بن عيسىٰ : قال بعض أرباب الطريقة : إنّ عليّاً عليه السلام إنّما قال : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً في أوّل أمره وابتداء حاله ، وأمّا في آخر أمره فإنّ الغطاء كشف له والحجاب رفع دونه[٢] .

أقول : إن أراد بالحجاب الحجاب الحسّي فهو لا يرتفع ، وإن أراد به الحجاب العقلي فلم يكن من الأصل ، والمنفيّ بـ« لو » إنّما هو الحسّي . وأراد عليه السلام أنّ الانكشاف العقلي عنده في الوضوح وشدّة الظهور كالحسّي ، فلهذا نزّله منزلته في عدم ازدياد اليقين عند كشف الغطاء علىٰ ما مرّ في باب المحبّة .

وقال آية الله العلاّمة في كتاب الألفين : النفس الناطقة لها قوّتان : نظريّة ، وعمليّة . ولها في كلّ منهما مراتب في الكمال والنقصان . أمّا النظريّة ، فمراتبها أربع :

الأُولىٰ : العقل الهيولاني ، وهو الذي من شأنه الاستعداد المحض .

الثانية : العقل بالملكة ، وهو الذي من شأنه إدراك المعقولات الأوّليّة ، أعني البديهيّة والعلوم الضروريّة .

الثالثة : العقل بالفعل ، وهو الذي من شأنه إدراك المعقولات الثانية ، أعني العلوم الكسبيّة .

الرابعة : العقل المستفاد ، وهو حصول العقول اليقينيّة والعلوم مشاهدة عندها ، كالصور في المرآة ، وهي غاية الكمال في هذه القوّة ، وإليه أشار أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً[٣] .

---

(١) بحار الأنوار ٣٩ : ١٠٨ ح ١٣ عن الفضائل .

(٢) كشف الغمّة ١ : ٢٨٦ .

(٣) الألفين للعلاّمة الحلّي ص ١١٥ .

وفي المناقب بالإسناد إلى الحسين بن علي عليه السلام، عن أبيه علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالىٰ من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف سنة، فلمّا خلق الله تعالىٰ آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله تعالىٰ ينقله من صلب إلىٰ صلب حتّىٰ أقرّه في صلب عبد المطّلب، ثمّ أخرجه من صلبه فقسّمه قسمين: قسماً في صلب عبد الله، وقسماً في صلب أبي طالب، فعلي منّي وأنا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي، فمن أحبّه فبحبّي أحبّه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه[1].

ومنه عن سلمان، قال: سمعت حبيبي المصطفىٰ محمّداً صلى الله عليه وآله يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّوجلّ مطبقاً، يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله تعالىٰ آدم ركب ذلك في صلبه، فلم نزل في شيء واحد حتّى افترقنا في صلب عبد المطّلب، فجزء أنا وجزء علي[2].

ورواه ابن المغازلي من طريق آخر عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وقال في آخره: حتّىٰ قسّمها جزءين، فجعل جزءً في صلب عبد الله، وجزءً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبيّاً، وأخرج عليّاً وصيّاً[3].

ورواه أحمد في مسنده عن زاذان، عن سلمان، قال: سمعت حبيبي رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالىٰ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم قسّم ذلك النور، فجزء أنا وجزء علي[4].

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٤٥ - ١٤٦ برقم: ١٧٠.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٤٥ برقم: ١٦٩.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٨٩ برقم: ١٣٢.

(٤) راجع: المناقب لابن المغازلي ص ٨٨، وتذكرة الخواص ص ٥٢ عن أحمد.

وفي الفردوس لابن شيرويه مثله[١].

ومثله من كتاب الآل من حديث عن ابن مسعود، عن أُمّ سلمة: أتعرفون هذا؟ قلت: نعم هذا علي بن أبي طالب، قال ﷺ: هذا أخي سجيّته سجيّتي، ولحمه من لحمي، ودمه من دمي الحديث[٢].

وكلّ ذلك إستعارة لإرشادهم وهدايتهم، كما يشعر به قوله «نبيّاً للملائكة ليعلمون حمده» إلىٰ آخره، وإلاّ فعلمك محيط بأنّ النور عرض من سائر الأعراض، وما هو بالنسبة إلى الانسان المخصوص من الله باستحقاق سموّ المراتب وعلوّ الدرجات والشرف والفضل والمزايا وشرف النفس وكرم الخيم لإعلام محض بل لا يشبه، فأين الثريّا من يد المتناول؟ فكيف يخبر البريّة؟

ولمّا لم يكن في الشاهد شيء أعلىٰ رتبة من النور، شبّههم به في إرشادهم وهدايتهم، ولمعان أضواء شرفهم، وارتفاع شموس مجدهم، ومنه قوله تعالىٰ ﴿الله نور السماوات والأرض﴾[٣].

وكلّ عاقل يعلم بالبديهة أنّ إله العالم هو الشيء المنبسط على الجدران والحيطان، ولا هو الفائض من جرم الشمس والقمر، فلابدّ من تأويله بأنّه منوّر السماوات والأرض، أو أنّه هاد لأهلهما أو مصلحهما.

فاختصاصهما صلّى الله عليهما بحالة لم يشاركهم فيها غيرهما وامتيازهما عن الناس بها، يعطي أفضليّته بعد النبيّ ﷺ علىٰ من عداه، ويرشد إلىٰ أنّ المراد بكونهم من نور واحد هو تفرّدهم بشرف لم يدانيهم فيه غيرهم إلاّ التعرّض لنفس ما خلقوا منه.

---

(١) فردوس الأخبار ٣: ٣٣٢ برقم: ٤٨٨٤.

(٢) كشف الغمّة ١: ٩١ عن كتاب الآل لابن خالويه.

(٣) النور: ٣٥.

نداء شيعتهم بآبائهم لطيب مولدهم ، ثمّ النداء بالأُمّهات يوم القيامة .

قيل : فيه وجهان : أحدهما : رعاية خاطر عيسىٰ عليه السلام إذ لا أب له ، والثاني ربّما كان الأب في نفس الأمر غير من يعرف به بين الناس ، فنداه به يقتضي فضيحته في ذلك الموقف ، وهو تعالىٰ ستّار ويحبّ الستر .

الثاني عشر

ما استخرجه الفاضل المقداد في لوامعه : إنّ المؤاخاة مظنّة المساواة في المنصب ، بل هي المساواة بعينها ، فيكون كلّ واحد منهما قائماً مقام الآخر ، ولمّا كان النبيّ صلى الله عليه وآله أفضل الخلق لزم أن يكون مساويه أفضل ، وهو المطلوب[١] .

قلت : وهذا يرجع إلىٰ أفضليّته لمساواته الأفضل ، فقد مرّ مستوفىٰ .

ويعضد ذلك ما رواه ابن المغازلي بإسناده إلىٰ حذيفة بن اليمان ، قال : آخىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه الأنصار والمهاجر ، فكان يواخي بين الرجل ونظيره ، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : هذا أخي ، قال حذيفة : فرسول الله صلى الله عليه وآله سيّد المرسلين[٢] ، وإمام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، ورسول ربّ العالمين ، الذي ليس له في الأنام شبيه ولا نظير ، وعلي أخوه[٣] .

أقول : يريد حذيفة أنّ علياً عليه السلام نظيره صلى الله عليه وآله في هذه الصفات ، حتّىٰ أنّه لا نظير له إلاّ الرسالة ؛ لامتناعها في حقّه عليه السلام ، وقد نقلنا هذا الحديث عن ابن البطريق فيما سلف ، وأوردناه هاهنا استظهاراً .

---

(١) اللوامع الالٰهيّة ص ٣٣٢ .

(٢) في المناقب : المسلمين .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٣٨ - ٣٩ .

الثالث عشر
انّه أوّل أهل الجنّة دخولاً

فمن ذلك : ما رواه الثقة الجليل علي بن عيسىٰ مرفوعاً إلىٰ جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، قال : كنّا عند النبيّ صلى الله عليه وآله فتذاكر الصحابة الجنّة ، فقال صلى الله عليه وآله : أوّل أهل الجنّة دخولاً إليها علي بن أبي طالب ، فقال أبو دجانة : يا رسول الله أخبرتنا أنّ الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّىٰ تدخلها أنت وعلى الأمم حتّىٰ تدخلها أُمّتك ؟

قال : بلىٰ يا أبا دجانة ، أما علمت أنّ لله لواءً من نور وعموداً من ياقوت ، مكتوب علىٰ ذلك اللواء « لا إله إلاّ الله ، محمّد رسول الله ، آل محمّد خير البريّة » صاحب اللواء أمام القيامة ، وضرب بيده إلىٰ علي بن أبي طالب ، فبشّر النبيّ بذلك عليّاً ، فقال : الحمد لله الذي كرّمنا وشرّفنا بك ، فقال له : أبشر يا علي ما من عبد ينتحل مودّتك إلاّ بعثه الله معنا ، ثمّ قرأ النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾[1] .

وأوّليّة الدخول هذه لابدّ لها من موجب ؛ إذ لمثل ذلك فليعمل العاملون ، وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون ، وإلاّ لزم تقديم المفضول ، أو ترجيح المساوي ، وهما باطلان .

ومجرّد العناية من الإنعام والتفضّل لا يكفي ، وهو تعالىٰ لا يضيع عمل عامل ، ومن يعمل مثقال ذرّة يره من خير وشرّ .

ومثل هذه العناية في من هو دون من يستحقّها هضم لمستحقّها ، لاسيّما والمقام معقود للمدح ، وأيضاً فأفعاله تعالىٰ لا تخلو عن سبب وحكمة ؛ لأنّ الخلوّ عن ذلك عبث محال على الحكيم .

---

(١) كشف الغمّة ١ : ٣٢١ .

والعجب من أبي دجانة وتخيّله المنافاة بين أوّليّة دخول علي عليه السلام وتحريم الجنّة على الأنبياء حتّىٰ يدخلها محمّد صلى الله عليه وآله، وما ذاك إلاّ لجهله فضل علي عليه السلام، أو قصده إظهار هذه الفضيلة النبيلة لعلي عليه السلام.

ولا تنس ما في هذا الحديث من أنّ آل محمّد خير البريّة، وتقدّمه على النبيّ صلى الله عليه وآله في الدخول علىٰ سبيل الخدمة، ولا استبعاد في كون الشيء بالنظر إلىٰ شخص علىٰ سبيل الرفعة، وإلى الآخر علىٰ سبيل الخدمة، وليس ذلك ممّا يعجّب منه.

ففي كتاب ابن خالويه عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي حبّك إيمان، وبغضك نفاق، وأوّل من يدخل الجنّة محبّك، وأوّل من يدخل النار مبغضك، وقد جعلك الله أهلاً لذلك، فأنت منّي وأنا منك ولا نبيّ بعدي[1].

الرابع عشر
انّه أوّل من تنشقّ عنه الأرض وأوّل من يحيىٰ وأوّل من يكسي بعد محمّد صلى الله عليه وآله

يدلّ علىٰ ذلك ما في مناقب الخوارزمي، حدّثنا عبد الرحمٰن بن القاسم الهمداني، حدّثنا أبو حاتم محمّد بن محمّد الطالقاني، حدّثنا أبو مسلم، عن الخالص الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن الناصح علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن الثقة محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

---

(١) كشف الغمّة ١: ٩١.

عن الأمين موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن الصادق جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن الباقر محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن الزكي زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن المرتضى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

عن المصطفى محمّد سيّد الأوّلين والآخرين صلّى الله عليهم أجمعين ، أنّه قال لعلي بن أبي طالب : يا أبا الحسن كلّم الشمس فإنّها تكلّمك ، فقال علي عليه السلام : السلام عليك أيّها العبد المطيع لله[١] ، فقالت الشمس : وعليك السلام ياأميرالمؤمنين ، وإمام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، يا علي أنت وشيعتك في الجنّة ، يا علي أوّل من تنشقّ عنه الأرض محمّد ثمّ أنت ، وأوّل من يحيي محمّد ثمّ أنت ، وأوّل من يكسي محمّد ثمّ أنت .

ثمّ انكبّ علي ساجداً وعيناه تذرفان بالدموع ، فانكبّ عليه النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال : يا أخي وحبيبي إرفع رأسك ، فقد باهى الله بك أهل سبع سماواته[٢] .

قلت : وحديث الشمس أظهر من الشمس رابعة النهار .

وفي الفقيه للصدوق في وصيّة النبيّ لعلي عليه السلام : يا علي إنّ الله تبارك وتعالى أعطاني فيك سبع خصال : أنت أوّل من ينشقّ عنه القبر معي ، وأنت أوّل من يقف على الصراط معي ، وأنت أوّل من يكسي إذا كسيت ، ويحيي إذا حييت ، وأنت أوّل من يسكن معي في علّيّين ، وأنت أوّل من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك[٣] .

---

(١) في المناقب : لربّه .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١١٣ - ١١٤ برقم : ١٢٣ .

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٧٤ .

الخامس عشر

انّ لواء الحمد في يده يوم القيامة وانّ آدم ومن ولد تحته

يدلّ على الأوّل ما رواه الصدوق في أماليه ، مسنداً إلىٰ أبي سعيد الخدري ، في حديث طويل ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله فأقبل وأنا - يعني : نفسه - يومئذ متّزر بريطة من نور ، عليّ تاج الملك وإكليل الكرامة ، وعلي بن أبي طالب أمامي ، وبيده لوائي وهو لواء الحمد ، مكتوب عليه « لا إله إلاّ الله ، المفلحون هم الفائزون بالله » وإذا مررنا بالنبيّين قالوا : هذان ملكان مقرّبان لم نعرفهما ولم نرهما ، وإذا مررنا بالملائكة قالوا : هذان نبيّان مرسلان ، حتّىٰ أعلو الدرجة وعلي يتبعني ، حتّىٰ إذا صرت في أعلىٰ درجة منها ، وعلي أسفل منّي بدرجة ، فلا يبقىٰ يومئذ نبيّ ولا صدّيق ولا شهيد إلاّ قال : طوبىٰ لهذين العبدين ما أكرمهما على الله الحديث بطوله[١].

أقول : الدرجة المعيّنة هي الوسيلة ، وقد سئل صلى الله عليه وآله عنها في صدر الحديث ، فقال : هي درجتي في الجنّة ، وهي ألف مرقاة ، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد شهراً ، وهي مرقاة جوهر إلىٰ مرقاة زبرجد إلىٰ مرقاة ياقوت ذهب إلىٰ مرقاة فضّة[٢].

ثمّ من تأمّل هذا الحديث وتدبّره حقّ التدبير ، كفاه في بيان أفضليّة علي عليه السلام من عدّة وجوه عديدة :

الأوّل : أنّ لواء الحمد في يده .

الثاني : إستغراب النبيّين أنّهما منهم ، فلا يكونان إلاّ ملكين وبالعكس .

الثالث : إرتقاؤهم تلك الدرجة التي لم يقربها سواهم .

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٧٨ - ١٧٩ برقم : ١٨٠ .

(٢) نفس المصدر .

الرابع : أنّه لا يبقىٰ من خيار الخلق أحد إلاّ قال : طوبىٰ لهذين العبدين .

الخامس : تعجّب الجميع من أكرميّتهما على الله تعالىٰ .

إن قلت : الحديث إنّما دلّ على استعظام النبيّين حال الملائكة وبالعكس ، وهو لا يدلّ علىٰ أفضليّة علي عليه السلام بأحد الدلالات .

قلت : الاستعظام ليس إلاّ لهما ، بحيث استغربوه عن أنفسهم ، بل أخرجوا أنفسهم عن غير صلاحيّتهم له ، فلذلك كأنّهم لم يأنسوا منه قبساً ؛ إذ لو كانت لكان ؛ لأنّ المحلّ علىٰ ذلك التقدير قابل والمادّة مستعدّة ، وفيضه تعالىٰ عامّ ، وحيث لا فلا ، فلذلك جعلوهما ملكين .

إن قلت : إستعظام الحال لو دلّ على الأفضليّة على المستعظم ، للزم أفضليّة الملائكة على الأنبياء ، والحقّ خلافه ، وعلىٰ كلّ تقدير فنسبتهم ذلك إلى الملائكة إذعان من الأنبياء بأفضليّتهم وتوطين لأنفسهم عليه .

قلت : الاستعظام إنّما هو لحال النبيّ صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام علىٰ وجه استبعدوا أن يكون مأنوساً لشخص منهم ذلك ، بل لبني نوعه ، وبعد نوعهم فلا نوع أشرف وأحقّ بمثل هذه الكرامة سوى الملائكة ؛ إذ ليس من الكائنات بعدهم من له صلاحيّة ذلك ، فلم يكن لهم محيص عن قولهم إنّهما ملكان مقرّبان .

ومن كتاب المناقب : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله آخى بين المسلمين ، ثمّ قال : يا علي أنت أخي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ غير أنّه لا نبيّ بعدي ، أما علمت يا علي أنا أوّل من يدعىٰ بي يوم القيامة ، فأقوم عن يمين العرش في ظلّه ، فأكسي حلّة خضراء من حلل الجنّة .

ألا وإنّي أُخبرك يا علي إنّ أُمّتي أوّل الأمم يحاسبون يوم القيامة ، ثمّ أنت أوّل من يدعىٰ لقرابتك منّي ومنزلتك عندي ، ويدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد ، فتسير به بين السماطين ، آدم وجميع الخلق يستظلّون به يوم القيامة ، وطول مسيره ألف

سنة ، سنانه ياقوتة حمراء ، قصبته فضّة بيضاء ، زجّه درّة خضراء ، له ثلاث ذوائب من نور : ذؤابة في المشرق ، وذؤابة في المغرب ، وذؤابة في وسط الدنيا .

مكتوب عليه ثلاثة أسطر : الأوّل : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، الثاني : الحمد لله ربّ العالمين ، الثالث : لا إله إلاّ الله ، محمّد رسول الله ، طول كلّ سطر مسيرة ألف سنة[١] .

قال علي بن عيسىٰ عفى الله عنه : هكذا أورده ابن البطريق رحمه الله[٢] ، وقدرة الله لا يعظم فيها شيء من الممكنات : وتسير بلوائي ، والحسن عن يميني ، والحسين عن يسارك حتّىٰ تقف بيني وبين إبراهيم عليه السلام في ظلّ العرش ، ثمّ تكسي حلّة خضراء من الجنّة ، ثمّ ينادي مناد من تحت العرش : نعم الأب أبوك إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك علي ، أبشر يا علي فإنّك تكسي إذا كسيت ، وتدعىٰ إذا دعيت ، وتحيي إذا حييت[٣] .

وأمّا الثاني ، فلما رواه ابن البطريق بالإسناد إلى أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أُعطيت في علي خمس خصال : هنّ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها.

إلىٰ أن قال : وأمّا الثانية ، فلواء الحمد بيده وآدم عليه السلام ومن ولد تحته[٤] .

فيدخل جميع بني آدم لمكان أداة العموم ، وهي كرامة ، ولهذا افتخر بها النبيّ صلى الله عليه وآله ، وعبّر عنها بما يعبّر عن أحبّ الأشياء عرفاً به .

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٤٠ برقم : ١٥٩ .

(٢) العمدة لابن البطريق ص ٢٣٠ .

(٣) كشف الغمّة ١ : ٢٩٥ .

(٤) العمدة لابن البطريق ص ٢٣١ برقم : ٣٥٩ .

السادس عشر
انّه وارث النبيّ ﷺ بل وجميع الأنبياء

ففي أمالي الصدوق، مسنداً إلى الصادق عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أنت أخي ووارثي ووصيّي وخليفتي في أهلي وأُمّتي في حياتي وبعد مماتي، محبّك محبّي، ومبغضك مبغضي، يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمّة، يا علي أنا وأنت والأئمّة من ولدك سادة في الدنيا وملوك في الآخرة، من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله[١].

وفي الأمالي أيضاً مسنداً إلى عبد الله بن أبي أوفى، قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه وترك عليّاً عليه السلام، فقال له: آخيت بين أصحابه وتركتني، فقال: فوالذي نفسي بيده ما اخترتك إلاّ لنفسي، أنت أخي ووصيّي ووارثي، قال: ما أرث منك يا رسول الله؟ قال: ما أورث النبيّون قبلي، أورثوا كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم، وأنت وابناك معي في قصري في الجنّة[٢].

وفي الأمالي أيضاً مسنداً إلى سعيد بن جبير، عبد الله بن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: يا علي أنت صاحب حوضي، وصاحب لوائي، ومنجز عدتي، وحبيب قلبي، ووارث علمي، وأنت مستودع مواريث الأنبياء الحديث بطوله[٣].

وفي الأمالي أيضاً، عن أبي العبّاس محمّد بن إبراهيم، قال: حدّثنا أبو سعيد الحسن بن علي العدوي، قال: حدّثنا الهيثم بن عبد الله، قال: حدّثنا المأمون، عن أبيه الرشيد، عن المهدي، عن أبيه المنصور، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٧٥٥ برقم: ١٠١٥.
(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٤٢٧ برقم: ٥٦٣.
(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٣٨٢ - ٣٨٣ برقم: ٤٨٩.

عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: أنت وارثي[١].

ومن الظاهر أنّه ليس المراد من الارث إلاّ أنّ لعلي عليه السلام من الصفات ما للنبيّ صلى الله عليه وآله.

قال ابن البطريق: إعلم أنّ في هذه الأخبار دليلاً على نفي المثل عن علي عليه السلام إلاّ أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله أوّلاً؛ لأنّه قال: إنّه وارثه، لأنّ الميراث هو حقّ جعله الله لمستحقّه ليس بجعل المتوفّى له[٢].

أقول: فإذا كان ميرث الأنبياء الفضائل وهو يستحقّان من قبل الله صحّت الأفضليّة.

السابع عشر
انّه قسيم النار والجنّة

كما هو المشهور.

ففي أمالي الطوسي، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنّه كان ذات يوم جالساً بالرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين إنّك بالمكان الذي أنزلك الله عزّوجلّ به وأبوك يعذّب بالنار؟ فقال له: مه فضّ الله فاك، والذي بعث محمّداً بالحقّ لو شفّع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أبي يعذّب بالنار وابنه قسيم الجنّة والنار.

ثمّ قال: والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلق إلاّ خمسة أنوار: نور محمّد، ونوري، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين ومن ولده من الأئمّة؛ لأنّ نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى من قبل أن يخلق

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٤٤٦ - ٤٤٧ برقم: ٥٩٨.

(٢) العمدة لابن البطريق ص ٢٣٤.

آدم عليه السلام بألفي عام[١].

وروى ابن المغازلي في كتابه بإسناده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: أنت قسيم الجنّة والنار، وإنّك تقرع باب الجنّة وتدخلها بغير حساب[٢].

وروىٰ أيضاً ابن المغازلي المذكور في الكتاب، عن شريك، قال: لمّا مرض الأعمش مرضه الذي مات فيه دخل ابن شبرمة وابن أبي ليلىٰ وأبو حنيفة، فقالوا: يا أبا محمّد هذا آخر يوم من أيّام الدنيا، وأوّل يوم من أيّام الآخرة، وقد كنت تحدّث عن علي بأحاديث، وكان السلطان يعترضك عليها، وفيها تعيير بني أُميّة، ولو كنت اقتصرت لكان الرأي.

فقال لهم: ألي تقولون هذا أسندوني، فسنّدوه، فقال: حدّثني أبو المتوكّل الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة قال الله تعالىٰ لي ولعلي: أدخلا الجنّة من أحبّكما، وأدخلا النار من أبغضكما، فيجلس علي علىٰ شفير جهنّم، فيقول: هذا لي وهذا لك[٣].

ومن مناقب الخوارزمي، قال علي عليه السلام: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر: لو لا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارىٰ في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ علىٰ ملأ من المسلمين إلاّ أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك.

إلىٰ قوله: أنت تؤدّي ديني، وتقاتل علىٰ سنّتي، وأنت في الآخرة أقرب الناس منّي، وأنت غداً على الحوض خليفتي، تذود عنه المنافقين، وأنت أوّل من يرد

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٣٠٥ برقم: ٦١٢ و ص ٧٠٢ برقم: ١٤٩٩.

(٢) المناقب لابن لمغازلي ص ٦٧ برقم: ٩٧.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٣٢٧، وإحقاق الحقّ ٦: ٢١٠ عنه.

عليّ الحوض .

إلىٰ قوله : وإنّ شيعتك جيراني ، وإنّ أعداءك غداً ظمأ مظمئين ، مسوّدة وجوههم مقمحين ، حربك حربي ، وسلمك سلمي ، وسرّك سرّي ، وعلانيتك علانيتي ، وسريرة صدرك كسريرة صدري ، وأنت باب علمي ، وإنّ ولدك ولدي ، ولحمك لحمي ، ودمك دمي ، وإنّ الحقّ معك ، والحقّ علىٰ لسانك ، وفي قلبك وبين عينيك ، والايمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي ، وانّ الله عزّوجلّ أمرني أن أُبشّرك أنّك وعترتك في الجنّة ، وانّ عدوّك في النار ، لا يرد عليّ الحوض مبغض لك ، ولا يغيب عنه محبّ لك الحديث[١] .

وفيه من الدلالة على المساواة من عدّة جهات ما لا يخفىٰ ، وقد نقل الشافعي :

علي حبّه جنّة ... قسيم النار والجنّة
وصيّ المصطفىٰ حقّاً ... إمام الانس والجنّة

وقال الثقة الجليل علي بن عيسىٰ : إنّه وجد علىٰ باب مشهد صفّين :

رضيت بأن ألقى القيامة خائضاً ... دماء نفوس حاربتك جسومها
أبا حسن إن كان حبّك مدخلي ... جهنّم كان الفوز عندي جحيمها[٢]
وكيف يذوق النار من كان هو موقن[٣] ... بأنّك مولاه وأنت قسيمها[٤]

الثامن عشر

انّ الله فضّله علىٰ سائر خلقه .

فقد روى الحافظ العالم محبّ الدين محمود بن الحسن بن النجّار ، عن رجال

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٢٩ برقم : ١٤٣ .
(٢) في الكشف : جحيماً فانّ الفوز عندي جحيمها .
(٣) في الكشف : وكيف يخاف النار من بات موقناً .
(٤) كشف الغمّة ١ : ٢٦٤ .

ذكرهم ، قال : سمعت أسماء بنت عميس تقول : سمعت سيّدتي فاطمة عليها السلام تقول : دخل بي علي بن أبي طالب عليه السلام أفزعني في فراشي ، فقلت : أفزعت يا سيّدة النساء ؟ قالت : سمعت الأرض تحدّثه ويحدّثها ، فأصبحت وأنا فزعة ، فأخبرت والدي صلى الله عليه وآله ، فسجد سجدة طويلة ، ثمّ رفع رأسه وقال : يا فاطمة أبشري بطيب النسل ، فإنّ الله فضّل بعلك علىٰ سائر خلقه ، وأمر الأرض أن تحدّثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرق الأرض إلىٰ غربها[١] .

التاسع عشر

أن لا كفو لفاطمة عليها السلام غيره

ما رواه الصدوق في الأمالي مسنداً إلىٰ يونس بن ظبيان في حديث منه ، ثمّ قال : أتدري لم سمّيت فاطمة ؟ قلت : أخبرني يا سيّدي ، قال : فطمت من الشرّ ، ثمّ قال : لو لا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لما كان لها كفو علىٰ وجه الأرض آدم ومن دونه[٢] .

أقول : من دونه سواء كان في الشرف أو النسب ، أو الزمان ، فعلىٰ كلّ حال يدخل فيه آدم وأولاده ؛ لأنّ « من » من أدوات العموم ، حتّىٰ أنّ صاحب لوامع الأسرار روىٰ عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله نصب عليّاً علماً بينه وبين خلقه ، فمن عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ضالاًّ ، ومن ساواه بغيره كان مشركاً ، ومن جاء بولايته كان فائزاً ودخل الجنّة آمناً ، ومن جاء بعداوته دخل النار صاغراً[٣] .

---

(١) كشف الغمّة ١ : ٢٨٥ - ٢٨٦ عنه .

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٦٨٨ برقم : ٩٤٥ .

(٣) رواه الشيخ الطوسي في الأمالي ص ٤٨٧ برقم : ١٠٦٧ .

العشرون

انّ له ما ليس لمن قبله ولمن بعده

فمن كتاب اليقين في اختصاص مولانا علي بأمير المؤمنين ، عن موفق بن محمّد الخوارزمي ، قال : قال رسول الله ﷺ : لمّا أُسري بي إلى السماء ، ثمّ من السماء إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، وقفت بين يدي ربّي عزّوجلّ ، فقال لي : يا محمّد ؟ فقلت : لبّيك وسعديك ، قال : قد بلوت خلقي فأيّهم رأيت أطوع لك ؟ قلت : ربّ عليّاً ، قال : صدقت يا محمّد ، فهل اتّخذت لنفسك خليفة يؤدّي عنك ويعلم عبادي من كتابي ما لا يعلمون ؟ قال : قلت : اختر لي فإنّ خيرتك خيرتي .

قال : قد اخترت لك عليّاً ، فاتّخذه لنفسك خليفة ووصيّاً ، ونحلته علمي وحلمي ، وهو أمير المؤمنين حقّاً ، لم ينلها أحد قبله وليست لأحد بعده ، يا محمّد علي راية الهدىٰ ، وإمام من أطاعني ، ونور أوليائي ، وهي الكلمة التي ألزمتها المتّقين ، من أحبّه فقد أحبّني ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، فبشّره بذلك يا محمّد .

فقال النبيّ ﷺ : قلت ربّي قد بشّرته ، فقال علي عليه السلام : إنّي عبد الله وفي قبضته إن يعاقبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً ، وإن تمّم لي وعدي فالله مولاي ، قال : أجل واجعل ربيعة الايمان به ، قال : قد فعلت ذلك به يا محمّد ، غير أنّي محصته بشيء من البلاء لم أخصّ به أحداً من أوليائي .

قال : قلت : ربّي أخي وصاحبي ، قال : قد سبق في علمي أنّه مبتلىٰ ، لو لا علي لم يعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي [١] .

قلت : والحديث دلّ لأمير المؤمنين عليه السلام علىٰ مناقب :

منها : قوله تعالىٰ : نحلته علمي وحلمي .

---

(١) اليقين في امرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ٢٢ - ٢٣ الباب : ٢٢ .

ومنها : أنّه أمير المؤمنين حقّاً .

ومنها : أنّه لم ينلها أحد قبله ولا بعده .

ومنها : أنّه نور أوليائه تعالىٰ .

ومنها : أنّه الكلمة التي ألزمها المتّقين .

ومنها : أنّ من أحبّه عليه السلام فقد أحبّ الله تعالىٰ ، ومن أبغضه فقد أبغضه .

ومنها : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعظم شفقته ومحبّته تألّم لاختصاص الله تعالىٰ إيّاه بالبلاء مقدّماً إليه في الشفاعة أنّه أخوه وصاحبه .

ومنها : أنّه لو لا علي لم يعرف حزب الله ولا أولياؤه ولا أولياء رسله .

وفي أمالي الطوسي ، عن زيد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي عليه السلام ، قال : كان لي من النبيّ صلى الله عليه وآله عشر لم يعطهنّ أحد قبلي ولا يعطاهنّ أحد بعدي ، قال لي : يا علي أنت أخي في الدنيا ، وأخي في الآخرة ، وأنت أقرب الناس منّي موقفاً يوم القيامة ، ومنزلي ومنزلك في الجنّة متواجهان كمنزل الأخوين ، وأنت الوصيّ ، وأنا الوليّ والوارث ، وأنت الوزير ، عدوّك عدوّي ، وعدوّي عدوّ الله ، ووليّك وليّي ، ووليّي وليّ الله[1] .

ومن أمالي الطوسي أيضاً ، عن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في منبر الكوفة : أيّها الناس إنّه كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشر خصال ، لهنّ أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس ، قال لي النبيّ صلى الله عليه وآله : يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة ، وأنت أقرب الخلائق إليّ يوم القيامة في الموقف بين يدي الجبّار ، ومنزلك في الجنّة مواجه منزلي ، كما تتواجه منازل الأخوان في الله ، وأنت الوارث منّي ، وأنت الوصيّ من بعدي في عداتي وأُسرتي ، وأنت الحافظ لي

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ١٣٧ برقم : ٢٢٢ .

في أهلي عند غيبتي ، وأنت الامام لأُمّتي ، والقائم بالقسط في رعيّتي ، وأنت وليّي، وليّك وليّي ، ووليّي وليّ الله ، وعدوّك عدوّي ، وعدوّي عدوّ الله[١] .

إن قلت : إذا كان له من النبيّ ﷺ تلك العشرة لا يلزم أن لا يكون لغيره من النبيّ غيرها . سلّمنا لكن لم لا يلزم أن لا يكون من غير النبيّ ﷺ مثلها ؟

قلت : وإن لم يلزم ، لكن قد اشتمل الحديث على امتيازه بهذه الخصال من مثل ذلك النبيّ ﷺ، وهو كاف في تفرّده بما ليس لغيره ، كما يدلّ عليه نصّ « لم يعطهنّ قبلي ولا يعطاهنّ أحد بعدي » .

الحادي والعشرون
انّه سيّد المسلمين

ففي أمالي الطوسي ، عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : لمّا أُسري بي إلى السماء ، وانتهيت إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، نوديت : يا محمّد استوص بعلي خيراً ، فإنّه سيّد المسلمين ، وإمام المتّقين ، وقائد الغرّ المحجّلين يوم القيامة[٢] .

وفي المناقب : عن أنس في حديث منه : يا أنس أوّل من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين ، وسيّد المسلمين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، قال : قلت : اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار وكتمته ، إذ جاء علي عليه السلام ، فقال : من هذا يا أنس ؟ فقلت: علي[٣] .

وروى الثقة الجليل علي بن عيسىٰ مرفوعاً إلى الصادق عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : لمّا أُسري بي إلى السماء ، وانتهيت إلىٰ سدرة المنتهىٰ نوديت : يا

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ١٩٤ برقم : ٣٢٩.
(٢) الأمالي للشيخ الطوسي ص ١٩٣ برقم : ٣٢٨.
(٣) المناقب للخوارزمي ص ٨٥ برقم : ٧٥.

محمّد استوص بعلي خيراً، فإنّه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين[١].

وروى ابن المغازلي من عدّة طرق باسأنيده ومعناها واحد.

فمنها: قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي إنّك سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين[٢].

أقول: ورويت هذا المضمون بقريب من مائة طريق، وإفادة كونه سيّد المسلمين للأفضليّة يتنقّح بمقدّمات:

الأُولىٰ: عموم لفظ «المسلمين» لمكان اللام، وقد حلّي به الجمع.

الثانية: أنّ إبراهيم عليه السلام مسلم؛ لقوله تعالىٰ ﴿ما كان إبراهيم يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾[٣].

الثالثة: أنّه كلّما دخل إبراهيم عليه السلام دخل باقي الأنبياء عليهم السلام. أمّا أُولي العزم فللاجماع المركّب؛ لعدم القائل بالفرق. وأمّا باقي الأنبياء فبطريق أولىٰ، بل في جميع من عدا إبراهيم عليه السلام بالطريق الأولىٰ؛ لعلوّ شأنه وسموّ مكانه.

الثاني والعشرون
إنّه إمام المتّقين

قال شرف العترة علي بن طاووس في كتاب اليقين في اختصاص مولانا علي بأمير المؤمنين: وممّا نقلت من تاريخ الخطيب مرفوعاً إلى ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة، قال: فقام عمّه العبّاس، وقال: فداك أبي وأُمّي أنت ومن؟

---

(١) كشف الغمّة ١: ٣٩١.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٦٥ برقم: ٩٣.

(٣) آل عمران: ٦٧.

قال : أمّا أنا فعلىٰ دابّة الله البراق ، وأمّا أخي صالح فعلىٰ ناقة الله التي عقرت ، وعمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله علىٰ ناقتي العضباء ، وأخي وابن عمّي علي بن أبي طالب علىٰ ناقة من نوق الجنّة ، مدبّجة الظهر ، رجلها من زمرّد أخضر ، مضبّب بالذهب الأحمر ، رأسها من الكافور الأبيض ، وذنبها من العنبر الأشهب ، وقوائمها من المسك الأذفر ، وعنقها[١] من لؤلؤ عليها قبّة من نور ، باطنها عفو الله ، وظاهرها رحمة الله ، بيده لواء الحمد ، فلا يمرّ بملأ من الملائكة إلاّ قالوا : هذا ملك مقرّب ، أو نبيّ مرسل ، أو حامل عرش ربّ العالمين .

فينادي مناد من بطنان العرش : ليس هذا ملكاً مقرّباً ، ولا نبيّاً مرسلاً ، ولا حاملاً عرش ربّ العالمين ، هذا علي بن أبي طالب ، أمير المؤمنين ، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين ، إلىٰ جنّات ربّ العالمين ، أفلح من صدّقه ، وخاب من كذّبه ، ولو أنّ عبداً عبد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام حتّىٰ يكون كالشنّ البالي ، ولقي الله مبغضاً لآل محمّد ، أكبّه الله علىٰ منخريه في النار[٢] .

قلت : واستبعاد وجود ناقة بهذه الصفة ذات حياة بعيد ؛ لأنّ الحياة عرض يحلّ بالجسم المركّب علىٰ بنية مخصوصة ، يقتضي صحّة القدرة والعلم منها على اختلاف بينهم في أنّها اعتدال المزاج النوعي ، أعني : ما يليق بكلّ نوع من أنواع الحيوان ، كما يشعر به كلام صاحب المحصّل ، أو قوّة يتبعه مشروطة به ، علىٰ ما هو مذهب العلاّمة .

وحينئذ فهل هي نفس قوّة النفس[٣] والحركة ؟ كما هو رأي البعض ، أو مغايرة لها؟ كما اختاره ابن سينا .

---

(١) في اليقين : وعرفها .

(٢) اليقين في إمرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ١٨ - ١٩ الباب : ١٦ .

(٣) الحسّ - خ ل .

واحترزنا بالجسم عن الجوهر الفرد وأخويه، وبالمركّب عن البسيط، فشرطها البيّنة المخصوصة عند من عدا الأشاعرة، وهي عند الحكماء الجسم المركّب من العناصر الأربعة، وعند المتكلّمين عبارة عن اجتماع الأجزاء التي يقوم بها تأليف خاصّ لا يمكن تركّب الحيوان من أقلّ منها، وهي بكلّ من الاعتبارين موجودة في الناقة المذكورة.

وروىٰ أبو نعيم الأصفهاني أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام يوماً: مرحباً بسيّد المسلمين، وإمام المتّقين[١].

ولا ريب في أنّ كلاًّ من الأنبياء متّقٍ، والجمع محلّىٰ باللام، فنعم ما قال ابن طلحة: وإذا وصفه بكونه إمام أهل التقوىٰ كان مقدّماً عليهم بزيادة تقواه، فالتقوىٰ ثابتة بصفة الزيادة علىٰ غيره من المتّقين[٢].

وقد قال الله تعالىٰ ﴿ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[٣].

قال آية الله العلاّمة في كتاب الألفين: والتقوىٰ أشرف المقامات[٤].

قلت: نعم لقوله تعالىٰ ﴿ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فكيف بسيّد المتّقين.

الثالث والعشرون

إنّ الله لا يقبل عمل عبد إلاّ بمودّته ولا يجوز أحد على الصراط إلاّ بجواز ولايته ولا يدخل الجنة إلاّ بجوازه

يدلّ على الأوّل ما في أمالي الشيخ الطوسي، عن ابن عبّاس، فقلت: يا رسول الله أوصني، فقال: عليك بحبّ علي بن أبي طالب، قلت: يا رسول الله

---

(١) حلية الأولياء ١: ٦٦.

(٢) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ١: ٧٠.

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) الألفين ص ٣٤٦.

أوصني ، قال : عليك بمودّة علي بن أبي طالب ، والذي بعثني بالحقّ إنّ الله لا يقبل من عبد حسنة حتّىٰ يسأله عن حبّ علي بن أبي طالب ، وهو تعالىٰ أعلم ، فإن جاء بولايته قبل عمله علىٰ ما كان منه ، وإن لم يأت بولايته لم يقبله ثمّ أمر به إلى النار ، يابن عبّاس والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ النار لأشدّ غضباً علىٰ مبغض علي ممّن زعم أنّ لله ولداً .

يابن عبّاس لو أنّ الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين أجمعوا علىٰ بغضه ولم يفعلوا لعذّبهم الله بالنار .

قلت : يا رسول الله وهل يبغضه أحد ؟ فقال : نعم يبغضه قوم يذكرون أنّهم من أُمّتي لم يجعل الله لهم في الاسلام نصيباً .

يابن عبّاس إنّ من علامة بغضهم له تفضيلهم عليه من هو دونه ، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً ما خلق الله تعالىٰ نبيّاً أكرم منّي ولا وصيّاً أكرم منّي من وصيّي علي[١] .

وقد اشتمل الحديث علىٰ فوائد :

الأُولىٰ : الوصيّة بالمودّة له عليه السلام المؤكّدة بالتكرار .

الثانية : عدم قبوله تعالىٰ حسنة إلاّ بعد السؤال عن مودّته ، وهو في معنى الحديث المشهور : « حبّ علي حسنة لا يضرّ معها سيّئة ، وبغضه سيّئة لا ينفع معها حسنة »[٢] .

وقد ذكر الشيخ المفيد طاب ثراه ما ملخّصه : أنّ في الحديث وجوهاً خمسة :

أحدها : أنّ محبّته ومواليه إذا اقترف خطيئة أو اكتسبت إنّما كانت المحبّة لطفاً في تمحيص الذنب وتكفير السيّئات ، بأن لا يخرج صاحبها من دار الدنيا إلاّ موفّقاً للتوبة منها ، أو مبتلاً في نفسه أو ماله ، فإن سلم منهما أخافه وأحزنه أو

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ١٠٥ - ١٠٦ برقم : ١٦١ .

(٢) راجع : بحار الأنوار ٣٩ : ٢٥٦ و ٢٦٦ و ٣٠٤ .

أعمّه، فإن لم يكن عسّر عليه نزعه وصعّبه، حتّىٰ يخرج من الدنيا ولا ذنب له جزاءً لمحبّته، وبذلك ورد الأثر عن الصادق عليه السلام.

الثانية: أنّ المنفيّ مقيّد، أي: لا يضرّ ضرراً يدخل صاحبها النار، وذلك لأنّه تعالىٰ حرّم لحم محبّ علي عليه السلام على النار، فإن ارتكب موبقة واحدة عليها في القبر أو البرزخ ليرد القيامة وهو خالص، وبذلك ورد الأثر عن آل محمّد عليهم السلام.

قلت: فيكون ثواب المطيعين.

الثالثة: أشدّيّة غضب النار علىٰ مبغضه من الزاعم أنّ لله ولد المؤكّد باليمين.

الرابعة: الاخبار بأنّ الملائكة والمرسلين لو اجتمعوا علىٰ بغضه لعذّبهم الله بالنار.

الخامسة: أنّهم لا يفعلوه لعصمتهم، وعلىٰ تقدير عدمها أيضاً لا يتصوّر ذلك منهم لما أهّلهم الله به من العقول التي استحقّوا معها إفاضتها عليهم، مع ما شهر الله تعالىٰ من فضله.

السادسة: أنّ من علامة مبغضه التفضيل عليه، فليثبت المنصف فإنّها مزلقة داحضة.

وممّا يدلّ على الثاني في أخبار أبي محمّد الفحّام، برواية شيخنا الامام أبي جعفر الطوسي، عن أنس بن مالك، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط علىٰ جهنّم لم يجز عليه إلاّ من معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب، وذلك قوله تعالىٰ ﴿ وقفوهم إنّهم مسؤولون ﴾[1] عن ولاية علي بن أبي طالب[2].

ومن ذلك ما رواه الشافعي ابن المغازلي في كتابه أيضاً من عدّة طرق

---

(١) الصافّات: ٢٤.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٩٠ برقم: ٥٦٤.

بأسانيدها عن النبيّ ﷺ والمعنىٰ متقارب، منها: أنّ النبيّ ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط علىٰ شفير جهنّم لم يجز عليه إلاّ من معه كتاب ولاية علي بن أبي طالب[١].

وفي بعض رواياتهم من عدّة طرق بأسانيدها إلى النبيّ ﷺ: لم يجز على الصراط إلاّ من معه جواز من علي بن أبي طالب[٢].

ومن المناقب، عن الحسن البصري، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد علي بن أبي طالب على الفردوس، وهو حبل قد علا على الجنّة، وفوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تنفجر أنهار الجنّة، وتتفرّق في الجنان، وهو جالس علىٰ كرسيّ من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد على الصراط إلاّ ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنّة، فيدخل محبّيه الجنّة، ومبغضيه النار[٣].

وممّا يرشد إلى الثالث ما في مناقب الفقيه ابن المغازلي، بالاسناد إلى ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: علي يوم القيامة على الحوض، لا يدخل الجنّة يوم القيامة إلاّ من جاء بجواز من علي بن أبي طالب[٤].

الرابع والعشرون
جعل رسول الله ﷺ إيّاه بمنزلة أشرف أعضائه

وأراد به لوازمه؛ لامتناع حمل اللفظ علىٰ حقيقته، وكنّىٰ بذلك عن مشاركته بأخصّ فضائله، والرأس موضع أكثر الكمالات من الفهم والادراك والعقل والعلم

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٢٤٢ برقم: ٢٨٩.

(٢) راجع: إحقاق الحقّ ٧: ١١٤ - ١٢١.

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٧١ برقم: ٤٨.

(٤) المناقب لابن المغازلي ص ١١٩ برقم: ١٥٦.

والنطق ، وجميع الحواسّ الباطنة على القول بوجودها ، وهو ظاهر .

وعلىٰ كلّ حال فمنكرها لا ينفي آثارها ، وإن قصّر بسببها تلك الآثار عليها .

وأمّا الظاهرة ، فلا ريب في اختصاص الأربعة به بخلاف اللمس ، وهو أيضاً فيه؛ لأنّه قوّة منبثّة في جميع البدن .

ففي المناقب ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : علي منّي مثل رأسي من بدني[١] .

الخامس والعشرون

أنّ إيمانه يرجّح على إيمان غيره

فمن ذلك : في جامع الأخبار ، قال النبيّ ﷺ : لو وزن إيمان علي بإيمان أهل الأرض لرجّح إيمان علي[٢] .

ومن مناقب الخوارزمي ، عن فخر خوارزم أبـي القـاسم محمود بـن عـمر الزمخشري ، عن رجاله ، قال : جاء رجلان إلىٰ عمر ، فقالا له : ما ترىٰ في طلاق الأمة ؟ فقام إلىٰ حلقة فيها رجل أصلع ، فقال : ما ترىٰ في طلاق الأمة ؟ فقال : اثنتان ، فالتفت إليهما وقال : اثنتان ، فقال له أحدهما : جئناك وأنت أمير المؤمنين فسألناك عن طلاق الأمة ، فجئت إلىٰ رجل فسألته ، فوالله ما كلّمتك ، قال عمر : ويلك أتدري من هذا ؟ هذا علي بن أبي طالب ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لو أنّ السماوات والأرضين السبع وضعت في كفّة ووزن إيمان علي لرجّح إيـمان علي[٣] .

ومن المناقب أيضاً ، عن عمر بن الخطّاب ، قال : أشهد علىٰ رسول الله ﷺ

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٤٤ برقم : ١٦٧ .

(٢) جامع الأخبار ص ٥٣ برقم : ٦١ .

(٣) المناقب للخوارزمي ص ١٣١ برقم : ١٤٥ .

سمعته يقول : لو أنّ السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفّة ميزان ، ووضع إيمان علي في كفّة ميزان ، لرجّح إيمان علي[١] .

السادس والعشرون

الأدلّة المستخرجة من أحواله من الزهد والعبادة والعلم والشجاعة

فإنّ التواريخ والسير مملوءة من أحوال الأنبياء المتقدّمين والمتأخّرين علماً وعملاً ، ولم ينقل عن واحد من الأنبياء عليهم السلام ما نقل عنه عليه السلام مع توفّر الدواعي علىٰ نقله .

فمن الزهد قوله عليه السلام : يا دنيا يا دنيا إليك عنّي ، أم إليّ تشوّقت ، لا حان حينك ، هيئات هيئات غرّي غيري ، لا حاجة لي فيك ، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعيشك قصير ، وخطرك يسير ، وأملك حقير[٢] .

وقال عليه السلام : وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعلي ولنعيم يفنىٰ ، ولذّة لا تبقىٰ[٣] .

وقال عليه السلام : ولا لقيت دنياكم عندي هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم[٤] .

وأمّا العبادة ، فقد نقل عن علي بن الحسين عليهما السلام أنّه كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكان يأخذ صحيفة عبادة علي عليه السلام ، ثمّ يدعها من يده

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٣١ برقم : ١٤٦ .

(٢) نهج البلاغة ص ٤٨٠ - ٤٨١ رقم الحديث : ٧٧ .

(٣) نهج البلاغة ص ٣٤٧ من كلامه برقم : ٢٢٤ .

(٤) نهج البلاغة ص ٥١٠ رقم الحديث : ٢٣٦ .

متضجّراً، ويقول للباقر عليه السلام : أنّى لأبيك وعبادة علي[١] .

وأمّا العلم ، ففي خبر الحارث بن همدان يقول علي عليه السلام : استودعت ألف مفتاح ، يفتح كلّ مفتاح لي ألف باب ، يفضي كلّ باب إلى ألف ألف عهد[٢] .

وجميع العلوم منه أُخذت وعنه نقلت ، ولقد قال : لو ثنيت لي الوسادة الحديث[٣] .

وأمّا الشجاعة ، فعنه من الضروريّات التي لا يختلف فيها اثنان ، ولم يعهد من زمن آدم عليه السلام إلى زماننا هذا أحد بشجاعته ، حتّى قال خير المرسلين كجبريل الأمين : لا فتىٰ إلاّ علي لا سيف إلاّ ذو الفقار .

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب : لضربة علي خير من عبادة الثقلين . اعترف له بها المخالف والمؤالف ، والعدوّ والصديق .

ونحن إذا رجعنا الفضائل وجدناها : إمّا نفسانيّة ، أو بدنيّة ، أو خارجيّة . وعلى التقديرين الأوّلين : فإمّا أن يكون متعلّقة بالشخص نفسه ، أو غيره .

الأوّل : الفضائل النفسانيّة المتعلّقة به ، كعلمه وزهده وكرمه وحلمه ، فهي أظهر من أن تخفىٰ .

الأوّل : النفسانيّة اللازمة ، ومنها العلم ، وهو أعلم ، فيكون أفضل .

أمّا الأُولىٰ ، فلما رواه الصدوق في أماليه أيضاً مسنداً إلىٰ أبي الجارود ، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام ، قال : لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[٤] قام رجلان من مجلسهما ، فقالا : يا رسول الله هو التوراة ؟ قال : لا ، قالا : فهو الانجيل ؟ قال : لا ، قالا : فهو الفرقان ؟

---

(١) بحار الأنوار ٤٦ : ٧٥ ح ٦٥ .

(٢) بحار الأنوار ٢٧ : ١٦٠ .

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٩١ برقم : ٨٥ .

(٤) يس : ١٢ .

قال : لا ، قال : فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هو هذا إنّه الامام الذي أحصى الله تبارك وتعالىٰ فيه علم كلّ شيء[١] .

وفي كتاب منبع الغرر ومجمع الدرر لأبي فراس عبد الرحيم التميمي العنبري ، بالإسناد إلىٰ علي بن الحسين عليهما السلام ، عن جدّه عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : علي أعلم الناس بالله ، وأشدّ الناس حبّاً وتعظيماً لأهل لا إله إلاّ الله[٢] .

ولما مرّ من أنّه جرىٰ له من الفضل ما جرىٰ لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ولأنّه وارث علمه .

وفي المناقب مرفوعاً عن شهردار الديلمي الهمداني ، يرفعه إلىٰ عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قسّمت الحكمة عشرة أجزاء ، فأُعطي علي تسعة ، والناس جزءً واحداً[٣] .

وراه الحافظ أبو نعيم في الحلية[٤] .

وروى الترمذي في صحيحه ، وذكره البصري في المصابيح : أنا دار الحكمة وعلي بابها[٥] .

قال محمّد بن الخطيب الرازي في أربعينه في أفضليّته عليه السلام : نقل عن علي عليه السلام أنّه قال : والله لو كسرت لي الوسادة ، ثمّ جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ، والانجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، والله ما من آية نزلت في بحر ولا برّ ولا سهل ولا جبل ولا سماء ولا

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٣٥ برقم : ٢٥٠ .

(٢) لم أعثر علىٰ كتاب منبع الغرر ومجمع الدرر .

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٨٢ برقم : ٦٨ .

(٤) حلية الأولياء ١ : ٦٥ .

(٥) صحيح الترمذي ٥ : ٥٩٦ برقم : ٣٧٢٣ .

أرض ولا ليل ولا نهار إلاّ وأنا أعلم في من نزلت ، وفي أيّ شيء نزلت .

ثمّ قال : طعن أبو هاشم في هذا ، وقال : التوراة منسوخة ، فكيف يجوز الحكم بها ؟ الجواب من وجوه :

الأوّل : لعلّ المراد شرح كمال علمه بتلك الأحكام المنسوخة على التفصيل بالأحكام الناسخة الواردة في القرآن .

الثاني : لعلّ المراد أن قضاة اليهود والنصارىٰ متمكّنون من الحكم والقضاء علىٰ وفق أديانهم بعد بذل الجزية ، فكان المراد أنّه لو جاز للمسلم ذلك لكان هو قادر عليه .

الثالث : لعلّ المراد أن يستخرج من التوراة والانجيل نصوصاً دالّة علىٰ نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ، فكان ذلك قويّاً في التمسّك بها[١] .

ولما في الكافي : إنّ رجلاً قال لأبي جعفر : يابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيّين ؟ قال أبو جعفر عليه السلام : اسمعوا ما يقول ، إنّ الله يفتح مسامع من يشاء ، إنّي حدّثته أنّ الله تعالىٰ جمع لمحمّد صلى الله عليه وآله علم النبيّين ، وأنّه جمع ذلك كلّه عند أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله ، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيّين ؟![٢] .

ومن ذلك ما رواه ابن المغازلي بإسناده ، عن ابن عبّاس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أتاني جبرئيل عليه السلام بدرنوك من الجنّة ، فجلست عليه ، فلمّا صرت بين يدي ربّي كلّمني وناجاني ، فما علّمني شيئاً إلاّ علّمته عليّاً ، فهو باب مدينة علمي ، ثمّ دعاه إليه ، فقال له : يا علي سلمك سلمي ، وحربك حربي ، وأنت العلم فيما بيني وبين أُمّتي من بعدي[٣] .

---

(١) الأربعين للرازي ٤٦٥ - ٤٦٨ ، والطرائف ص ٥١٧ عنه .

(٢) أُصول الكافي ١ : ٢٢٣ ح ٦ .

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ٥٠ برقم : ٧٣ .

فقد ثبت بهذه الأحاديث أنّ له علم رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ أعلم اتّفاقاً.

وفي الكافي عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام: ما بعث الله نبيّاً إلاّ ومحمّد أعلم منه[١]. فيكون أعلم.

وأمّا الثانية، فلقوله تعالىٰ ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[٢] وإذا انتفت المساواة ثبت الرجحان؛ لامتناع المرجوحيّة، ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً من ذلك، ولكن ليطمئنّ قلبي، والباقي علىٰ هذا القياس.

قال طاووس آل طاووس رحمه الله في طرائفه: ومن عجيب آيات الله جلّ جلاله في مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام ومعجزات رسول الله ﷺ، أنّ أصحاب التواريخ وجماعة من علماء الاسلام ذكروا أنّ عليّاً عليه السلام قال علىٰ رؤوس الأشهاد بمحضر الأعداء والحسّاد: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلاّ أخبرتكم به.

وقد تقدّم في قريب من كرّاس الثاني من هذا الكتاب حديث أبي بكر بن مردويه المخالف لأهل البيت عليهم السلام بتصديق ذلك، وتقدّم أيضاً من رواية ابن حنبل وصحيح مسلم وغيره بتصديق ما حكيناه عنه.

وتحقيق ما ذكرناه أنّه سمع منه، وذكر أيضاً صاحب نهج البلاغة في أواخر الجزء الأوّل منه في جملة خطبة خطبها علي بن أبي طالب عليه السلام ما هذا لفظه: والله لو شئت أن أُخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله ﷺ.

ألا وإنّي مفضية إلى الخاصّة ممّن يؤمن ذلك منه، والذي بعثه بالحقّ واصطفاه

---

(١) أُصول الكافي ١: ٢٢٦ ح ٧.

(٢) الزمر: ٩.

على الخلق ما أنطق إلاّ صادقاً ، ولقد عهد إليّ بذلك كلّه ، وبمهلك من يهلك ، ومنجىٰ من ينجي ، ومآل هذا الأمر ، وما أبقىٰ شيئاً يمرّ علىٰ رأسي إلاّ أفرغه في أُذني وأفضىٰ به إليّ ، أيّها الناس ما أحثّكم علىٰ طاعة إلاّ وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن معصية إلاّ وأنهاكم عن معصية إلاّ وأتناهىٰ قبلكم عنها ، هذا آخر الخطبة المذكورة[١] .

ومن ذلك عدّة عجائب :

منها : أنّ هذا مقام لم يبلغه ولا ادّعاه أحد من القرابة والصحابة قبله ولا بعده ، بل ما تحقّقنا مثله عن نبيّ سابق ، ولا وصيّ لاحق ، وأقصىٰ ما عرفناه عن أحد من الأنبياء والأولياء في نحو ما علمه علي بن أبي طالب عليه السلام من الأشياء قول عيسىٰ عليه السلام ﴿ وأُنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم ﴾[٢] وهذه منقبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام باهرة ، ومعجزة للرسول قاهرة .

ومن عجائبه في هذا القول المذكور أنّه قال ذلك علىٰ رؤوس الأشهاد ، وبمحضر الأعداء والحسّاد ، فكأنّه تحدّىٰ به من سمعه ومن سيبلغه من العباد وجعله حجّة لله تعالىٰ ولرسوله إلىٰ يوم المعاد[٣] .

الثاني : النفسانيّة الواصلة إلىٰ غيره ، فإنّه لم ينقل عن أحد ظهور العلم واستفادته منه ، كما ظهر عنه عليه السلام .

الثالث : البدنيّة اللازمة كالعبادة . وفي إرشاد المفيد رحمه الله بالإسناد إلىٰ زياد بن رستم ، قال : كنت عند الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام ، فذكر أمير المؤمنين عليه السلام ، فأطراه ومدحه بما هو أهله ، ثمّ قال : والله ما أكل علي بن أبي طالب حراماً قطّ

---

(١) نهج البلاغة ص ٢٥٠ رقم الخطبة : ١٧٥ .

(٢) آل عمران : ٤٩ .

(٣) الطرائف في معرفة المذاهب ص ٥٠٨ - ٥١٠ .

حتّىٰ مضىٰ لسبيله ، وما عرض له أمران قطّ هما لله رضىً إلاّ أخذ بأشدّهما عليه في دينه ، وما نزلت برسول الله ﷺ نازلة إلاّ دعاه فقدّمه ثقة به ، وما أطاق عمل رسول الله ﷺ من هذه الأُمّة غيره ، وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنّة والنار ، يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه .

ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار ، ممّا كدّ بيديه ، ورشح منه جبينه ، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخلّ والعجوة ، وما كان لباسه إلاّ الكرابيس ، إذا فضل شيء عن يده من كمّه دعا بالجلم[١] فقصّه ، وما أشبهه من ولده وأهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليهما السلام .

ولقد دخل ابنه أبو جعفر عليه السلام ، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد ، فرآه قد اصفرّ لونه من السهر ، ورمضت عيناه من البكاء ، ودبرت جبهته ، وانخرم أنفه من السجود ، ورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة ، فقال أبو جعفر عليه السلام : فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء ، فبكيت رحمة له ، فإذا هو يفكّر ، فالتفت إليّ بعد هنيهة من دخولي ، فقال : يا بنيّ أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب ، فأعطيته إيّاها ، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ، ثمّ تركها قائلاً : من يقوى علىٰ عبادة علي بن أبي طالب[٢] . وقد مرّ شيء منها .

وأمّا الشجاعة ، ففي منهاج الكرامة : وفيه قال رسول الله ﷺ : قتل علي لعمرو بن عبد ودّ أفضل من عبادة الثقلين[٣] .

---

(١) الجلم : الذي يجزّ به الشعر والصوف كالمقص .

(٢) الارشاد للشيخ المفيد ٢ : ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) منهاج الكرامة ، الطبع الحجري غير مرقّم الصفحات .

وفي كشف المراد : لضربة علي خير من عبادة الثقلين[١] .

وقال في اللوامع : ضربته لعمرو بن عبد ودّ التي قال فيها رسول الله ﷺ : لضربة علي يوم الأحزاب أفضل من عبادة الثقلين[٢] .

وفي كتاب الأربعين لإمام الأشاعرة فخر الرازي : ألا ترىٰ إلىٰ قوله ﷺ يوم الأحزاب : لضربة علي بن أبي طالب خير من عبادة الثقلين[٣] .

ومتىٰ كانت ضربة من ضرباته بهذه المثابة ، فكيف بمجاهداته ومبارزاته ، ولم ينقل عن أحد من الأنبياء الإقدام علىٰ توطين النفس الشريف على القتل كإسماعيل ، حتّىٰ مدحه الله به وافتخر به رسول الله ﷺ بقوله « أنا ابن الذبيحين » يعني : إسماعيل وعبد الله ، وقصّته مشهورة يطول شرحها يعرفها أهل السير ، وانّ أباه عبد المطّلب فداه بمائة ناقة حمراء ، والقول بأنّ الذبيح هو إسحاق ضعيف .

وقد أثبت الشيخ المفيد رحمه الله[٤] أنّ مبيت علي عليه السلام على الفراش الذي قال ابن الأثير في كتاب الانصاف في الجمع بين الكشف والكشّاف أنّ في ليلة المبيت باهى الله تعالىٰ بعلي ، وأرسل جبرئيل وميكائيل لحفظه ، جبرئيل عند رأسه ، وميكائيل عند رجليه ، حتّىٰ قال جبرئيل : بخ بخ لك يا علي من ملك ، وقد باهى الله بك الملائكة[٥] .

أعظم منه ما نقله المرتضىٰ علم الهدىٰ عنه في الفصول المختارة بما مضمونه : أنّ واقعة إسماعيل إنّما كانت مع علمه بأنّه بأمر الله تعالىٰ ، وأنّ المباشر مثل أبيه ،

---

(١) كشف المراد ص ٣٨٣ .

(٢) اللوامع الالٰهيّة ص ٣٤٧ .

(٣) الطرائف ص ٥١٩ عنه .

(٤) الارشاد ١ : ٥١ .

(٥) كتاب الانصاف في الجمع بين الكشف والكشّاف ، لم أعثر عليه .

مع العلم باشفاق الوالد مراقبة به ورحمته له ، مع قيام القرائن بأنّه محض امتحان من غير امضاء للعزم على ايقاع .

وعلى تقديره فالمتوقّع ارتكاب أهون صور القتل لمكان شفقة الأُبوّة وخلوّها عن مثل خلاص هذا النبيّ العظيم مع طمعه بعفو الله تعالىٰ عند ظهور الانقياد ، إذ هو من قبله تعالىٰ .

وابتلاء علي عليه السلام إنّما كان بايثار النبيّ صلى الله عليه وآله بالحياة والتعرّض لستر أعداء عدوّ النبيّ ، وتمكين قلوب عطشىٰ على قتل النبيّ صلى الله عليه وآله بأصعب وجوهه ، مع جهدهم علىٰ إهلاك النبيّ أصالة ومن تابعه ببيعته ، لا سيّما إذا انضمّ إلىٰ ذلك تفويت من هو مقصود بالذات من أكباد جرىٰ على المثلة به ما بلغ وجوهها من غير أن تأخذهم في ذلك لومة لائم ، مع مقاربة أسباب وقوع ذلك ، وتمكينهم منه بأتمّ الوجوه ، وما يقارنه من شدّة الحقد السالف من متابعته للنبيّ ، وكفالة أبيه إيّاه وفداه صابراً المضاف إلىٰ هذا ، ولم يكن عن وحي ولا إلزام ، بل بمحض التبرّع ، وشأن ما بين من يسلم نفسه إلىٰ أشفق الخلق المظنون منه التحاشي عن ايقاع أدنىٰ ضرر ، فكيف يقتل أعزّ الخلق عليه أعني ولده ، ومن تسليم نفسه للعدوّ المناصب والبغيض المعاند الذي يريد أن يشفي نفسه ولا يبلغ الغاية شفائها إلاّ بنهاية التنكيل وغاية الأذىٰ بضروب الأنام .

شتّان ما بينىٰ علىٰ كورها وبين حيّان أخي جابر

ثمّ دفع رضوان الله عليه شبهة المستبعد لتفضيل علي عليه السلام على الأنبياء بما صورته : إنّ الحجّة إذا قامت علىٰ فضل أمير المؤمنين عليه السلام ولاح علىٰ ذلك البرهان ، وجب علينا القول به وترك الخلاف فيه ، ولم يوحشنا منه الخلاف العامّة الجهّال ، وليس في تفضيل سيّد الوصيّين وإمام المتّقين وأخي رسول ربّ العالمين، وهو سيّد المرسلين ، ونفسه بمحكم التنزيل ، وناصره في الدين ، وأبو

ذرّيّته الأئمّة الراشدين الميامين علىٰ أحد من الأنبياء المتقدّمين ما يخيّله العقل، أو يمنع منه السنّة، أو يردّه القياس، أو يبطله الاجماع؛ إذ عليه جمهور الشيعة، وقد نقلوا ذلك عن الأئمّة من ذرّيّته، وإذا لم يكن الأخلاق الناصّة أو المستضعفين، فلا يمنع الخلاف من القول به.

ثمّ قال ما هذا مضمونه: لا يقال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد كان عالماً بأنّ قريشاً تريد غيره، وليس غرضها قتله، وإنّما قصدها الرسول صلى الله عليه وآله، فكان علىٰ ثقة من السلامة بخلاف إسماعيل لتحقّق حلول الذبح من حيث امتثال الأمر، وإن كان ممّا رأىٰ في المنام.

لأنّا نقول: قضاء العادة الجارية بشدّة غيظ قريش على النبيّ صلى الله عليه وآله، فكيف بمن فوّتهم غرضهم في مطلبهم، وحال بينهم وبين مرادهم من عدوّهم يبلس الأمر عليهم، حتّىٰ ضلّت حيلهم، وخابت آمالهم، وانقطعت تدابيرهم، وكيف لا يقابلونه بأضعاف ما في أنفسهم من تزائد الحقد والحنق واعتراء الغضب يوجب غلبة الظنّ بتوقيع أعظم ضرر وأشد خوف هو أعظم من خوف النبيّ صلى الله عليه وآله مع اليأس من ايقاع الضرر به، هذا هو المعروف الذي لا يختلف فيه اثنان.

والبأس إلىٰ علي عليه السلام من الخلاص أعظم منه بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله لتجويزه صلى الله عليه وآله التعطّف بالنسب والرحم التي بينهم وبينه، وما يلحقهم من الرقّة بما يلحق الظاهر بالمظفور به من التمكّن، فترد قلوبهم ويقلّ غيظهم، وتسكن نفوسهم، بخلاف علي عليه السلام لفقدان المأمول من الظفر بالمطلوب بواسطته، والاطّلاع علىٰ مشابه في ايقاع الحيلة من تفويت الغرض، فترداد الدواعي هنالك بالاضرار ويتوفّر عليه.

وأمّا إسماعيل، فإنّ العادة لم تجر بقتل الأولاد، لاسيّما من الأنبياء، ولم يرد فيما مضىٰ التعبّد بمثل ذلك، وإن كان فتجويز النسخ لعروض حكمه يوجبه بحاله،

مع احتمال الكلام خلاف ظاهره ، أو تعبير الرؤيا بضدّ ذلك ، أو حيلولته تعالىٰ بينه وبين ذبحه بعفو أو فداء كما وقع ، أو غيرهما وإن تيقّن ذلك فمن مشفق رؤوف رحيم ، وإذا ينفيه علي عليه السلام فمن عدوّ قابيل حقود ، فظهر الفرق .

وقال شرف العترة زين آل طاووس رضي الدين علي بن طاووس الحسني قدّس الله روحه في طرائفه : والمبيت على الفراش حصلت لعلي عليه السلام فضيلة حفظ النبيّ صلى الله عليه وآله ، والمشاركة في فوائد نبوّته ورسالته ، وفي سعادة من اهتدى به إلىٰ يوم القيامة من أُمّته ، وهو أعجب من استسلام إسماعيل لذبح إبراهيم ؛ لأنّ إسماعيل استسلم لوالد شفيق كان يمكن أن ينظر الله إلىٰ قلب والده فيعفيه من ذبحه كما جرىٰ ، أو كان يجوز لإسماعيل أن يموت أحدهما قبل الذبح إشفاقاً من الله عليهما حيث هما ولد مع والده ، أو كان يذبحه بغير تألّم إكراماً له ليكون الذبح أيضاً بإذنه علىٰ يد والد لولده ، وغير ذلك من أسباب يجوز السلامة ، وعلي بن أبي طالب استسلم للأعداء بعد وفاة والده أبي طالب ، بعد أن أثبت للمبيت جهات توجب التعجّب من عدّة وجوه .

ثمّ قال الثعلبي بعد كلام ذكره ، ففعل ذلك علي عليه السلام ، فأوحى الله عزّوجلّ إلىٰ جبرئيل وميكائيل أنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر ، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختار كلّ منهما الحياة ، فأوحى الله تعالىٰ إليهما : أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب ، آخيت بينه وبين محمّد ، فبات علىٰ فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه ، فنزلا وكان جبرئيل عليه السلام عند رأسه ، وميكائيل عند رجليه ، فقال جبرئيل : بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب ، فنزلت ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾

الآية[١].

الرابع: البدنيّة المتجاوزة كالكرم، حتّىٰ قال فيه معاوية - الذي لم يخلق لله ولا لرسوله ولا لعلي أمير المؤمنين وأولاده أشدّ عداوة منه، حتّىٰ وضع سبّه سنّة استمرّت ألف شهر.

وفي فرحة الغري لخلاصة الأشراف السيّد عبد الكريم بن طاووس ﷺ نقلاً عن شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن أبي الحديد المدائني، قال: قال أبو جعفر الاسكافي: إنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتّىٰ يروي أنّ هذه الآية نزلت في علي عليه السلام ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله علىٰ ما قلبه وهو ألدّ الخصام * وإذا تولّىٰ سعىٰ في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله يحبّ الفساد ﴾[٢] وإنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالىٰ ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾[٣] فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل[٤].

-: لو كان عنده بيتاً من تبن وبيتاً من تبر لأنفق تبره قبل تبنه.

وما أحسن قول الخليل بن أحمد النحوي ﷺ وقد سئل عن علي عليه السلام، فقال: ما أقول في رجل كتمت أعداؤه فضائله بغضاً وحنقاً وأولياؤه خوفاً وفرقاً، فظهر من الفريقين ما ملأ الخافقين.

وكالصدقة بخاتمه في الركوع، وقصّة ﴿ ويطعمون الطعام علىٰ حبّه مسكيناً

---

(١) الطرائف في معرفة المذاهب ص ٣٤ - ٣٧.

(٢) البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) فرحة الغري ص ١٩ - ٢٠.

ويتيماً وأسيراً﴾[١].

والتصدّق بالخاتم على ما رواه الغزالي في كتاب سرّ العالمين وغيره في غيره.

وأمّا فصاحته، فقد قال شرف العترة نقاوة أولاد آل الرسول رضي الدين علي بن طاووس رحمه الله: ومن أعجب خصائصه أنّ القرآن اختلف في فصاحته وبلغت فصاحة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أنّها متّفق عليها عند جاحدي فصاحة القرآن وغيرهم من سائر الناس.

قال الرضي الوفيّ ذو الحسبين الرضي الموسوي محمّد بن الحسين في شرح خطبة نهج البلاغة ما هذا لفظه: ومن العجائب التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها، أنّ كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمّله المتأمّل وفكّر فيه المتفكّر، وخلع من قلبه الريا، عرف أنّه كلام ممّن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشكّ في أنّه من كلام من لا حظّ له في الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت، أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلاّ حسّه، ولا يرى إلاّ نفسه، ولا يكاد يوقن بأنّه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه، فيقطّ الرقاب، ويجدّل الأبطال، ويعود به ينطف دماً، ويقطر مهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهّاد، وبدل الأبدال.

وهذه من خصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد، وألّف بين الأشتات، وكثيراً ما أُذاكر الإخوان بها، وأستخرج عجبهم منها، وهو موضع للعبرة بها، والفكرة فيها[٢].

الخامس: الخارجيّة ومنها النسب، فمن له أخ كالنبيّ صلى الله عليه وآله؟ وزوجة كفاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين؟

---

(١) الانسان: ٨.

(٢) نهج البلاغة ص ٣٥ - ٣٦.

قال فخر الرازي في كتاب الأربعين : ولم يكن لأحد من الخلق مصاهرة مثل ما كانت له عليه السلام[١].

وشبلان كالحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة ، وأسباط كالأئمّة المعصومين عليهم السلام ، ومن أين لإبراهيم جدّ كإبراهيم ؟ ولقد أحسن القائل :

قريش خيار بني آدم ... وخير قريش بني هاشم
وخير بني هاشم كلّها ... رسول الإله إلى العالم
وخير البريّة من بعده ... علي وصيّ أبي القاسم

السابع والعشرون

إنّ أهل الجنّة جرد مرد والحسنان ساداتهم وأبوهما خير منهما

أمّا الأوّل ، فلأنّ أهل الجنّة جرد مرد مكحّلون .

وأمّا الثاني ، فلقوله صلى الله عليه وآله : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة[٢] .

قال الطبرسي في أسرار الامامة : وبالاجماع أهل الجنّة جرد مرد مكحّلون . وأجمع الأمّة أنّ هذا الخبر في الحسنين ، والاجماع المنقول بخبر الواحد حجّة .

وأمّا الثالث ، فلقوله صلى الله عليه وآله : وأبوهما خير منهما . والاجماع من جميع الأمّة .

الثامن والعشرون

ما رواه أبو القاسم نجم الدين بن سعيد المحقّق في كتابه المعتبر عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال : إنّ الله اختار من الأيّام الجمعة ، ومن الشهور شهر رمضان ، ومن الليالي ليلة القدر ، واختار من الناس الأنبياء ، واختار من الأنبياء الرسل ، واختارني من الرسل ، واختار منّي عليّاً ، واختار من علي الحسن والحسين ، واختار من الحسين الأوصياء ، وهم تسعة من ولده ، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين ،

---

(١) الأربعين للرازي ص ٤٧٦ ، والطرائف ص ٥١٩ عنه .

(٢) راجع : إحقاق الحقّ ١٠ : ٥٤٤ - ٥٩٥ .

وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين[١] .

إن قلت : خبر الواحد عندكم ليس بحجّة ، وهذه الأخبار كلّها آحاد ، فلا يعوّل عليها ، ولا يستند في إثبات المطلوب إليها .

قلت : أمّا أنّ خبر الواحد ليس بحجّة فباطل ، والحقّ خلافه ، كما قد تقرّر في الأُصول .

وأمّا أنّ هذه أخبار آحاد جميعاً ، فباطل ؛ لأنّ بعضها ما توشح شعار التواتر ، وبعضها ما تردّي رداء الاستفاضة ، وأيضاً فخبر الواحد حجّة عندهم ، وأكثر الأحاديث من طرقهم علىٰ أنّها متواترة معنىً ، فإنّ التواتر معنىً هو إخبار جماعة يستحيل عند العقل تواطؤهم على الكذب بأخبار كثيرة عن أُمور متعدّدة مشتركة في معنى كلّيّ .

كما يروىٰ أنّ واحداً أخبر أنّ حاتماً أعطىٰ ألفاً من الابل ، والآخر أنّه أعطىٰ مائة من الخيل ، والآخر أنّه وهب مائة من العبد وهكذا ، فإنّ كلّ واحد من هذه الأخبار لمّا كان دالاًّ علىٰ سخائه كان متواتراً .

وكذا إذا بلغنا أنّ شخصاً من الملك بمكانة ، ثمّ بلغنا زيادة الملك في إحسانه ، وفي كلّ يوم سمعنا من جهات مختلفة تشريفه بضروب من الإنعام ، استفدنا من ذلك أنّ مكانته منه مكينة ومحلّه عظيم ، فكذا الحال في هذا .

ولو سلّمنا أنّه غير متواتر بالمعنيين ، فهو خبر محتف بالقرائن ، وهو يفيد اليقين ، كما تقرّر في الأُصول .

وعلىٰ كلّ حال فلا ريب في إفادته الظنّ ، والعدول عن الراجح لا يجوز قطعاً .

إن قلت : ليست كلّ هذه الأحاديث نصّاً .

---

(١) المعتبر ١ : ٢٤ .

قلت : فلا شبهة في أنّ بعضها كذلك ، والباقي فيدلّ بظاهرها وهو معتبر ، ولئن سلّمنا فمجموعها نصّ في الباب ؛ إذ المراد بالأفضل الأجمع بخصائص الكمال كمّاً وكيفاً ، وهو مدلول ما ذكر بلا ارتياب .

إن قلت : وما ذكر من طرقهم فليس بحجّة علينا ، وما ذكر من طرقنا فليس بحجّة عليهم . قلنا : فلا شيء من ذلك حجّة علينا وعليهم ، فلا يكون الجميع حجّة على الجميع .

قلت : ما ذكر من طرقنا حجّة علينا ، ومن طرقهم حجّة عليهم ، فالمجموع حجّة على المجموع . وأيضاً فالمدلول وهو الأفضليّة واحد فحجّتها عليهم طرقهم وعلينا طرقنا ، فقد ثبت بالحجّة بين الفريقين ، وهذا أمر لا ريب فيه .

قال طاووس آل طاووس في طرائفه : ومن عجائب شريف آيات الله تعالىٰ في علي بن أبي طالب عليه السلام أنّك إذا اعتبرت القرآن والصحيح من الأخبار ، وجدت الأنبياء أو أكثرهم ، بل وجدت أُولي العزم من الرسل المتقدّمين علىٰ نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله قد عاتب الله جلّ جلاله بعضهم علىٰ مخالفة في مندوب ، أو قد أهملوا في بعض الآداب ، وبعضهم ما عصمة التوكّل على الله والتفويض إلى الله من إظهار الخوف في بعض الأسباب .

وبعضهم قد صرّح مع الله تعالىٰ في ذلك بإظهار الخطاب ، وأظهر الخوف من بعض الأسباب ، وطلب النصرة من الناس باللسان أو الجنان ، أو اعتزل عن الكفّار ، ولم يقف في مقام المجاهرة والشدّة عليهم في بعض الأوان ، وإن كانوا عليهم السلام متنزّهين عن خلل ذلك وكدره بكسرة صفوة الاصطفاء ، وزائل عنهم عناية بكمال مقامهم في الصفاء لله والوفاء ، وكانت الأوامر والخطاب من الله تعالىٰ إليهم بغير واسطة أصلاً ، أو بغير واسطة من البشر .

وأمّا علي بن أبي طالب عليه السلام ما ثبت أبداً عنه مدّة صحبته لمحمّد صلى الله عليه وآله شيء

يقاربه ما جرىٰ لآدم في الأكل من الشجرة ، والخروج من الجنّة والتوبة والندم ونحو ذلك .

ولا شيء يقارب ما جرىٰ لنوح عليه السلام لمّا اعتذر عن طلبه لتخليص ولده من الغرق ، ولما قال: ﴿ انّي مغلوب فانتصر ﴾[١] ولا اعتزل إلى الكفّار بمفارقة محمّد صلى الله عليه وآله، كما اعتذر إبراهيم النبيّ عليه السلام في قول الله تعالىٰ عنه ﴿ فاعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾[٢] ولا نحو ما قال ﴿ ربّ أرني كيف تحيي الموتىٰ قال أولم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئنّ قلبي ﴾[٣] بل قال علي بن أبي طالب عليه السلام : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

ولا جرىٰ له ما جرىٰ لموسى عليه السلام لمّا أمره الله تعالىٰ بالتوجّه إلىٰ فرعون ، فقال : ﴿ إنّي قتلت منهم نفساً وأخاف يقتلون ﴾[٤] ونحو قوله ﴿ فأرسل إلىٰ هارون ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون ﴾[٥] .

بل كان علي بن أبي طالب عليه السلام يفديه بمهجته ، كما تقدّم شرحه في أوائل هذا الكتاب لمّا بات علىٰ فراشه ، وفي غيره من حروبه ، ولا يتوقّف ولا يعتذر عن شيء من أوامره له ، في واجب أمره ومندوبه ، ولا يتعرّض لمحظوره ومكروهه وعتابه ، وكان يتبعه ومعه في سائر أسبابه .

ولا جرىٰ لعلي بن أبي طالب عليه السلام نحو ما قال عيسىٰ عليه السلام ﴿ فلمّا أحسّ منهم

---

(١) القمر : ١٠ .

(٢) مريم : ٤٨ .

(٣) البقرة : ٢٦٠ .

(٤) القصص : ٣٣ .

(٥) الشعراء : ١٤ .

الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريّون نحن أنصار الله ﴾[١] فإنّ عيسى عليه السلام لمّا أحسّ منهم الكفر طلب النصرة.

وعلي بن أبي طالب عليه السلام تيقّن الكفر من قريش ومن أعداء الله تعالىٰ ومن أعداء محمّد صلى الله عليه وآله وجاهروه به وبات علىٰ فراشه، كما تقدّم وصفه، وفداه بمهجته، ثمّ بعد ذلك رمىٰ نفسه في كتائبهم عند الحرب وبذلها لعلاّم الغيوب، وفرّج كلّما دخل فيه وباشره من الكروب، ولم يطلب منه نصرة ولا استعفىٰ ولا استعان بغير الله من سائر بريّته مدّة حياة محمّد صلى الله عليه وآله في كلّ وقت يريد منه الانفراد والاجتهاد وقاه بمهجته.

مع أنّهم رووا كما قدّمناه أنّ عيسى بن مريم عليه السلام عند ظهوره يصلّي مؤتماً بصلاة المهدي عليه السلام، ومن المعلوم أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل من المهدي عليه السلام الذي هو إمام لعيسى عليه السلام.

وقد تقدّمت الأخبار من صحاح الأربعة المذاهب بأوصاف علي بن أبي طالب عليه السلام وأقرّوا بالعجز عن حصر ما جمع له من المناقب[٢].

قال الشهيد في قواعده: وقد قام الدليل علىٰ أفضليّة علي عليه السلام علىٰ كلّ الأنبياء[٣].

أقول: وإن كان العموم يستفاد من كلامه، لكنّه مخصّص منفصل، وهو الدليل علىٰ أفضليّة النبيّ صلى الله عليه وآله من خارج.

وقال آية الله أفضل المتأخّرين قدوة الأعلام الراسخين العلاّمة في كتاب

---

(١) آل عمران: ٥٢.

(٢) الطرائف في معرفة المذاهب ص ٥١١ - ٥١٣.

(٣) القواعد والفوائد للشهيد الثاني ٢: ٩٤.

الألفين في قوله تعالىٰ ﴿ وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين ﴾[١] : هذه الآية تدلّ علىٰ أنّه عليه السلام أفضل من العالمين - إلىٰ قوله : - وعلي عليه السلام نفس الرسول لقوله تعالىٰ ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ فيكون أفضل[٢] .

وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور في تفضيل علي عليه السلام على الملائكة : ولأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله أفضل من الملائكة ، ونفس النبيّ صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام واحدة في الكمال ، فيكون عليّاً عليه السلام في الكمال أفضل . أمّا أفضليّة النبيّ صلى الله عليه وآله ، فلما بيّن في علم الكلام ، ونشير هاهنا إلىٰ دليل ينبّه علىٰ ذلك .

فنقول : إنّه عليه السلام أفضل من آدم ، وآدم أفضل من الملائكة . أمّا المقدّمة الأُولىٰ فإجماعيّة . وأمّا المقدّمة الثانية ، فلأنّ الله تعالىٰ أمر الملائكة بالسجود لآدم ، والمسجود له أفضل من الساجد ، وهو ضروريّ .

وأمّا اتّحاد نفس النبيّ ونفس علي عليه السلام بمعنى اتّحادهما في الكمال ، فلقوله تعالىٰ ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ والاجماع واقع علىٰ أنّ المراد بقوله ﴿ وأنفسنا ﴾ علي عليه السلام[٣] .

وذلك صريح في أفضليّة علي عليه السلام علىٰ آدم فيطّرد .

وقال السيّد علم الهدىٰ قدّس الله سرّه : وأمّا القول في تفضيل علي عليه السلام على الأنبياء المتقدّمين سوىٰ نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ، فالشيعة الإماميّة لا تختلف في أميرالمؤمنين عليه السلام ، وأنّه أفضل النبيّين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وأكثرهم ثواباً ، وإنّما اختلفوا علىٰ أُولي العزم ، فمنهم من لا يفضّله عليهم ، وأكثرهم يفضّلونه على الجميع ، وهو أقوىٰ وأولىٰ ؛ لأنّ الروايات ظاهرة فاشية بينهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) الألفين ص ٣٣٤ .

(٣) الألفين ص ٣٢٦ .

« محمّد وعلي خير البشر » وانّه عليه السلام جعل تاليه في الفضل ، وثانيه في التقديم والتعظيم ، ولم يستثن أحداً .

أقول : فقد أثبت له عليه السلام بعد الأفضليّة أكثريّة الثواب أيضاً .

ثمّ قال : ولا شبهة في أنّ قول النبيّ صلى الله عليه وآله « علي سيّد الأوصياء » يدخل فيه كلّ وصيّ لكلّ نبيّ تقدّم أو تأخّر بغير فصل .

قلت : لأنّ الجمع المحلّى باللام يفيد العموم .

أقول : وربّما ورد في بعض الأحاديث تفضيل النبيّ صلى الله عليه وآله على من عداه ، وتفضيل علي عليه السلام على الأوصياء ، وهو لا يفيد تخصيص التفضّل بهم ؛ لأنّ إثبات الشيء لا يستلزم نفي ماعداه ؛ لأنّ مفهوم المخالف ليس بحجّة ، وإلاّ لزم كفر من قال : زيد موجود ، وعيسى نبيّ ، وهو ضروريّ البطلان .

وقال الفاضل المقداد في شرح الفصول النصيريّة : والحقّ عندي أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من كلّ أحد إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله (١) .

وذكر أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت حديثاً طويلاً جدّاً ، منه دخول أحمد بن حنبل على محدّث الإماميّة ، فلمّا فرغ أحمد مسح القلم وتهيّأ للقيام ، فقال له الشيخ : يا أبا عبد الله لي إليك حاجة ، فقال أحمد : مقضيّة ، قال : ليس أحبّ أن تخرج من عندي حتّى أعلمك مذهبي ، فقال أحمد : هاته ، فقال له الشيخ : إنّي أعتقد أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الناس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وأفضلهم وأعلمهم ، وأنّه الإمام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، قال : فما تمّ كلامه حتّى أجابه أحمد ، وقال : وما عليك في هذا القول ، وقد تقدّمك فيه من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله جابر وأبو ذرّ وسلمان والمقداد ، فكاد الشيخ أن يطير فرحاً (٢) .

---

(١) شرح الفصول النصيريّة ، لم أعثر عليه .

(٢) كشف الغمّة ١ : ١٦١ عنه .

فليكن المتفطّن علىٰ بصيرة لئلاّ يقع في ورطة من اعتقاد خلاف الحقّ .

قال أمين الاسلام وثقته الطبرسي في أسرار الإمامة : مسألة من أنكر حكماً واحداً من الدين حقّاً ، ويتمكّن من معرفته ولا يلتفت إليه لاعتقاده بفساده ، يكون كافراً وإن أقرّ بالله ورسوله[١] .

هذا لعمري لقد أيقظت من كان نائماً ، وأسمعت من كانت له أُذنان ، وإلاّ فمن أين للطاقة البشريّة قدرة التعرّض لحصر فضائله .

وقد روى الخوارزمي في مناقبه ، عن ابن عبّاس ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله : لو أنّ الرياض أقلام ، والبحر مداد ، والجنّ حسّاب ، والإنس كتّاب ، ما أحصوا فضائل علي عليه السلام[٢] .

ورواه المعروف بحجّة الاسلام ناصر بن أبي المكارم المطرّزي ، وهو من أعيان علماء الأربعة المذاهب ، عن أخطب خطباء خوارزم ، عن أبي الفضل الحسيني ، عن أبي الحسن علي بن أبي طالب الحسيني بقراءته عليه ، عن أبي النجم محمّد بن عبد الوهّاب الرازي ، عن أبي سعيد محمّد بن أحمد النيشابوري بقراءته عليه ، عن محمّد بن علي بن جعفر الأديب ، عن أبي الفرج المعافى بن زكريّا ، عن محمّد بن أحمد ، عن الحسن بن محمّد بن بهرام ، عن يوسف بن موسى القطّان ، عن جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو أنّ الرياض[٣] أقلام ، والبحر مداد ، والجنّ حسّاب ، والإنس كتّاب ، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب[٤] .

---

(١) أسرار الإمامة ، لم أعثر عليه .

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٣٢ ح ١ .

(٣) في الطرائف : الفياض .

(٤) الطرائف ص ١٣٨ - ١٣٩ عنه .

ومنه بالإسناد إلى الحسين بن علي بن أبـي طـالب ، عـن عـلي عليه السلام ، عـن النبيّ صلى الله عليه وآله : لو حدّثت بكلّ ما أنزل الله في علي ما وطىء علىٰ موضع من الأرض إلاّ أخذ ترابه إلى الماء[١] .

قال قدوة أهل الذوق في لوامع أسراره : ثمّ أمر نبيّه الكريم أن يرفعه في مقام التشريف والتعظيم ، فقال بعد أن بالغ في المقال : لو كـانت السـماوات صـحفاً ، والغياض أقلاماً ، والجنّ والإنس كتّاباً ، لنفد المداد ، وعجز الثقلان أن يكتبوا عشر معشار العشر من فضل علي عليه السلام ، ثمّ كمل له الفضل الذي لا يحدّ ، فقال : لو أنّ أحدكم عبد الله ما بين الركن إلى المقام حتّىٰ ينقطع عنقه وتبرىء أنامله ، لم يقبل منه عملاً إلاّ بولاية علي . هذا مقام رفيع عند الربّ السميع[٢] .

وإذا كان ذكر فضائله علىٰ ما في مناقب الخوارزمي بالإسناد إليه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله جعل لأخي فضائل لا تحصىٰ كثرة ، فمن ذكر فضيلة من فضائله متقرّباً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، ومن كتب فـضيلة مـن فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لذلك الكتاب رسم ، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ، ومن نظر إلىٰ كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر ، ثمّ قال : النظر إلىٰ وجه علي عبادة ، وذكره عبادة ، ولا يقبل الله إيمان عبد إلاّ بولايته والبراءة من أعدائه[٣] .

فما ظنّك ببقيّة مناقبه ، وانظر إلىٰ تناهيه في اللطف حتّىٰ أنّ مناقبه لا يحصىٰ ، وتعاطيها بأيّ وجه كان ذكراً وكتابة وإسماعاً ونظراً ، ينيل إلىٰ نيل درجات العلىٰ ، ومراتب الأجر التي لا يحصىٰ ، لكن مع الاعتراف بها كما نصّ عليه الحديث ، وهو

---

(١) كشف الغمّة ١ : ١١٢ عنه .

(٢) لوامع الأسرار ، لم أعثر عليه .

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٣٢ - ٣٣ برقم : ٢ .

ظاهر ؛ لأنّ الايمان شرط لاستحقاق الثواب .

وأمّا قربه من الرسول ، فهو روحه وابن عمّه ومساويه ، وما أنصف أبا ذرّ حيث اعترف بأنّه لا يعرف علياً عليه السلام .

ففي كتاب البشائر أنّ عمر دخل المسجد - يعني مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله - وأمير المؤمنين عليه السلام واقف بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله إنّي سألت أباذرّ عنك ، فأعلمني أنّك في المسجد ، فقلت : ومن عنده ؟ فقال : رجل لا أعرفه وهذا علي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : صدق أبوذرّ يا عمر ، هذا والله رجل لا يعرفه إلاّ الله ورسوله[1] .

وسمعت والدي ضياء الدين أبا تراب الحسن قدّس الله روحه يذكر أنّ عمر إنّما سأل ذلك ؛ لأنّه سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول عن أبي ذرّ : ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء الحديث ، فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك .

ومن المشهور أنّ عمر سأله يوماً كيف أصبحت يا أباذرّ ؟ قال : أصبحت أحبّ الباطل ، وأكره الحقّ ، وأشهد بما لا أرىٰ ، فذكر ذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله متعرّضاً ، فقال صلى الله عليه وآله : صدق أبوذرّ ، فإنّه يحبّ الدنيا وهي باطل ، ويكره الموت وهو حقّ ، ويشهد بوجود الله ولم يره .

وقريب من ذلك في التوراة ، ما نقله في لوامع الأسرار من قضايا علي عليه السلام الغريبة ، وحلّه للمشكلات العجيبة : انّ رجلاً حضر مجلس أبي بكر وادّعىٰ أنّه لا يخاف الله ، ولا يرجو الجنّة ، ولا يخشى النار ، ولا يركع ولا يسجد ، ويحبّ الفتنة ، ويكره الحقّ ، ويأكل الميتة ، ويشهد بما لا يرىٰ ، ويصدّق اليهود والنصارىٰ ، وانّ عنده ما ليس عند الله ، وله ما ليس لله ، وانّه أحمد وأنّه علي ، فقال عمر : ازددت

---

(١) كتاب البشائر ، لم أعثر عليه .

كفراً على كفرك .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : هوّن عليك هذا رجل من الأولياء ، لا يرجو الجنّة ولكن يرجو الله ، ولا يخاف النار ولكن يخاف الله ، ولا يخاف الله من ظلم ولكن يخاف الله من عدله لأنّه حكم عدل ، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة ، ويأكل الميّتين الجراد والسمك ، ويحبّ الأهل والولد وهما الفتنة ، ويشهد بالجنّة والنار ولم يرهما ، ويكره الموت وهو الحقّ ، ويصدّق اليهود والنصارىٰ في تكذيب بعضهم بعضاً ، وله ما ليس لله له ولد وليس لله ولد ، وعنده ما ليس عند الله فإنّه ظلم ، وليس عند الله ظلم ، وقوله « أنا أحمد » أي : أحمده على تبليغ مرسلاته، وقوله « أنا علي » يعني لي لكم أرفعها وأضعها ، فانزعج عمر وقام فقبّل رأس أمير المؤمنين، وقال : لا تغب بعدك يا ابا الحسن انتهى .

رجعنا إلىٰ ما كنّا فيه .

قال الثقة الجليل علي بن عيسىٰ : ومتىٰ سمعوا حديثاً في أمر علي عليه السلام نقلوه عن وجهه ، وصرفوه عن مدلوله ، وأخذوا في تأويله بأبعد محتملاته ، وطعنوا في راويه وضعّفوه ، وإن كان من أعيان رجالهم وذوي الأمانة في غير ذلك عندهم .

هذا مع كون معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وعمران بن حطّان الخارجي وغيرهم من أمثالهم من رجال الحديث عندهم ، وروايتهم في كتبهم الصحاح عندهم ثابتة عالية ، يقطع بها ويعمل عليها في أحكام الشرع ، وقواعد الدين .

ومتىٰ روىٰ أحد عن زين العابدين علي بن الحسين أو عن ابنه الباقر أو ابنه الصادق أو غيرهم من الأئمّة عليهم السلام ، أعرضوا عنها ولم يسمعوها ، وقالوا : رافضيّ لا اعتماد عليه ، وان تلطّفوا قالوا : شيعيّ ما لنا ولقوله ؟ مكابرة للحقّ ، وعدولاً عنه، ورغبة في الباطل ، وميلاً إليه ، واتّباعاً لقول من قال ﴿ إنّا وجدنا آباءنا علىٰ

أُمّة ﴾ ولعلّهم رأوا ما جرت الحال عليه أوّلاً من الاستبداد بنصب الامامة ، فقاموا بنصر ذلك محامين عنه غير مظهرين لبطلانه ولا معترفين به[١] .

ولله درّ الصاحب بن عبّاد ، حيث يقول في مدح الرضا عليه السلام :

وقل له عن مخلص	يرى الولاء مفترضاً
في الصدر لفح حرقة	يترك قلبي حرضا
من ناصبين غادروا	قلب الموالي ممرضا
صرّحت عنهم معرضاً	ولم أكن معرّضاً
نابذتهم ولم أبل	إن قيل لي قد رفضا
ما حبّذا رفضي لمن	نابذكم وأبغضا

وإن سلكت في شيء من ذلك بعد ظهور الحقّ من فلق الصباح ، وغلبك زيغ البغي ، فما ينفعك ضوء المصباح ، ولقد نازعني داعي السوق إلىٰ أن أتلو عليك كلمات لأهل الذوق وأنت حوشب من الردّ ، تزعم أنّك موالي ومن العبيد والموالي، فمالي أراك كلّما أراك حادى الأراك بشراك وسراك من اشراك الاشراك، وبان لك بان اللسان إدراك حيث الادراك وما أدراك ، فلعلّك علك نسيم نوار أزهار الأزهار ، وعراك عرار الأنوار ، فأعراك وعساك غشاك نور الأنوار فأغشاك ، فعانقت هناك أبكار الابكار في هاوية هويّة هواك فأهواك ، فهذا يا هذا وفاك ورأيك وراك ، فعلّك بهذا تهدي ولا تكن كما قيل من لم يحرّكه الربيع وأزهاره والعود وأتاره فقد فقد علاجه وقد وقد مزاجه ، قد سكر العين ضوء الشمس من رمد ، وينكرالفم طعم الماء من سقم .

---

(١) كشف الغمّة ١ : ٢٩١ .

المرصد الثالث

انّ الأئمّة الأحد عشر بعد النبيّ والوصيّ أفضل البشر

ويتّضح من وجوه :

الأوّل

ما مرّ من أنّهم خير البريّة

ويعضد ذلك سبق شرفهم وفضلهم علىٰ كلّ أحد .

فمن ذلك : ما في الكافي عن الفضيل ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة ؟ فقال : يا مفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلّة خضراء ، فنسبّحه ونقدّسه ونهلّله ونمجّده ، وما من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا حتّىٰ بدا له في خلق الأشياء ، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ، ثمّ أنهىٰ علم ذلك إلينا[1] .

والمراد بكونهم عند ربّهم سبق سوقهم في علمه تعالىٰ وظهوره حتّىٰ كأنّهم موجودين يومئذ .

كما يرشد إليه ما في الكافي أيضاً عن سنان بن ظريف ، عن أبي عبد الله عليه السلام يقول : قال : إنّا أوّل أهل بيت نوّه الله بأسمائنا ، إنّه لمّا خلق السماوات والأرض أمر منادياً ، فنادىٰ أشهد أن لا إله إلاّ الله - ثلاثاً - أشهد أنّ محمّداً رسول الله

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٤٤١ ح ٧ .

- ثلاثاً - أشهد أنّ عليّاً أمير المؤمنين حقّاً - ثلاثاً -[١] .

الثاني

انّ الله اختار من الناس الأنبياء ، ومن الأنبياء الرسل ، ومن الرسل محمّداً ، ومنه عليّاً ، ومنه الحسين ، ومن الحسين هم صلوات الله عليهم .

الثالث

انّ الحسنين سيّدا شباب أهل الجنّة ، فيكونان أفضل ، فيكون الباقي كذلك ، ويتبيّن ذلك بمقدّمات :

الأُولىٰ : أنّ الحسنين سيّدا شباب أهل الجنّة ، وبعد تظافر الروايات - التي منها ما رواه الغرّ المحدّث عن ابن مسعود : إيناي هذان سيّدا شباب أهل الجنّة[٢] .

وفي كتاب الجمع بين الصحاح الستّة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة[٣] . - قد مرّ أنّه إجماعيّ .

الثانية : أنّ أهل الجنّة شباب ، وقد نقل الاجماع علىٰ أنّهم جرد مرد مكحّلون .

الثالثة : أنّ المراد جميع شباب أهل الجنّة ، وبعد إضافة الجمع المفيد للعموم ، فيجيء أنّهم أفضل من جميع شبّانها ، بل من أهلها من الأوّلين والآخرين منصوصاً عليه .

الرابعة : أنّ السيادة يقتضي الأفضليّة ، وهو كذلك ؛ إذ لا معنىٰ لها إلاّ علوّ الدرجة بالفضائل والمزايا .

الخامسة : أنّ أفضليّة الحسنين يقتضي أفضليّة باقي الأئمّة ، وهو كذلك لعدم

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٤٤١ ح ٨ .

(٢) كشف الغمّة ١ : ٥٢٦ عنه .

(٣) الطرائف ص ٢٠١ عنه .

القائل بالفرق ، ولما سيجيء أنّه جرىٰ لآخرهم ما جرىٰ لأوّلهم ، فيكون القياس استثنائيّاً ، صورته : كلّما كان الحسنان أفضل فالأئمّة كذلك . أمّا حقّية المقدّم ، فلما مرّ من المقدّمات ، وأمّا حقّيّة التالي ، فظاهرة .

وأمّا بيان الملازمة ، فللاجماع المركّب بعدم القائل بالفرق ، والقول بكهولة إبراهيم لا ينافي عموم سيادتهم ؛ إذ لا ريب في أنّ باقي أهل الجنّة ليسوا كذلك ، ومن جملتهم باقي أُولي العزم ، فيطّرد في إبراهيم للاجماع المركّب أيضاً .

الرابع
انّهم لا مثل لهم

فيكونون أفضل .

أمّا الأُولىٰ ، فلما في إرشاد المفيد مسنداً إلىٰ هشام بن أحمر ، قال : قال لي أبوالحسن عليه السلام : هل علمت أحداً من أهل المغرب قدم ؟ قلت : لا ، قال : بلىٰ قد قدم رجل من أهل المغرب المدينة ، فانطلق بنا ، فركب وركبت معه حتّى انتهينا إلى الرجل ، فإذا رجل من أهل المغرب معه رقيق ، فقلت له : اعرض علينا ، فعرض علينا سبع جوار كلّ ذلك يقول أبو الحسن عليه السلام : لا حاجة لي فيها ، ثمّ قال: اعرض علينا ، فقال : ما عندي إلاّ جارية مريضة ، فقال له : ما عليك أن تعرضها ، فأبىٰ عليه ، فانصرف .

ثمّ أرسلني من الغد ، فقال لي : قل له كم كان غايتك فيها ؟ فإذا قال لك كذا وكذا، فقل له قد أخذتها ، فأتيته فقال : ما كنت أُريد أن أنقصها من كذا وكذا ، فقلت: قد أخذتها ، فقال : هي لك ، ولكن أخبرني من الرجل الذي كان معك بالأمس ؟ فقلت : رجل من بني هاشم ، قال : من أيّ بني هاشم ؟ فقلت : ما عندي أكثر من هذا ، فقال : أخبرك أنّي اشتريتها من أقصى المغرب ، فلقيني امرأة من أهل الكتاب، فقالت : ما هذه الوصيفة معك ؟ فقلت : اشتريتها لنفسي ، فقالت : ما ينبغي

أن تكون هذه عند مثلك ، إنّ هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض ، ولا تلبث عنده إلا قليلاً حتّىٰ تلد غلاماً لم يولد بشرق الأرض ولا غربها مثله ، قال : فأتيته بها ، فلم تلبث عنده إلاّ قليلاً حتّىٰ ولدت الرضا عليه السلام[١] .

وفي مدحه يقول الحاكم أبو علي الصولي :

ألا إنّ خير النـاس نـفساً ووالداً ورهطاً وأجدادً علي المعظّم[٢]

ونسبه قوم إلىٰ عمّ أوهيم بن العبّاس ، وذلك يـقتضي نـفي مـثليّة كـلّ مـن الأئمّة عليهم السلام عن كلّ أحد .

أمّا الأوّل ، فلأنّ فيه عن الرضا يطّرد في باقي الأئمّة لعدم القائل بالفرق .

وأمّا الثاني ، فلأنّ النكرة في سياق النفي يقتضي العموم .

وأمّا الثانية ، فظاهر ؛ لأنّ انتفاء المثليّة يقتضي الأفضليّة .

إن قلت : ما يكون من رواية نخّاس عن كتابية وما قدر ما يقول به عليها ؟

قلت : مع اعتضادها بتلقّي الأصحاب لها بالقبول ، فقد صدرت عن غـير ذي غرض ، بل عن عدوّ في الدين ، فليس ممّن يتّهم في ذلك ، علىٰ أنّها قد اشتملت على الإخبار بالغيب ، وهو كون الجارية عند خير أهل الأرض وولادتها عـنده صلوات الله عليه ، المقتضي لكونها من الاخبار السماويّة والتنزيلات السبحانيّة ، ووقوع ذلك أنّه صدق المخبِر والمخبَر عنها .

الخامس

انّ الله فضّل النبي صلى الله عليه وآله علىٰ جميع النبيّين والمرسلين وانّ الفضل بعده لهم

كما في عيون أخبار الرضا بالإسناد إلىٰ عبد السلام بن صالح الهروي ، عـن

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد ٢ : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) كشف الغمّة ٢ : ٣١٢ .

علي بن موسى الرضا ، عن آبائه ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي ، قال علي عليه السلام : فقلت : يا رسول الله أفأنت أفضل أم جبرئيل ؟

فقال : يا علي إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين ، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمّة من بعدك ، وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا ، يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا .

يا علي لو لانا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض ، فكيف لا نكن أفضل من الملائكة ؟ وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه ؛ لأنّ أوّل ما خلق الله عزّوجلّ خلق أرواحنا ، فأنطقها بتوحيده وتمجيده ، ثمّ خلق الملائكة ، فلمّا شهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا ، فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون ، وأنّه منزّه من صفاتنا ، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ، ونزّهته عن صفاتنا ، فلمّا شهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ الله ، وأنّا عبيد ولسنا بآلهة ، يجب أن نعبد معه أو دونه ، فقالوا: لا إله إلاّ الله .

فلمّا شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر من أن ينال عظم المحلّ إلاّ به . فلمّا شاهدوا لما جعله الله لنا من العزّة والقوّة ، فقلنا : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، لتعلم الملائكة أنّه لا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة ، قلنا : الحمد لله ، لتعلم الملائكة ما يستحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه ، فقالت الملائكة : الحمد لله ، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله تعالى وتسبيحه وتحميده وتمجيده .

ثمّ إنّ الله تعالىٰ خلق آدم ، فأودعنا صلبه ، وأمر الملائكة بالسجود تعظيماً لنا وإكراماً ، وكان سجودهم لله عزّوجل عبوديّة ولآدم إكراماً وطاعة ؛ لكوننا في صلبه ، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة ؟ وقد سجدوا لآدم كلّهم الحديث بطوله[١] .

حارت العقول ، وتاهت الأحلام في بيداء فضائلهم وكمالاتهم ، كيف ؟ وقد دلّ الحديث علىٰ أنّهم فعلوا ما لا يعتقد الملائكة معه أنّهم آلهة ، وتعلّموا أنّهم خلق مخلوقون ، وليسوا ممّن يعبد معه تعالىٰ أو دونه ، فضلاً عن أنّ سجود الملائكة لآدم إنّما كان تعظيماً لهم .

وفي الحديث من الدقائق والنكات ممّا يدركه سلامة الذوق وسلامة الطبع ، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم .

السادس

انّهم أكرم الخلق علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله

يشهد لذلك ما رواه الصدوق في الأمالي ، مسنداً إلىٰ سعيد بن المسيّب ، عن ابن عبّاس ، قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين ، فقال صلى الله عليه وآله : اللهمّ إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي ، وأكرم الناس عليّ ، فأحبب من أحبّهم ، وأبغض من أبغضهم ، ووال من والاهم ، وعاد من عاداهم ، وأعن من أعانهم ، واجعلهم مطهّرين من كلّ رجس ، معصومين من كلّ ذنب ، وأيّدهم بروح القدس[٢] .

قلت : وفاطمة عليها السلام مستثناة بدليل من خارج أنّها أفضل النساء فقط ، فيطّرد أكرميّة الحسين عليه السلام في باقي الأئمّة عليهم السلام للاجماع المركّب ؛ إذ لا قائل بالفرق

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٦٢ - ٢٦٣ ح ٢٢ .

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٥٧٤ برقم : ٧٨٧ .

بين الحسنين وباقي الأئمّة عليهم السلام، فإنّ من فضّل فضّل المجموع، ومن لا فلا.

السابع

انّهم أكرم الخلق على الله تعالىٰ

فمن ذلك: ما رواه الصدوق في أماليه أيضاً، عن سعيد وحسن، عن ابن عبّاس، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلمّا رآه بكىٰ، ثمّ قال: إليّ يا بنيّ، فما زال يدنيه حتّىٰ أجلسه علىٰ فخذه اليمنىٰ، ثمّ أقبل الحسين عليه السلام، فلمّا رآه بكىٰ، ثمّ قال: إليّ يا بنيّ، فما زال يدنيه حتّىٰ أجلسه علىٰ فخذه اليسرىٰ، ثمّ أقبلت فاطمة، فلمّا رآها بكىٰ، ثمّ قال: إليّ يا بنيّة، فلم يزل يدنيها حتّىٰ أجلسها بين يديه، ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا رآه بكىٰ، ثمّ قال: إليّ يا أخي، فما زال يدنيه حتّىٰ أجلسه إلىٰ جنبه الأيمن، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترىٰ واحداً من هؤلاء إلاّ بكيت، أوما فيهم من تسرّ برؤيته؟

فقال صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالنبوّة، واصطفاني علىٰ جميع البريّة، إنّي وإيّاهم لأكرم الخلق على الله عزّوجلّ، وما علىٰ وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم[1]. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وما مرّ من الاجماع المركّب وارد هنا.

إن قلت: الحديث لا يفيد إلاّ أنّ المجموع والنبيّ منهم أكرم الخلق على الله، فربّما لم يكن الأكرم إلاّ المجموع من حيث المجموع، وهو لا يفيد أكرميّة الجميع.

قلت: المستفاد إنّما هو أكرميّة الجميع؛ لأنّ ضمّهم إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله إمّا أن يكون شرطاً، أو شطراً لمنشأ الأفضليّة أو لا، والأوّل باطل؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وحده مستقلّ بها، والثاني كذلك، وإلاّ فكلّ من ضمّ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله من آحاد

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ١٧٥ برقم: ١٧٨.

الناس بل من أدانيهم ، كان المجموع أفضل من جميع من خلق الله تعالىٰ .

بمعنىٰ أنّ الأفضل ليس بخارج عن المجموع ، لا أنّ الأفضليّة مستندة إلىٰ كلّ جزء من آحاده ، فيبقى الكلام عبثاً ، لا سيّما والمقام معقود والكلام مسبوق لبيان شرفهم وفضلهم علىٰ جهة الجواب لمن سأل أن ليس فيهم من يسرّ ﷺ برؤيته ، فكأنّه قال ﷺ : كيف لا وهم أكرم الخلق عليّ .

إن قلت : إن صحّ ذلك لزم أن يكون فاطمة عليها السلام أفضل من جميع النبيّين ، وهو باطل ، وما أفضىٰ إلى الباطل باطل .

قلت : خروج فاطمة عليها السلام لدليل ، أو نقول : لمّا لم يدلّ الدليل إلاّ علىٰ أفضليّة فاطمة عليها السلام على النساء ، كما وقع في قوله ﷺ « يا فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك علىٰ نساء العالمين » ولم يقل ذلك بما فرق أحداً جناح في القول به إلىٰ مصحّح من وجود قائل به حذراً من خرق الاجماع ، لاسيّما ولم يقل به أحد .

إن قلت : بمثل ما خاطب النبيّ ﷺ فاطمة خاطب الله تعالىٰ مريم ، وشتّان ما بين الخطابين ، فأيّتهما أفضل ؟ وأيّتهما أفضليّتها أعمّ .

قلت : فاطمة عليها السلام ؛ لأنّ خطاب مريم إنّما كان بالنسبة إلىٰ عالمها ، كما يدلّ عليه تتمّة الحديث المذكور آنفاً ، وهذه صورتها : إنّها - يعني فاطمة عليها السلام - لسيّدة نساء العالمين ، فقيل له : يا رسول الله أهي سيّدة نساء عالمها ؟ فقال ﷺ : تلك مريم بنت عمران ، وأمّا ابنتي فاطمة فهي سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين[1] .

وما رواه الصدوق في أماليه ، بإسناده إلى الحسن بن زياد العطّار ، قال : قلت

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٥٧٥ برقم : ٧٨٧ .

لأبي عبد الله عليه السلام : قول رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة ، أهي سيّدة نساء عالمها ؟ قال : تلك مريم ، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين ، فقلت : قول رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، قال : هما والله سيّدا أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين[١] .

وأيضاً في أسرار الامامة عن جابر في حديث طويل عن النبيّ صلى الله عليه وآله : يا فاطمة أنت سيّدة نساء أُمّتي ، وسيّدة نساء أُمم النبيّين[٢] .

وفي الجمع بين الصحاح الستّة في مناقب فاطمة عليها السلام عنه صلى الله عليه وآله : فاطمة بضعة منّي ، من أغضبها فقد أغضبني ، فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة[٣] .

ومن صحيح أبي داود بإسناده أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لفاطمة : أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين ؟ فقلت : فأين مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ؟ فقال : مريم سيّدة نساء عالمها ، وآسية سيّدة نساء عالمها[٤] .

وفي صحيح البخاري بإسناده ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة[٥] .

وأيضاً فغاية الأمر أنّ العالمين يدخل فيه من اكتسىٰ حلية الوجود ، وهي إنّما تكون بالنسبة إلىٰ من وجد أو هو موجود بالفعل ، ولا شيء من ذلك بموجب لدخول فاطمة عليها السلام ؛ لأنّها إنّما وجدت بعد زمان مريم عليها السلام ، وبعدم دخول من بعدها فيه .

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ١٨٧ برقم : ١٩٦ .

(٢) أسرار الامامة ، لم أعثر عليه .

(٣) العمدة لابن البطريق ص ٣٨٨ ح ٧٦٨ و ٧٦٩ عنه .

(٤) العمدة ص ٣٨٨ ح ٧٦٧ عنه .

(٥) صحيح البخاري ٥ : ٢٩ باب مناقب فاطمة عليها السلام .

وأمّا خطاب النبيّ ﷺ، فمن الضروريّ أنّه لا ينطق عن الهوىٰ أيضاً، وإنّما هو وحي يوحىٰ، فهو من الله أيضاً، علىٰ أنّ للسنّة تقدّم على الكتاب، فإنّها أحد مخصّصاته، فتفضّل فاطمة عليها السلام علىٰ مريم عليها السلام، ويكون أفضليّتها أعمّ.

الثامن

انّهم أحبّ الخلق إلىٰ رسول الله ﷺ

ففي كتاب الآل، عن أُمّ سلمة: لمّا أتت فاطمة بالعصيدة، قال: أين علي وابناه؟ قال: في البيت، قال: أُدعيهم لي، فأقبل علي والحسن والحسين بين يديه، وتناول الكساء، وقال: اللهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي، فقالت أُمّ سلمة: وأنا منكم؟ فقال: أنت بخير أو علىٰ خير، وقال: اللهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي، وأحبّ الخلق إليّ[1] الحديث بتمامه، وقد مرّ في الحديث السابق.

إن قلت: لم يمر إلاّ انّهم أحبّ من علىٰ وجه الأرض، ولم يكن عليها من الأنبياء أحد، فعيسىٰ عليه السلام في السماء والباقي ظاهر، فلا يفيد فيما فيه الكلام شيئاً.

قلت: لم يرد ﷺ من هو علىٰ وجه الأرض بالفعل لينحصر في من كان عليها في ذلك الوقت، بل من اتّصف بذلك وإن لم يستمرّ إلىٰ ذلك الوقت، وهو متحقّق في جميع النبيّين.

وأيضاً فليس المراد بمن علىٰ وجهها بأن يكون فوقه بلا واسطة، كمالا يخفىٰ، مثله قوله تعالىٰ ﴿ كلّ من عليها فان ﴾[2] فيدخل عيسىٰ عليه السلام وإن كان في السماء، علىٰ أنّ صدق العنوان لا يشترط فيه الدوام، كما تقرّر في الميزان، ويصدق علىٰ كلّ من كان علىٰ وجهها وقياماً.

---

(١) كشف الغمّة ١: ٩١ عن كتاب الآل.

(٢) الرحمٰن: ٢٦.

التاسع
انّهم خير البريّة

فمن ذلك : ما رويناه في أنّه مكتوب علىٰ لواء الحمد : آل محمّد خير البريّة .

وروى الحافظ عبد العزيز الجنابذي في كتابه ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : أنت ابن خير البريّة ، وجدّك سيّد شباب أهل الجنّة ، وجدّتك سيّدة نساء أهل العالمين[١] .

وفي إرشاد المفيد ، عن علي بن الحكم ، عن طاهر صاحب أبي جعفر عليه السلام ، قال : كنت عنده ، فأقبل جعفر عليه السلام ، فقال أبو جعفر عليه السلام : هذا خير البريّة[٢] .

ومن حديث طويل رواه ثقة الاسلام وأمينه الطبرسي – قدّس الله روحه – في أعلام الورىٰ ، بالإسناد إلىٰ يزيد بن سليط ، عن أبي عبد الله عليه السلام في حقّ أبي إبراهيم الكاظم عليه السلام : يخرج الله منه غوث هذه الأُمّة وغياثها ، وعلمها ونورها ، خير مولود وخير ناشىء ، يحقن الله به الدماء ، ويصلح به ذات البين ، ويلمّ به الشعث ، ويشعب به الصدع ، ويكسو به العاري ، ويشبع به الجائع ، ويؤمن به الخائف ، وينزل الله به القطر ، ويرحم به العباد ، خير كهل ، وخير ناشىء ، قوله حكم ، وصمته علم ، يبيّن للناس ما يختلفون فيه ، ويسود عشيرته من قبل أوان حلمه الحديث[٣] .

وقد عرفت القول بعدم الفرق .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام ، عن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب ، قال : أخبرنا منصور بن عبد الله ، قال : حدّثنا المنذر بن محمّد ، قال : حدّثنا الحسين بن

---

(١) كشف الغمّة ٢ : ١٢٠ عنه .

(٢) الارشاد للشيخ المفيد ٢ : ١٨١ .

(٣) أعلام الورىٰ ص ٣٠٦ .

محمّد ، قال : حدّثنا سليمان بن جعفر ، عن الرضا عليه السلام ، قال : حدّثني أبي ، عن جدّي ، عن آبائه ، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، قال : في جناح كلّ هدهد خلقه الله عزّوجل مكتوب بالسريانيّة : آل محمّد خير البريّة[١] .

العاشر

انّ الله أعطاهم ما أعطى النبيّ صلى الله عليه وآله

فقد روى الصدوق بإسناده إلى أبي جعفر ، إلى آبائه ، إلى النبيّ صلوات الله عليهم أجمعين في حديث طويل : ومن الحسين أئمّة هداة ، أعطاهم الله فهمي وعلمي[٢] .

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ، عن أحمد بن زياد ، بإسناده إلى أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي ، خلقهم من طينتي ، فويل للمتكبّرين[٣] عليهم بعدي ، القاطعين فيهم صلتي ، مالهم لا أنالهم الله شفاعتي[٤] .

وفي حديث طويل رواه الحميري في كتاب الدلائل ، عن الفتح بن يزيد الجرجاني : وكلّ ما اطّلع عليه الرسول اطّلع عليه أولياؤه[٥] .

وفي أعلام الورىٰ للطبرسي : الأئمّة الاثني عشر من أهل بيتي ، أعطاهم الله

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٦١ ح ٢٠ .

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٨٥ برقم : ٣١٦ وص ٧٧٢ برقم : ١٠٤٨ .

(٣) في العيون : للمنكرين .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٦٤ - ٦٥ ح ٣٢ .

(٥) كشف الغمّة ٢ : ٣٨٧ عنه .

فهمي وعلمي، وخلقهم من طينتي الحديث[١].

الحادي عشر

انّ نورهم يطفىء نور من عداهم

يرشد إلىٰ ذلك ما في أمالي الطوسي، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: إنّه كان ذات يوم جالساً بالرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين إنّك بالمكان الذي أنزلك الله عزّوجلّ، وأبوك يعذّب بالنار، فقال له: مه فضّ الله فاك، والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ نبيّاً، لو شفّع أبي في كلّ مذنب علىٰ وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أأبي يعذّب بالنار وابنه قسيم النار؟

ثمّ قال: والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ نبيّاً، إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلق طرّاً إلاّ خمسة أنوار: نور محمّد صلى الله عليه وآله، ونوري، ونور فاطمة، ونور الحسن، ونور الحسين ومن ولده من الأئمّة؛ لأنّ نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالىٰ من قبل أن يخلق آدم بألفي عام[٢].

ولا ريب في أنّ الدلالة ظاهرة؛ لأنّ إطفاء نور أبي طالب معلّل في الحديث بكونه من نورهم، فيكون نورهم أولىٰ بالغلبة.

قلت: فالويل ثمّ الويل لهذا السائل، فإنّه أجرىء من خاصّي الأسد، وكيف حملته العداوة الشنائيّة والوسوسة الشيطانيّة علىٰ مثل هذا السؤال؟ وبأبي طالب قد توطّدت بهذا الدين قواعده، وتمهّدت مقاعده، وانتظمت معاقده، وشيّدت دعائم بنيانه، وأُسّست معالم أركانه، والحديث ذو شجون، فلنذكر طرفاً من الشواهد الدالّة علىٰ ايمانه:

---

(١) أعلام الورىٰ ص ٣٧٠.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٣٠٥ برقم: ٦١٢ و ٧٠٢ برقم: ١٤٩٩.

فصل
في إثبات إيمان أبي طالب

وهل يرتاب في ايمان أبي طالب من فيه شائبة من ايمان ؟ أو يتخالجه فيه شكّ، إلاّ أن يكون شرك الشيطان ، وهو أبو سيّد الأوصياء ، وإمام الأئمّة ، وهم عليهم السلام منزّهون عن دناءة الآباء ، فكيف بالشرك ، كما يرشد إليه دليل العقل .

ويؤيّد ذلك ما رواه الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه ، عن عبد الله بن جابر الأنصاري رضي الله عنه في حديث طويل يصف فيه وقوع النطفة في الرحم ، وانتقال الانسان في بدء خلقه من حال إلىٰ حال ، فقلت : يا رسول الله فكيف حالك وحال الأوصياء بعدك في الولادة ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله مليّاً ، ثمّ قال : يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلاّ ذو حظّ عظيم ، إنّ الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جلّ ثناؤه ، يودع الله أنوارهم أصلاباً طيّبة ، وأرحاماً طاهرة ، يحفظها بملائكته ، ويرقبها بحكمته ، ويغذوها بعلمه ، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف ، وأحوالهم تدقّ عن أن تعلم ؛ لأنّهم نجوم الله في أرضه ، وأعلامه في بريّته، وخلفاؤه علىٰ عباده ، وأنواره في بلاده ، وحججه علىٰ خلقه ، يا جابر هذا من مكنون العلم ومخزونه ، فاكتمه إلاّ من أهله[1] .

وبعد الأدلّة القطعيّة والبراهين اليقينيّة القاطعة بإيمانه رضي الله عنه ، فقد نقلته الفرقة الناجية خلفاً عن سلف عن أولاده الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهم أولاده وأعلم الناس بحاله .

وانعقد الاجماع من الطائفة المحقّة عليه ، وتصديقه رضي الله عنه له صلى الله عليه وآله في خطبه وأبياته ونثره ونظمه ، والحثّ علىٰ مناصرته ، والحثّ علىٰ مبايعته ، والوصيّة في

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٤١٤ - ٤١٥ برقم : ٥٩٠١ .

الانقياد لأوامره ، والانزجار عن نواهيه ، أكثر من أن يحصىٰ .

فمن تصديقه من قصيدة له :

وقـالوا لأحـمد انّك امـرؤ	حلوف اللسان ضعيف النسب
ألا إنّ أحـمد قـد جـاءهم	بـحقّ ولم يأتـهم بـالكذب

ومن ذلك :

وأمسـى ابـن عـبد الله مـصدّقاً	علىٰ سخط من قومنا غير معتّب

وفي وصيّة حمزة رضي الله عنه علىٰ ما قال أمين الاسلام وثقته الطبرسي في أعـلام الورىٰ : وروىٰ علي بن إبراهيم بن هاشم بإسناده ، قال : كان أبو جهل لعـنه الله تعرّض لرسول الله صلى الله عليه وآله وآذاه بالكلام ، واجتمعت بنو هاشم ، فأقبل حمزة وكان في الصيد ، فنظر إلى اجتماع الناس ، فقال : ما هذا ؟ فقالت له امرأة مـن بـعض السطوح : يا أبا يعلىٰ إنّ عمرو بن هشام لعـنه الله تـعرّض لمـحمّد صلى الله عليه وآله وآذاه ، فغضب حمزة ومرّ نحو أبي جهل وأخذ قوسه ، فضرب بها رأسه ، ثمّ احتمله فجلد به الأرض ، فاجتمع الناس وكاد أن يقع فيهم شرّ ، فقالوا له : يا أبا يعلىٰ صبوت إلىٰ دين ابن أخيك ، قال : نعم أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ، علىٰ جهة الغضب والحميّة .

فلمّا رجع إلىٰ منزله ندم ، فغدا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يابن أخ أحقّاً ما تقول ؟ فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله سورة من القرآن ، فاستبصر حمزة وثبت علىٰ دين الاسلام ، وفرح به رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسرّ أبو طالب بإسلامه ، وقال في ذلك :

صبراً أبا يـعلىٰ عـلىٰ ديـن أحـمد	وكن مـظهراً للـدين وفّـقت صـابرا
وحط من أتى بالدين من عند ربّـه	بصدق وحقّ لا تكن حـمزة كـافرا
فـقد سـرّني إذ قـلت إنّك مـؤمن	فكن لرسول الله في الديـن نـاصرا

ونـــاد قـــريشاً بـــالذي قـد أتـيته جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا[١]

ومن وصيّة له وقت حضرته الوفاة لابنه علي وجعفر وأخويه حمزة والعبّاس:

أوصي بنصر بـني الخـير مشـهده عـليّاً ابـني وشـيخ القـوم عـبّاساً

وحـمزة الأسـد الحـامي حـقيقته وجـعفراً أن يـذودا دونـه النـاسا

كـــونوا فـــداءكـــم أُمّـــي ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراساً

وأبياته إلى النجاشي يستنصره ويستفزّه بها يشهد له ﷺ بالرسالة أعدل شاهد علىٰ ذلك.

قال ذو الحسبين الشريف المرتضىٰ علم الهدىٰ في كتاب تنبيه الغافلين عـن فضائل الطالبيّين: وأمثال ذلك كثيرة في قصائده المشهورة ووصاياه وخطبه.

ثمّ قال فيه مستدلاً علىٰ إيمانه ﷺ: ولأنّ أبا طالب كان يقرب مـنه، ربّـاه صغيراً ونصره كبيراً، وقام بأمره كهلاً وناشباً.

وقد ثبت بالنقل أنّه كان مسلماً، وثبت بإجماع أهل البيت أنّه أسلم، وإجماعهم حجّة، وعلىٰ أنّ نقلهم أولىٰ من نقل غيرهم؛ لأنّهم أولاده، فهم أعلم بأحواله[٢].

أقول: والاجماع من الفرقتين قد وقع علىٰ ذلك. فـقد روىٰ ذلك المـخالف والمؤالف.

فمن ذلك ما في الكتاب المذكور، عن ابن عمران أنّ أبابكر جاء بأبـيه أبـي قحافة يوم الفتح إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: ألا تركب الشيخ فآتيه وكـان أعمىٰ، فقال أبوبكر: أردت أن يأجره الله، والذي بعثك بالحقّ لأنّا كنت بإسلام أبي طالب أشدّ فرحاً من إسلام أبي، ألتمس بذلك قرّة عينك، فقال ﷺ: صدقت صدقت.

---

(١) أعلام الورىٰ ص ٥٨.

(٢) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيّين، لم أعثر عليه.

قلت : وربّما أراد بإسلامه عليه السلام إنتقاله من الإبراهيميّة إلى المحمّديّة ، والقول بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ؛ لأنّ الاسلام المصطلح هو الاقرار بالشهادتين ، وأن يكون الشهادة بالنبوّة شهادة بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ، كما هو واضح ، وإلاّ فأبو طالب لم يكفر بالله طرفة عين ، كما يرشد إليه العقل .

وملّة إبراهيم ممّا يقال عليها الاسلام ، كيف ؟ وما كان إبراهيم يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، بل هي الاسلام ؛ لقوله تعالىٰ ﴿ واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً ﴾ وقوله تعالى ﴿ قل انّني هداني ربّي إلىٰ صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً ﴾[١] وقوله تعالىٰ ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين ﴾[٢] ﴿ ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه ﴾[٣] .

وأمّا فرح أبي بكر بإسلام أبيه ، فليس بالواقع ، وإظهار لتغطئة نفاقه ، وكذلك أشدّيّة فرحه بإسلام أبي طالب وإن كان واقعاً ، فليس لاعتقاده الاسلام وميله إليه وإذعانه له ، بل لتسكين خوره ، ورفع خوفه لجبنه ، كما يشهد به قصّة الغار من قوله تعالى ﴿ لا تحزن ﴾[٤] وفرّه من الزحف ليتمكّن من الاستمرار علىٰ نفاقه بإظهار الاسلام ، ليتأدّي إلىٰ غرضه الذي أظهر له الاسلام ، كما هو منقول عن صاحب الأمر : انّه لم يؤمن إلاّ طمعاً في الرئاسة الدنيويّة[٥] . عليه من السلام السلام ، وعلىٰ هذا صدّقه النبيّ صلى الله عليه وآله .

---

(١) النساء : ١٢٥ .

(٢) الحجّ : ٧٨ .

(٣) البقرة : ١٣٠ .

(٤) التوبة : ٤٠ .

(٥) راجع : بحار الأنوار ٥٢ : ٨٦ .

إن قلت : إنّ تصديق أبي بكر إنّما وقع على فرح أبي بكر المعلّل بقرّة عين النبيّ ﷺ، فلا يكون لغرض يرجع إليه .

قلت : لمّا كانت قرّة عين النبيّ ﷺ ممّا يقتدر معها أبو بكر على الانغماس في نفاقه المؤدّي إلى حصول غرضه ، كان فرحه بها من تلك الجهة لا غير .

ومن الكتاب المذكور أيضاً ، عن أبي الحسن علي بن مهدي الطبري ، قال : روي أنّ النبيّ ﷺ لمّا دعا أبا طالب ﷺ إلى الاسلام ، قال له : ما أشدّ تصديقنا لحديثك وأقبلنا لنصحك ، وهؤلاء بنو أبيك قد اجتمعوا وأنا كأحدهم وأسرعهم والله إلى ما تحبّ ، فامض لما أُمرت به فإنّي والله تابعك يا حبيب الله ، ولا أسلمك حتّى يتمّ أمرك ، وأمّا أنت يا علي فما بك رغبة عن الدخول فيما دعاك إليه ابن عمّك ، وانّك لأحقّ من وازره ، وأنا من ورائكما حافظ ومانع ، فسرّ بذلك رسول الله ﷺ، وقال :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً نبيّاً كموسى خطّ في أوّل الكتب

أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ومن الكتاب المشار إليه ، عن الطبري أيضاً : إنّ رؤساء قريش والمشركين لمّا رأوا ذبّ أبي طالب عن النبيّ ﷺ، اجتمعوا إليه وقالوا : جئناك بفتى قريش جمالاً وجوداً وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه إليك نصرة ومنزلة لك ، وتدفع إلينا ابن أخيك الذي فرّق جماعتنا وسفه أحلامنا فنقتله ، فقال أبو طالب : والله ما أنصفتموني تعطوني إبنكم فأعدوه وأعطيكم إبني فتقتلوه ، بل فليأت كلّ امرء منكم بولده فأقتله ، وهمّوا بالاغتيال للنبيّ ﷺ، فمنعهم من ذلك أبو طالب ﷺ، وقال فيه :

منعنا الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البروق

أذبّ وأحمي رسول المليك حماية حام عليه شفيق

وقريب من ذلك ما رواه الثعلبي في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وهم ينهون عنه وينئون عنه ﴾[١] عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: اجتمعت قريش إلىٰ أبي طالب رضي الله عنه وقالوا له: سلّم إلينا محمّداً، فإنّه قد أفسد أديانا وسبّ آلهتنا، وهذه أبناؤنا بين يديك تبن بأيّهم شئت، ثمّ دعوا بعمارة بن الوليد وكان مستحسناً، فقال لهم رضي الله عنه: وهل رأيتم ناقة تحنّ إلىٰ غير فصيلها، لا كان ذلك أبداً، ثمّ نهض عنهم ودخل على النبيّ صلى الله عليه وآله، فرآه كئيباً وقد علم بمقالة قريش، فقال له: يا محمّد لا تحزن، ثمّ قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتّىٰ أُوسّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليّ غضاضة ... وابشر وقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وذكرت أنّك ناصحي ... ولقد نصحت وكنت قبل أمينا
وذكرت ديناً قد علمت بأنّه ... من خير أديان البريّة دينا[٢]

وقد شهد الحديث علىٰ صميم مناصرته، والأمر بالاظهار، وأنّ دينه خير الأديان.

قال الثعلبي: إنّ ابن عبّاس وعطاء ومقاتل والقاسم شهدوا بصحّته عن أبي طالب رضي الله عنه[٣]. وفي الحديثين السالفين فوائد:

الأُولىٰ: تصديقه رضي الله عنه له صلى الله عليه وآله على الوجه الأبلغ، كما يدلّ عليه الاثنان بصيغتي التعجّب في التصديق وقبول النصيحة.

الثانية: تنزيله صلى الله عليه وآله منزلة بني أبيه في وجوب النزول علىٰ طاعته صلى الله عليه وآله والائتمار بأمره، بل انّه أسرعهم إلىٰ ما يجب، ويؤمىء إلىٰ شيء من ذلك قوله

---

(١) الأنعام: ٢٦.
(٢) الطرائف ص ٣٠١ - ٣٠٢ عن تفسير الثعلبي.
(٣) نفس المصدر.

تعالىٰ ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[١].

الثالثة : أمره بالمضيّ لما أمر به من تأدية الرسالة .

الرابعة : إخباره إيّاه لمتابعته له مؤكّدة بالقسم .

الخامسة : حمله علىٰ تأدية الرسالة ، وتوطّنه بأنّه لا يسلم حتّىٰ يتمّ أمره ، وهو قريب في تأكيد الشيء بالتعليق على المحال من قوله تعالىٰ ﴿ حتّىٰ يلج الجمل في سمّ الخياط ﴾[٢].

السادسة : قوله لابنه علي بأن لا رغبة له عنه ﷺ ، وأنّه أحقّ بموازرته من غيره ، ومحاولة سكون قلبه بأنّه من ورائهما حافظ ومانع .

السابعة : إنكاره بقوله « ألم يعلموا » مثل قوله تعالىٰ ﴿ ألم أقل لك انّك لن تستطيع معي صبراً ﴾[٣] والظاهر أنّه يتعرّض لليهود بذلك ، أو لهم ولغيرهم ؛ لأنّ نبوّة موسىٰ من الثوابت عند من تهوّد أو لم يتهوّد .

الثامنة : أنّ هذه المحافظة والممانعة والكلاءة والمدافعة وصيّة من أبيهم هاشم رضي الله عنه واقعة علىٰ سبيل التحقيق ، ولهذا أنكر بقوله « أليس أبونا » وهي بالغة من المرتبة ما كأنّها معه هي شدّ الأزر بعينه ، كما يرشد إليه قوله « شدّ أزره » ويشهد بذلك قوله تعالىٰ ﴿ وتقلّبك في الساجدين ﴾[٤].

التاسعة : تنكيس رقاب العطارسة الصيد من قريش بحمايته له وكلاءته إيّاه ﷺ ، حتّىٰ لم يمكنهم إلاّ ردّ الأمر إليه ﷺ ، والقائد الصغار والذلّة مقدّمين له في الشكاية من ابن أخيه ﷺ بفريقه بجماعتهم وتسفيهه لأحلامهم ، فأجابهم

---

(١) الشعراء : ٢١٤.

(٢) الأعراف : ٤٠.

(٣) الكهف : ٧٥.

(٤) الشعراء : ٢١٩.

بوجه ملزم لهم لم يمكنهم التفصّي عنه ، وقوله صلى الله عليه وآله « بل يأتيني كلّ واحد منكم بولده » ليس إذعاناً منه صلى الله عليه وآله بقتله صلى الله عليه وآله لو فعلوا ذلك ، بل منسأ لهم أنّ ذلك ممّا لا يطاق ، وكيف يصبر علىٰ قتل الولد وهو قطعة من الكبد ؟

العاشرة : شدّ محاذرته حتّىٰ لم يقدروا على اغتياله ، مع اهتمامهم بما همّوا به .

الحادية عشرة : الشهادة بأنّه رسول المليك .

الثانية عشرة : الافتخار بحمايته والاظهار للمواظبة والاصرار عليه مع المباهاة بها .

قلت : وما مرّ وما يأتي ممّا يدلّ علىٰ أنّه صلى الله عليه وآله لم يكن عاملاً بالتقيّة ، ولم يكن فرضه ، بل كان متظاهراً بمتابعته مفتخراً بإيمانه به صلى الله عليه وآله .

وممّا شاع واستفاض حديث الاستسقاء ، كما في الكتاب المذكور للمرتضىٰ وكتاب نهاية الطلب وغاية السؤل للدينوري ، وغيرهم من كتب التواريخ والسير وغيرهما ، حين شكىٰ إليه أهل المدينة ، فدعا الله فأمطروا حتّىٰ أشفقوا من خراب دورها ، فسألوه في كشفه ، فقال : اللهمّ حوالينا ولا علينا ، فاستدار حتّىٰ صار كالأكليل والشمس طالعة بالمدينة والمطر يجيء علىٰ ما حولها ، يرىٰ ذلك مؤمنهم وكافرهم ، فضحك النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقال : لله درّ أبي طالب لو كان حيّاً لقرّت عيناه ، فقام علي عليه السلام ، وقال : كأنّك تريد قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل[1]

وفي الكافي ، عن إسحاق بن جعفر ، عن أبيه عليه السلام ، قال : قيل له : إنّهم يزعمون أنّ أبا طالب كان كافراً ؟ فقال : كذبوا ، كيف يكون كافراً ؟! وهو يقول :

---

(١) الطرائف ص ٣٠٥ عن نهاية الطلب .

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّب لدينا ولا يعنا بقول الأباطل

وأبيض إلىٰ آخره[١].

وهذه القصيدة ممّا أخرجه في الجمع بين الصحيحين مسنداً من حديث عبدالرحمٰن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، قال: سمعت ابن عمر يتمثّل بشعر أبي طالب، وهي قصيدة مشهورة بين الرواة أيضاً، وهي هذه:

لعمري لقد كلّفت وجداً بأحمد وأحببته حبّ الخليل المواصل

وجدت بنفسي دونه فحميته ودارأت عنه بالذرىٰ والكلاكل

فما زال في الدنيا جمالاً لأهلها وشيناً لمن عادىٰ وزين المحافل

حليماً رشيداً حازماً غير طائش يوالي إلٰه الخلق ليس بماحل

وأيّده ربّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقّه غير باطل

ألم تعلموا أنّ ابننا إلىٰ آخره. ثمّ قوله: يلوذ به الهلاّك إلىٰ آخره.

كذبتم وبيت الله نبري محمّداً ولمّا أن نناضل دونه ونقاتل

ونسلمه حتّىٰ نصرّع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٢]

وفي كتاب أعلام الورىٰ في حديث إسراء النبيّ ﷺ إلىٰ بيت المقدس: فمرّ رسول الله ﷺ في رجوعه بعير القريش، وإذا لهم ماء في آنية، فشرب منه وأكفأ ما بقي، وقد كانوا أضلّوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه، فلمّا أصبح قال لقريش: إنّ الله قد أسرى بي إلىٰ بيت المقدس، فأراني آيات الأنبياء ومنازلهم، وإنّي مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلّوا بعيراً لهم، فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك.

فقال أبو جهل لعنه الله: قد أمكنتكم الفرصة منه، فسلوه كم فيها من الأساطين

---

(١) أُصول الكافي ١: ٤٤٨ - ٤٤٩ ح ٢٩.

(٢) العمدة لابن البطريق ص ٤١٢، والطرائف ص ٣٠١ عنه.

والقناديل ؟ فقالوا : يا محمّد إنّ هاهنا من قد دخل بيت المقدس ، فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه ؟ فجاء جبرئيل عليه السلام فعلّق صورة بيت المقدس تجاه وجهه ، فجعل يخبرهم بما سألوه عنه .

فلمّا أخبرهم ، قالوا : حتّىٰ يجيء العير ونسألهم عمّا قلت ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : تصديق ذلك أنّ العير يطلع عليكم عند طلوع الشمس ، يقدمها جمل أحمر عليه عزارتان .

فلمّا كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ، ويقولون : هذه الشمس تطلع الساعة ، فبينماهم كذلك إذ طلع عليهم العير حين طلع عليهم القرص يقدمها جمل أحمر ، فسألوهم عمّا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، قالوا : لقد كان هذا ضلّ جمل لنا في موضع كذا وكذا ، ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أُريق الماء ، فلم يزدهم إلاّ عتوّاً ، فاجتمعوا في دار الندوة ، وكتبوا بينهم صحيفة أن لا يؤاكلوا بني هاشم ولا يكلّموهم ولا يبايعوهم ولا يزوّجوهم ولا يتزوّجوا إليهم ، ولا يحضروا معهم حتّىٰ يدفعوا محمّداً إليهم ليقتلونه ، وأنّهم يد واحدة علىٰ محمّد صلى الله عليه وآله ليقتلوه غيلة أو صراحاً .

فلمّا بلغ أبا طالب جمع بني هاشم ودخل الشعب ، وكانوا أربعين رجلاً ، فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام لئن شاكت محمّداً شوكة لأثبنّ عليكم يا بني هاشم ، وحصّن الشعب ، وكان يحرسه بالليل والنهار ، فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله صلى الله عليه وآله مضطجع ، ثمّ يقيمه ويضجعه في مقام آخر ، فلا يزال الليل كلّه هكذا ، ووكّل ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنهار ، وأصابهم الجهد ، وكان من دخل من العرب مكّة لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً ، أو من باع منهم شيئاً انتهبوا ماله .

وكان أبو جهل ، والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وعقبة بن

أبي معيط - عليهم اللعنة - يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكّة ، فمن رأوه معه ميرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً ، ويحذّرونه إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله .

وكانت خديجة لها مال كثير ، فأنفقته علىٰ رسول الله ﷺ في الشعب ، ولم يدخل في حلف الصحيفة مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد المطّلب بن عبد مناف ، وقال : هذا ظلم ، وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كلّ رجل من رؤساء قريش بخاتمه ، وعلّقوها في الكعبة ، وتابعهم أبولهب - لعنه الله - علىٰ ذلك .

وكان رسول الله ﷺ يخرج في كلّ موسم علىٰ قبائل العرب ، فيقول لهم : تمنعون لي جانبي حتّىٰ أتلو عليكم كتاب الله ربّي وثوابكم علي الله الجنّة ، وأبولهب في أثره ، فيقول : لا تقبلوا منه فإنّه ابن أخي وهو ساحر كذّاب .

فلم يزل هذه حاله ، فبقوا في الشعب أربع سنين لا يأمنون إلاّ من موسم إلىٰ موسم ، ولا يشترون ولا يباعون إلاّ في الموسم ، وكان يقوم بمكّة موسمان في كلّ سنة : موسم للعمرة في رجب ، وموسم للحجّ في ذي الحجّة .

وكان إذا جاءت الموسم تخرج بنو هاشم من الشعب ، فيشترون ويبيعون ، ثمّ لا يجسر أحد منهم أن يخرج إلى الموسم الثاني ، فأصابهم الجهد وجاعوا ، وبعث قريش إلىٰ أبي طالب عليه السلام ادفع إلينا محمّدا حتّىٰ نقتله ونملّكك علينا ، فقال أبوطالب قصيدته الطويلة اللاميّة التي يقول فيها :

فلمّا رأيت القوم لا ودّ فيهم ... وقد قطعوا كلّ العرىٰ والوسائل

ثمّ استوفى الأبيات المذكورة سابقاً ، وإن اختلفت الأبيات في شيء من التقديم والتأخير . فلمّا سمعوا هذه القصيدة آيسوا منه ، وكان أبو العاص بن الربيع وهو ختن رسول الله ﷺ يجيء بالعير بالليل عليها البرّ والتمر إلىٰ باب الشعب ، ثمّ يصيح بها ، فتدخل الشعب فيأكلها بنو هاشم ، وقال رسول الله ﷺ : لقد صاهرنا أبو العاص فأحمد صهرنا ، لقد كان يعمد إلى العير ونحن في الحصار ، فيرسلها في

الشعب ليلاً.

فلمّا أتىٰ لرسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب أربع سنين، بعث الله علىٰ صحيفتهم القاطعة دابّة الأرض، فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور، وتركت اسم الله، ونزل جبرئيل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بذلك، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أبا طالب، فقام أبو طالب فلبس ثيابه، ثمّ مشىٰ حتّىٰ دخل علىٰ قريش وهم مجتمعون فيه.

فلمّا بصروا به قالوا: قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليسلّم ابن أخيه، فدنا منهم وسلّم عليهم، فقاموا إليه وعظّموه، وقالوا: يا أبا طالب قد علمنا أنّك أردت مواصلتنا والرجوع إلىٰ جماعتنا، وأن تسلّم إلينا ابن أخيك، قال: والله ما جئت لهذا، ولكن ابن أخي أخبرني ولم يكذب أنّ الله أخبره أنّه قد بعث علىٰ صحيفتكم القاطعة دابّة الأرض، فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، فابعثوا إلىٰ صحيفتكم، فإن كان حقّاً فاتّقوا الله وارجعوا عمّا أنتم عليه من الظلم وقطيعة الرحم، وإن كان باطلاً دفعته إليكم، فإن شئتم قتلتموه، وإن شئتم استحييتوه.

قلت: وهذا منه عليه السلام نهاية اعتقاد بقول النبيّ صلى الله عليه وآله واعتماد عليه، وإلاّ فمن المعلوم أنّه لا يسلّمه، لكنّه عنده أنّ ذلك شرطته ممتنعة المقدّم.

فبعثوا إلى الصحيفة، فأنزلوها من الكعبة، وعليها أربعون خاتماً، فلمّا أتوا بها نظر كلّ رجل منهم إلىٰ خاتمه، ثمّ فكّوها، فإذا ليس فيها حرف واحد إلاّ باسمك اللهمّ، فقال لهم أبو طالب: يا قوم اتّقوا الله وكفّوا عمّا أنتم عليه، فتفرّق القوم ولم يتكلّم أحد، ورجع أبو طالب إلى الشعب، وقال في قصيدته البائيّة:

ألا من لهم آخر الليل منصب ... وشعب القضا من قومك المتشعّب

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة ... متىٰ ما يخبّر غائب القوم يعجب

محى الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحقّ معرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ومن يختلق ما ليس بالحقّ يكذب
وأمسى ابن عبد الله فينا مصدّقاً علىٰ سخط من قومنا غير معتب
فلا يحسبونا مسلمين محمّداً لذي عزّة منّا ولا متعزّب
ستمنعه منّا يد هاشميّة مركّبها في الناس خير مركّب

وقال عند ذلك رجال من بني عبد مناف وبني قصيّ ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم، منهم مطعم بن عدي بن عامر بن لؤيّ، وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد، وأبو البختري، وزهير بن أُميّة المخزومي في رجال من أشرافهم: نحن نبرأ ممّا في هذه الصحيفة، وقال أبو جهل لعنه الله: هذا أمر قضي بليل، وخرج النبيّ صلى الله عليه وآله من الشعب ورهطه وخالطوا الناس، ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين، وماتت خديجة بعد ذلك.

وورد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله أمران عظيمان، وجزع جزعاً شديداً، ودخل علىٰ أبي طالب وهو يجود بنفسه، فقال: يا عمّ ربّيت صغيراً، ونصرت كبيراً، وكفّلت يتيماً، فجزاك الله عنّي خير الجزاء[1].

فليتأمّل المنصف المتدبّر بعين الانصاف ما في هذا الخبر وحده من تشييد قاعدة للاسلام، وانتباه بيان لأهل دار السلام من أبي طالب عليه وأولاده أفضل الصلاة والسلام.

ولقد قال الطبرسي في أعلام الورىٰ: وروىٰ هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما زالت قريش كاعة[2] عنّي حتّىٰ مات أبو طالب[3].

---

(١) أعلام الورىٰ ص ٥٩ - ٦٢.
(٢) الكاعة جمع كائع وهو الجبان.
(٣) أعلام الورىٰ ص ١٨.

وفي الكافي : عن عبيد بن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : لمّا توفّي أبوطالب نزل جبرئيل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا محمّد اخرج من مكّة ، فليس لك بها ناصر ، وثارت قريش بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، فخرج هارباً ، حتّىٰ جاء إلىٰ جبل بمكّة يقال له : الحجون ، فصار إليه[١] .

ومنه أيضاً : ومات أبو طالب بعد موت خديجة لسنة ، فلمّا فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله شناً المقام بمكّة ودخله حزن شديد ، وشكىٰ ذلك إلىٰ جبرئيل عليه السلام ، فأوحى الله إليه اخرج من القرية الظالم أهلها ، فليس لك بمكّة ناصر بعد أبي طالب ، وأمره بالهجرة[٢] .

ومن أعلام الورىٰ من خبر الغار : وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيّام في الغار ، ثمّ أذن الله في الهجرة له ، وقال : اخرج عن مكّة يا محمّد ، فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب الحديث[٣] .

ولقد أحسن ابن أبي الحديد بقوله :

ولو لا أبو طالب وابنه ... لما مثل الدين شخصاً فقاما

فهذا بمكّة آوىٰ وحامىٰ ... وهذا بيثرب خاض الحماما

ولله درّه عليه السلام ما أكثر حقوقه .

ففي الكافي عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : لمّا ولد النبيّ صلى الله عليه وآله مكث أيّاماً ليس له لبن ، فألقاه أبو طالب علىٰ ثدي نفسه ، فأنزل فيه لبناً ، فرضع منه أيّاماً ، حتّىٰ وقع أبو طالب علىٰ حليمة فدفعه إليها[٤] .

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٤٤٩ ح ٣١ .

(٢) أُصول الكافي ١ : ٤٤٠ .

(٣) أعلام الورىٰ ص ٧٣ .

(٤) أُصول الكافي ١ : ٤٤٨ ح ٢٧ .

ومن الكافي أيضاً عن ابن فضّال ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: نزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال : يا محمّد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول : إنّي قد حرّمت النار علىٰ صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفّلك . فالصلب صلب أبيه عبد الله بن عبد المطّلب ، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب ، وأمّا حجر كفّلك فحجر أبي طالب[١] .

ولعمري انّ حقوق أبي طالب عليه السلام أعظم من حقوق عبد الله وآمنة رضي الله عنهما .

وفي الكافي ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : بينا النبيّ صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد ، فألقى المشركون عليه سلا ناقة ، فملؤوا ثيابه بها ، فدخله من ذلك ما شاء الله ، فذهب إلىٰ أبي طالب فقال له : يا عمّ كيف ترىٰ حسبي فيكم ؟ فقال له : وما ذاك يابن أخي ؟ فأخبره الخبر ، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف ، وقال لحمزة خذ السلا ، ثمّ توجّه إلى القوم والنبيّ صلى الله عليه وآله معه ، فأتىٰ قريشاً وهم حول الكعبة ، فلمّا رأوه عرفوا الشرّ في وجهه ، ثمّ قال لحمزة : أمرّ السلا علىٰ سبالهم ، ففعل ذلك حتّىٰ أتىٰ علىٰ آخرهم ، ثمّ التفت أبو طالب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال له : يابن أخي هذا حسبك فينا[٢] .

قلت : ولئن أبقى أبو طالب عليه السلام عند بعض المشركين .

ففي الكافي عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف ، أسرّوا الايمان وأظهروا الشرك ، فآتاهم الله أجرهم مرّتين[٣] .

يؤيّده ما نقل عن كتاب اكمال الدين واتمام النعمة : حدّثنا محمّد بن الحسن ،

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٤٤٦ ح ٢١ .
(٢) أُصول الكافي ١ : ٤٤٩ ح ٣٠ .
(٣) أُصول الكافي ١ : ٤٤٨ ح ٢٨ .

عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أيّوب بن نوح، عن العبّاس بن عامر، عن علي بن أبي سارة، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ أبا طالب أظهر الشرك[١] وأسرّ الايمان، فلمّا حضرته الوفاة أوحى الله عزّوجلّ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله اخرج منها فليس لك بها ناصر، فهاجر إلى المدينة.

وقال أبو جعفر محمّد بن علي مؤلّف كتاب الاكمال: إنّ أبا طالب كان مؤمناً ولكنّه كان يكتم إيمانه ويظهر الشرك ليكون أشدّ تمكّناً من نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

أقول: وهذا لا ينافي ما ذكرناه من أنّ بعض كلامه ممّا يدلّ علىٰ أنّه لم يكن عاملاً بالتقيّة؛ لأنّه ربّما كان المراد عند البعض، وهو كاف في تصحيح إيجاب قضيّة تقيّته عليه السلام؛ لأنّه كان عليه السلام من الرواة عنه صلى الله عليه وآله.

ففي كتاب نهاية الطلب وغاية السؤل لبعض الحنابلة[٣]، بإسناده قال: سمعت أبا طالب عليه السلام يقول: حدّثني محمّد ابن أخي، وكان والله صدوقاً، قال: قلت له: بم بعثت يا محمّد؟ قال: بصلة الأرحام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة[٤].

ومن الكتاب المذكور بإسناده إلىٰ عروة بن عمر الثقفي، قال: سمعت أباطالب عليه السلام قال: سمعت ابن أخي الأمين يقول: اشكر ترزق، ولا تكفر فتعذّب[٥].

ومن عجيب مظاهره ما في كتاب أخبار أبي عمرو الزاهد بالإسناد إلى ابن

---

(١) في الاكمال: الكفر.

(٢) اكمال الدين ص ١٧٤.

(٣) وهو إبراهيم بن علي بن محمّد الدينوري.

(٤) الطرائف ص ٣٠٤ ح ٣٩٠ عنه.

(٥) الطرائف ص ٣٠٤ ح ٣٩١ عنه.

عبّاس عليه السلام في قصّة قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[١] وقد جمعهم ، والخبر يشتمل على معجزة للنبيّ هي إشباع الخلق الكثير من الزاد القليل ، وقد اعترضه أبو لهب بقوله : ألهذا دعوتنا وقد قام ليدعوهم ، قال : فانصرف الناس كلّهم ، فلمّا كان من الغد ، قال صلى الله عليه وآله لي : يا علي اصنع لي مثل ذلك الطعام والشراب، ومضيت إليهم برسالته .

قال : فلمّا أكلوا قام رسول الله صلى الله عليه وآله ليتكلّم ، فاعترضه أبو لهب ، قال : فقال له أبو طالب : اُسكت يا أعور ما أنت وهذا ؟ قال : ثمّ قال أبو طالب : لا يقومنّ أحد ، فجلسوا ، ثمّ قال للنبيّ : قم يا سيّدي فتكلّم بما شئت ، وبلّغ رسالة ربّك ، فإنّك الصادق المصدّق .

قال : فقال صلى الله عليه وآله لهم : أرأيتكم لو قلت لكم : إنّ وراء هذا الجبل جيشاً يريد أن يغيّر عليكم أكنتم تصدّقوني ؟ قال : فقالوا كلّهم : نعلم أنّك أنت الأمين الصادق ، قال : فقال لهم : فوحّدوا الله الجبّار ، واعبدوه وحده بالاخلاص ، وانزعوا[٢] هذه الأنداد والأنحاس ، وأقرّوا واشهدوا لي بأنّي رسول الله إليكم وإلى الخلق ، فإنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، قال : فقاموا وانصرفوا كلّهم ، وكان الموعظة قد عملت فيهم .

قال طاووس آل طاووس في طرائفه بعد إيراد الحديث : لو لم يكن لأبي طالب عليه السلام إلاّ هذا الحديث ، وأنّه سبب في تمكين النبيّ صلى الله عليه وآله من تأدية الرسالة ، وتصريحه بقوله « بلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق » لكفاه شاهداً بإيمانه وعظيم حقّه على أهل الاسلام ، وجلالة أمره في الدنيا وفي دار المقام ، وما

---

(١) الشعراء : ٢١٤ .

(٢) في الطرائف : واخلعوا .

كان لنا حاجة إلىٰ إيراد حديث سواه[١].

أقول: وهذا الحديث ممّا يشهد بأنّه ليس يوجد بعد الله ورسوله حقّ على الاسلام وأهله مثل أبي طالب عليه السلام.

وكيف لا يكون؟ وقد روىٰ إبراهيم بن علي بن محمّد الدينوري الحنبلي في كتاب نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول، بالإسناد إلىٰ عبد الله بن المغيرة، قال: فقد أبو طالب محمّداً صلى الله عليه وآله، فظنّ أنّ بعض قريش اغتاله فقتله، فبعث إلىٰ بني هاشم، فقال: يا بني هاشم أظنّ أنّ بعض قريش اغتال محمّداً فقتله، فليأخذ كلّ واحد منكم حديدة صارمة وليجلس إلىٰ عظيم من عظماء قريش: فإذا قلت أُبغني محمّداً فليقتل كلّ رجل منكم الرجل الذي إلىٰ جانبه.

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله خبر أبي طالب عليه السلام وهو في بيت عند الصفا، فأتىٰ أباطالب وهو في المسجد، فلمّا رآه أبو طالب عليه السلام أخذ بيده، ثمّ قال: يا معشر قريش فقدت محمّداً، فظننت أنّ بعضكم اغتاله، فأمرت كلّ فتى من بني هاشم أن يأخذ حديدة صارمة ويجلس كلّ واحد منهم إلىٰ عظيم منكم، فإذا قلت أُبغني محمّداً قتل كلّ واحد منهم الرجل الذي إلىٰ جنبه، فاكشفوا لي عمّا في أيديكم يا بني هاشم، فكشف بنو هاشم عمّا في أيديهم، فنظرت قريش إلىٰ ذلك، فعندها هابت قريش رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أنشأ أبو طالب «ألا أبلغ قريشاً حيث حلّت» الأبيات[٢].

أقول: والفائدة في أمر أبي طالب عليه السلام بني هاشم بالكشف عمّا في أيديهم مع علمه بسلامة رسول الله صلى الله عليه وآله واضحة، هي تنبّه قريش علىٰ أنّه في الذبّ عنه صلى الله عليه وآله والكلاءة والمدافعة والحماية بهذه المثابة بعد إخبارهم الخبر؛ إذ ليس العيان

---

(١) الطرائف في معرفة المذاهب ص ٢٩٩ - ٣٠٠، المطبوع بتحقيقنا.

(٢) الطرائف ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ح ٣٨٩ عنه.

كالخبر، كيف؟ ولا يكون كذلك أبو طالب عليه السلام، وهو يتوارث تلك من آبائه عليهم السلام.

ففي الكتاب المذكور بالإسناد إلى ابن عبّاس رضي الله عنه من حديث طويل أنّه صلى الله عليه وآله ذكر لعمّه العبّاس رسالته، فنصحه وأعلمه بحسد قريش لبني أبيه، وأمره بالمجيء إلىٰ أبي طالب عليه السلام، فلمّا أن جاء وأخبره العبّاس بالخبر، نظر إليه صلى الله عليه وآله وقال له: اخرج يا ابن أخي فإنّك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلىٰ أباً، والله لا يسلقك لسان إلاّ سلقته ألسنة حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلّلنّ لك العرب ذلّ البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب، ولقد قال: إنّ من صلبي لنبيّاً لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به الحديث[1].

والحديث يدلّ علىٰ أنّه عليه السلام من ورثة الكتاب، كيف؟ وقد اشتبه علىٰ بعضهم أنّه حجّة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله.

ففي الكافي، عن درست بن أبي منصور، أنّه سأل أبا الحسن الأوّل عليه السلام أكان رسول الله صلى الله عليه وآله محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: لا ولكنّه كان مستودعاً للوصايا، فدفعها إليه صلى الله عليه وآله، قال: قلت: فدفع إليه الوصايا علىٰ أنّه محجوج به؟ فقال: لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصيّة، قال: قلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: أقرّ بالنبيّ وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه[2].

وهذا الحديث صريح بأنّه عليه السلام كان وصيّاً وحجّة علىٰ أهل زمانه، كما يدلّ عليه الكلام بمنطوقه.

ويرشد إلىٰ أنّه كذلك ما في الكتاب المشار إليه، عن محمّد بن عبد الله يرفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أبا طالب أسلم بحساب الجمل؟ قال: بكلّ

---

(١) الطرائف ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ح ٣٨٨ عنه.

(٢) أُصول الكافي ١: ٤٤٥ ح ١٨.

لسان[١]. لأنّ الألسنة بأجمعها لا يعلمها إلاّ النبيّ أو وصيّه.

ويؤيّد ذلك ما في الكافي أيضاً بالإسناد إلى عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرىٰ فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعليّاً، فلم يزالا نورين أوّلين؛ إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة، حتّى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب[٢].

قلت: قوله عليه السلام «إذ لا كان» فعل جعل إسماً من قبيل قولهم القيل والقال، وعبد المطّلب رضي الله عنه أصلهما في ذلك.

ففي الكافي عن زرارة بن أعين، قال: يحشر عبد المطّلب يوم القيامة أُمّة واحدة، وعليه سيماء الأنبياء، وهيبة الملوك[٣].

ومنه عن محمّد بن سنان، والمفضّل بن عمر جميعاً، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يبعث عبد المطّلب أُمّة وحده، عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء الحديث[٤].

وعن مقرن، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ عبد المطّلب أوّل من قال بالبداء، يبعث يوم القيامة أُمّة وحده، عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء[٥].

قلت: والعجب والأعجب من النواصب - سوّد الله وجوههم - أنّهم يقولون في

---

(١) أُصول الكافي ١: ٤٤٩ ح ٣٢.
(٢) أُصول الكافي ١: ٤٤٢ ح ٩.
(٣) أُصول الكافي ١: ٤٤٧ ح ٢٢.
(٤) أُصول الكافي ١: ٤٤٧ ح ٢٤.
(٥) أُصول الكافي ١: ٤٤٧ ح ٢٣.

تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وهم ينهون عنه وينئون عنه ﴾[١] أنّها نزلت في أبي طالب عليه السلام كان يمنع الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يتبعه .

علىٰ أنّ المراد بها مشركوا قريش وكفّار مكّة ، يعني ينهون عن اتّباعه غيرهم وينأون عنه ، فكأنّه خرج مخرج الذمّ ، يدلّ علىٰ ذلك السياق ، مع أنّ ما تقدّم وما تأخّر فيهم ، علىٰ أنّ ذلك عدول عن الظاهر لغير موجب ، ولا دلالة فيها علىٰ ما ذكروه بوجه من الوجوه ، وذهب إلىٰ ما قلناه محمّد بن الحنفيّة ومجاهد والسديّ والضحّاك ، كما نقله الشريف المرتضىٰ علم الهدى عنهم .

قال طاووس آل طاووس في طرائفه : إنّني لأعجب ممّن يدّعي أنّ عائشه تابت ممّا جرىٰ علىٰ يديها من سفك دماء من قتل في حرب البصرة ، وهذا المدّعي لتوبتها يعلم يقيناً أنّها ما طافت علىٰ أولياء المقتولين والمظلومين بطريق تصانعهم ، ولا أرسلت إليهم ، ولا التفتت إلىٰ إبراء ذمّتها ممّا جرت عليه الحال من تلف ما تلف من النفوس والأموال ، وخراب ما خرب من الأموال والمزارع .

أفهكذا تكون التوبة من الدماء والأنفس والأموال والحقوق الربّانيّة وحقوق المسلمين ؟ إنّ دعوىٰ توبتها من الفضائح المظهرة للمعصية التي لا تليق بالعقل والدين ، وإنّهم لم يلتفتوا إلىٰ ذلك كلّه وشهدوا لها بالايمان ومدحوها .

ثمّ تظاهروا بالشهادة علىٰ أبي طالب عمّ نبيّهم صلى الله عليه وآله وكفيله أنّه مات كافراً ، وكذبوا الأخبار الصحيحة المتضمّنة لإيمانه ، وردّوا شهادة عترة نبيّهم الذين رووا أنّهم لا يفارقون كتاب ربّهم .

وإنّني وجدت علماء هذه العترة مجمعين علىٰ ايمان أبي طالب عليه السلام ، وما رأيت هؤلاء الأربعة المذاهب كابروا في من قتل عنه أنّه مسلم مثل هذه المكابرة ،

---

(١) الأنعام : ٢٦ .

وما زال الناس يشهدون بالايمان لمن يخبر عنه مخبر بذلك ، أو يرىٰ عليه صفة تقتضي بعض الايمان .

وسوف أورد لك بعض ما أوردوه في كتبهم برواية رجالهم من الأخبار الدالّة لفظاً أو معنىً تصريحاً أو تلويحاً بإيمان أبي طالب عليه السلام ، ويظهر لك أنّ شهادتهم عليه بالكفر ليست إلاّ عداوة لولده علي بن أبي طالب عليه السلام أولبني هاشم[١] .

ثمّ قال : فكيف استجاز أحد من المسلمين العارفين مع هذه الروايات ومضمون هذه الأبيات أن ينكر إيمان أبي طالب عليه السلام ، وقد تقدّمت روايتهم لوصيّة أبي طالب لابنه أمير المؤمنين عليه السلام بملازمة محمّد صلى الله عليه وآله ، وقوله عليه السلام « انّه لا يدعو إلاّ إلىٰ خير » وقول نبيّهم له « جزاك الله خيراً » وقوله صلى الله عليه وآله « لو كان حيّاً قرّت عيناه » .

ولو لم يعلم نبيّهم أنّ أباطالب عليه السلام مات مؤمناً ما دعا له ، ولا كان تقرّ عين نبيّهم ، ولو لم يكن إلاّ شهادة عترة نبيّهم له بالايمان لوجب تصديقهم لما شهد نبيّهم أنّهم لا يفارقون كتاب الله ، ولا ريب أنّ العترة أعرف بباطن أبي طالب ، وشيعة أهل البيت مجمعون علىٰ ذلك ، ولهم فيه مصنّفات ، وما رأينا ولا سمعنا أنّ مسلماً أخرجوا[٢] فيه مثل ما أخرجوا في أبي طالب عليه السلام .

والذي نعرفه منهم أنّهم يثبتون إيمان الكافر بأدنىٰ سبب وبأدنىٰ خبر واحد وبالتلويح ، فقد بلغت عداوتهم لبني هاشم إلىٰ إنكار إيمان أبي طالب عليه السلام ، مع ثبوت ذلك عليه بالحجج المتواترات ، إنّ هذه من جملة العجائب[٣] .

أقول : لقد كان لكم في رسول الله صلى الله عليه وآله أُسوة حسنة ، ولأبي طالب تأسّياً بالله

---

(١) الطرائف ص ٢٩٩ .

(٢) في الطرائف : أحوجوا . في الموضعين .

(٣) الطرائف في معرفة المذاهب ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

ورسله أُسوة حسنة ، فقد نسب بعضهم الكفر إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتأوّلوا في ذلك قوله تعالىٰ ﴿ ووجدك ضالاً فهدىٰ ﴾[١] .

وإلىٰ آدم وحوّاء نسبوا الشرك ، متمسّكين بظاهر قوله عزّ من قائل ﴿ لئن آتيتنا صالحاً لنكوننّ من الشاكرين * فلمّا آتاهما صالحاً جعلا له شركاء ﴾[٢] وجعلوا الضمير راجعاً إليهما عليهما السلام ، وهو راجع إلىٰ صنف الذكور والاناث من أولادهما ، كما هو المنقول عن الرضا عليه السلام في عيون أخبار الرضا[٣] ، ورووا ذلك في كتبهم وتواريخهم ، ونقلوا طرفاً منه في الجمع بين الصحيحين للحميدي في مسند أبي هريرة ، وذكروا في الجمع بين الصحيحين أخباراً في تفسّح الأنبياء والرسل مجملاً وتفصيلاً ينكرها أعداء الأعلام من أهل الملل بتنزيههم عليهم السلام عنها .

وحيث لم يكن التعرّض لحال أبي طالب عليه السلام من غرض هذه العجالة ، وإن كان التعرّض لبيان أحواله وإطراء مكارمه من أفعاله وأقواله شكر لليسير من إفضاله وأطواله ، يجب على الاسلام وأهله القيام به ؛ لمكان ما له من يد وصنيع .

لكن الغرض إنّما هو إيراد موارد العبور ، والاطّلاع علىٰ عناد هذه الفرقة الناصبة مناصب الشقاق الناصبة سوّد الله وجه من بنىٰ عليها بخنصره ، ويرجع إليها بعقيدته ، مع ما فعلوه في مصنّفاتهم ، وأوردوه في كتبهم ، وأثبتوه في مدوّناتهم ، ونقلوه عن الثقات عندهم ، ودوّنوه ممّا يفصح عن نقاب الاحتجاب ، ويسفر عن لثام الحجاب ، ويكشف عن ظواهر أستار الأسرار ، بلسان معرب عن إيمانه ، ومفصح عن اتقانه ، بحيث لا يعتريه شوب ريب ، ولا يعتوره لبس شبهة .

هذا والغيرة الطالبيّة ، والحميّة العلويّة ، كيف لها بالصبر في مثل ذلك ؟ وإن مدّ

---

(١) الضحىٰ : ٧ .

(٢) الأعراف : ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٩٦ - ١٩٧ .

الله في العمر عملت كتاباً مبسوطاً في هذا الباب ، نقبض بكفّ الهداية على يد السلامة من شيم الاضطراب .

الثاني عشر
انّ الله أورثهم مواريث الأنبياء

فيكونون أجمع للفضائل ، فيكونون أفضل .

أمّا الأوّل ، فممّا لا يختلف فيه اثنان ، إن حكموا الانصاف في عقولهم ، حتّى أقرّ به هارون الرشيد ، كما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام في حديث يشتمل على دخول هارون المدينة ، ودخول الامام موسى عليه السلام عليه ، وسؤال المأمون منه من هذا الرجل ، فقال : يا بنيّ هذا وارث علوم الأوّلين والآخرين ، هذا موسى بن جعفر ، فإذا أردت علماً فعند هذا[1] .

وقال الشيخ المفيد في ارشاده : وروى أبو حمزة الثمالي ، عن الصادق عليه السلام ، قال : سمعته يقول : ألواح موسى عندنا ، وعصا موسى عندنا ، ونحن ورثة النبيّين[2] .

والجمع المضاف في « الورثة » والمحلّى باللام في « النبيّين » كلّ منهما يفيد العموم ، فيكون كلّ منهم عليهم السلام وارثاً لكلّ من الأنبياء عليهم السلام .

وروى الإمام القطب الراوندي في الخرائج والجرائح ، عن علي بن أبي حمزة ، قال : حججت مع الصادق عليه السلام ، فجلسنا في بعض الطريق تحت نخلة يابسة ، فحرّك شفتيه بدعاء لم أفهمه ، ثمّ قال : يا نخلة أطعمينا ممّا جعل الله فيك من رزق عباده ، قال : فنظرت إلى النخلة وقد تمايلت نحو الصادق عليه السلام وعليها أعذاقها وفيها الرطب ، فقال : أُدن فسمّ وكل ، فأكلنا رطباً أعذب رطب وأطيبه ، فإذا نحن

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٩٣ ح ١٢ .

(٢) الارشاد ٢ : ١٨٧ .

بأعرابيّ يقول : ما رأيت كاليوم سحراً أعظم من هذا .

فقال الصادق عليه السلام : نحن ورثة الأنبياء ، ليس فينا ساحر ولا كاهن ، بل ندعوا الله فيجيب ، فإن أحببت أن أدعو الله فيمسخك كلباً تهتدي إلىٰ منزلك ، وتدخل فتبصبص لأهلك فعلت ، فقال الأعرابي : نعم ، فدعا الله ، فصار كلباً في الوقت ومضىٰ علىٰ وجهه ، فقال لي الصادق عليه السلام : اتّبعه ، فتبعته حتّىٰ إذا صار إلىٰ حيّة ، فدخل منزله وجعل يبصبص لأهله وولده ، فأخذوا له العصا حتّىٰ أخرجوه ، فانصرفت إلى الصادق عليه السلام فأخبرته بما كان ، فبينما نحن في هذا الحديث إذ أقبل حتّىٰ وقف بين الصادق عليه السلام ، وجعلت دموعه تسيل ، وأقبل يتمرّغ في التراب ويعوي ، فرحمه ، فدعا الله له الصادق عليه السلام ، فعاد أعرابيّاً ، فقال الصادق عليه السلام : هل آمنت يا أعرابيّ ؟ فقال : نعم ألفاً وألفاً[١] .

والغرض من ايراد هذا الحديث إنّما هو قوله عليه السلام « نحن ورثة الأنبياء » لكن ما أحببت أن أُوتر ترك إيراد هذه المعجزة علىٰ ذكرها ، والظاهر أنّ بعض أهل النصب لا يؤمن إلاّ كإيمان الأعرابيّ .

إن قلت : كيف يصحّ قلب الانسان كلباً ؟ وانقلاب الحقائق محال .

قلت : المسخ أمر جائز ؛ إذ لو امتنع : فإمّا أن يمتنع لذاته ، أو لغيره . والأوّل باطل ؛ لأنّه لا يلزم من فرضه فرض محال . وأمّا الثاني ، فالأصل عدمه ، بل هو واقع ؛ لقوله تعالىٰ ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾[٢] وقوله ﴿ إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾[٣] بل هو واجب الوقوع في هذه الأُمّة ؛ لوقوعه في الأُمم السابقة ، لقوله عليه السلام : كلّما صار في الأُمم السالفة يصير في هذه الأُمّة حذو النعل

---

(١) الخرائج والجرائح ١ : ٢٩٦ ح ٣ .

(٢) البقرة : ٦٥ .

(٣) يس : ٨٢ .

بالنعل والقذّة بالقذّة . فيجب وقوعه في هذه الأُمّة ، وأين هو من انقلاب الحقائق ؟ غاية ما في الباب أنّه كان فرداً من ماهيّة فصار من أُخرىٰ .

إن قلت : سلّمنا لكن هل هذا إلاّ تناسخ ؟ وأنتم لا تقولون به ، لا سيّما ومجاهد فسّر قوله ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ بمسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم ، لا أنّه مسخ صورهم ، محتجّاً بأنّ الانسان هو هذا الهيكل المحسوس ، فإذا أبطله وخلق مكانه قرداً ، رجع حاصل المسخ إلىٰ إعدام الأعراض الذي كان باعتبارها ذلك الجسم إنساناً ، وايجاد أعراض أُخرىٰ باعتبارها صار قرداً . وأيضاً لو جوّزنا ذلك لم نأمن في كلّما نراه قرداً وكلباً أنّه كان إنساناً عاقلاً ، وذلك شكّ في الشاهدات.

قال شمس الدين السمرقندي : اتّفق المحقّقون من الفلاسفة وأهل الملّة علىٰ إبطال التناسخ ، وهذا أحد أقسامه ، حيث قال القائلون بالتناسخ طوائف أربع :

فالأوّل : من قال : النفس الانسانيّة لا تتعلّق إلاّ ببدن إنسانيّ .

الثاني : من جوّز انتقالها إلىٰ بدن حيوان غير إنسان .

الثالث : من جوّز انتقالها إلىٰ النبات أيضاً .

الرابع : من جوّز انتقالها إلى الجماد أيضاً ، وهؤلاء يسمّون انتقالها إلىٰ إنسان نسخاً ، وإلىٰ حيوان مسخاً ، وإلى النبات فسخاً ، وإلى الجماد مسخاً .

قلت : ليس هذا من ذلك في شيء ؛ فإنّ هذه النفس في ذلك القالب بعينه ، لكنّه هو انتقل من حالة إلى أُخرىٰ ، وانتقال الجوهر من حال إلىٰ حال لا ينكره متكلّم ولا حكيم ، فإنّ انقلاب العناصر والمركّبات بعضها إلىٰ بعض أمر معروف ، وكفاك تقلّب عصا موسىٰ حيّة ، فإنّه أبعد ؛ إذ ليس ما بين النبات والحيوان ما بين الانسان وبين جنسه .

قال أمين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان : وفي انقلاب العصا حيّة دلالة علىٰ أنّ الجواهر متماثلة ، وأنّها من جنس واحد ؛ لأنّه حال أبعد إلىٰ حال الحيوان

من حال الخشب ، وما جرىٰ مجراه من الجماد انتهىٰ .

وفساد صورة وكون أُخرىٰ ممّا لا ينكره الحكيم ، ولا يلزم من ذلك انقلاب الحقائق فرداً .

والجواب عن قول مجاهد بأنّ الانسان ليس هذا الهيكل لتبدّله بالسمن والهزال، فهو أمر وراء ذلك : إمّا جسمانيّ سار في جميع البدن ، أو جزئيّ جاء من البدن ، كقلب أو دماغ ، أو مجرّد كما يقوله الفلاسفة وبعض المحقّقين من المتكلّمين.

وعلى التقادير كلّها ، فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرّق التغيير إلىٰ هذا الهيكل ، وهذا هو المسخ ، ولولا جواز هذا القدر من التغيّر ، فكيف كنّا نجوّز في الملك الذي يكون جثّة في غاية العظم أن يدخل حجرة الرسول صلى الله عليه وآله .

قال النظّام الأعرج في تفسيره : ولم يتغيّر منهم إلاّ الخلقة والصورة والعقل والفهم بحاله ، فإنّهم يعرفون ما نالهم بشوم المعصية من تغيّر الخلقة ونشور الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر الخواصّ الانسانيّة ، فيتألّمون بذلك ويتعذّبون .

ثمّ قال : وأُولئك القردة بقوا ، أو أفناهم الله تعالىٰ ، وعلىٰ تقدير بقائهم فهل القردة التي في زماننا من نسلهم أم لا ؟ الكلّ جائز عقلاً إلاّ أنّ الرواية عن ابن عبّاس أنّهم ما مكثوا إلاّ ثلاثة أيّام .

قلت : وعلىٰ هذا نصّ الصدوق في فقيهه .

الثالث عشر

انّهم ورثة النبيّ صلى الله عليه وآله

يدلّ علىٰ ذلك ما في ارشاد المفيد ، عن عمر بن أبان ، قال : سألت الصادق عليه السلام عمّا يتحدّث به الناس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دفع إلىٰ أُمّ سلمة صحيفة مختومة، فقال : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قبض ورث علي عليه السلام علمه وسلاحه وما هناك ، ثمّ صار إلى

الحسن عليه السلام، ثمّ صار إلى الحسين عليه السلام، ثمّ صار إلىٰ علي بن الحسين عليهما السلام، ثمّ صار إليّ، ثمّ انتهىٰ إليّ[١].

وفي الكافي الكليني، وفي لوامع الأسرار، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت يوماً للباقر عليه السلام: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قلت: ورسول الله وارث الأنبياء؟ قال: نعم ورث علومهم جميعاً، قلت: وأنتم ورثتم جميع علم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قلت: فأنتم تقدرون أن تحيوا الموتىٰ، وتبرؤوا الأكمه والأبرص وتخبرون الناس بما يأكلون وما يدّخرون؟ قال: بإذن الله[٢].

أقول: ولم يرد الباقر عليه السلام العلم وحده، بل إرث جميع ما كان من علم وغيره، يرشدك إليه قول أبي بصير «وأنتم تقدرون» إلىٰ آخره، وفعل الباقر عليه السلام بأبي بصير عند قوله «فدنوت منه فمسح علىٰ وجهي، فأبصرت السهل والجبل والسماء والأرض، ثمّ مسح علىٰ وجهي فصرت لا أبصر شيئاً، قال أبو بصير: قال لي الباقر عليه السلام: إن أحببت أن تكون هكذا كما أبصرت وحسابك على الله، وإن كنت تحبّ كما كنت وثوابك الجنّة؟ فقلت: أكون كما كنت والجنّة أحبّ إليّ[٣].

وفي الكافي، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ سليمان ورث داود، وإنّ محمّداً صلى الله عليه وآله ورث سليمان، وإنّا ورثنا محمّداً، إلىٰ قوله عليه السلام: والاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، أعطى الأنبياء من ذلك حرفاً، وخصّ محمّداً صلى الله عليه وآله بجميع الاسم الأعظم الحديث[٤].

---

(١) الارشاد ٢: ١٨٩.

(٢) أُصول الكافي ١: ٤٧٠ ح ٣.

(٣) تتمّة نفس المصدر.

(٤) أُصول الكافي ١: ٢٢٥ و ٢٣٠.

وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام : كلّ نبيّ ورث علماً أو غيره ، فقد انتهى إلىٰ آل محمّد صلى الله عليه وآله (١) .

وفيه أيضاً في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام : إنّا ورثنا محمّداً صلى الله عليه وآله (٢) .

ومن ذلك قول أبي هاشم الجعفري :

وما قمّص الله النبيّين حجّة ... ومعجزة حتّى الوصيّين قمّصا

ولقد أحسن القائل :

لآل محمّد أصبحت عبداً ... وآل محمّد خير البريّة

أنا من حلّ فيهم كلّ خير ... مواريث النبوّة والوصيّة

ولا معنىٰ للميراث إلاّ أنّ الله جعل لهم ما جعل له صلى الله عليه وآله ، وله الفضل علىٰ من خلق فيهم كذلك .

الرابع عشر

انّ مثلهم في الخلق كالفردوس في الجنان

يدلّ علىٰ ذلك ما في الأمالي مرفوعاً إلىٰ حفص بن غياث النخعي ، قال : سمعت أبا عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول : جاء إبليس إلىٰ موسى بن عمران وهو يناجي ربّه ، فقال له ملك من الملائكة : ما ترجو منه وهو في هذه الحال يناجي ربّه ؟ قال : أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنّة ، وكان فيما ناجاه الله تعالىٰ به أن قال له : يا موسىٰ لا أقبل الصلاة إلاّ لمن تواضع لعظمتي ، وألزم قلبي خوفي ، وقطع نهاره بذكري ، ولم يبت مصرّاً على الخطيئة ، وعرف حقّ أوليائي وأحبّائي .

فقال موسىٰ : يا ربّ تعني بأوليائك وأحبّائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؟

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٢٣٢ ح ٥ .

(٢) أُصول الكافي ١ : ٢٢٥ ح ٤ .

قال عزّوجلّ : هم كذلك يا موسىٰ ، إلاّ أنّني أردت مَن مِن لأجله خلقت آدم وحوّاء ، ومَن مِن أجله خلقت الجنّة والنار ، فقال موسىٰ : ومن هو يا ربّ ؟ قال : محمّد أحمد شققت اسمه من اسمي فأنا المحمود .

فقال موسىٰ : يا ربّ اجعلني من أُمّته ، قال : أنت يا موسىٰ من أُمّته إذا عرفته وعرفت منزلته ومنزلة أهل بيته ، إنّ مثله ومثل أهل بيته في من خلقت كمثل الفردوس في الجنان ، لا يبس ورقها ، ولا يتغيّر طعمها ، فمن عرفهم وعرف حقّهم جعلت له عند الجهل حلماً ، وعند الظلمة نوراً ، أُجيبه قبل أن يدعوني ، وأُعطيه قبل أن يسألني[١] .

ومزيّة الفردوس علىٰ باقي الجنان محقّقة ، فكذا منزلتهم عليهم السلام .

الخامس عشر

انّهم أعلم

فيكونون أفضل . أمّا بيان الصغرىٰ ، فمن وجوه :

أحدها : ما رواه محمّد بن يعقوب في الكافي ، عن أبي عبد الله عليه السلام : وربّ الكعبة وربّ الكعبة وربّ الكعبة ثلاث مرّات ، لو كنت بين موسىٰ والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم بهما منهما ، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما[٢] .

وما رواه في الكافي أيضاً ، قال : إنّ لله تبارك وتعالىٰ علمين : علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله ، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه . وعلماً استأثر الله به ، فإذا بدا لله في شيء منه أعلمناه ذلك ، وعرض على الأئمّة الذين كانوا من قبلنا[٣] .

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٧٦٤ - ٧٦٥ .

(٢) أُصول الكافي ١ : ٢٦١ ح ١ .

(٣) أُصول الكافي ١ : ٢٥٥ ح ١ .

ولما في الكافي وغيره : أنّ اسم الله الأعظم علىٰ ثلاث وسبعين حرفاً ، أكثر ما أُعطي منه الأنبياء آدم ، ولم يعط إلاّ خمساً وعشرين حرفاً ، وأمّا هم أعطاهم الله جلّ ثناؤه اثنين وسبعين حرفاً ، ولم يحجب عنهم إلاّ حرفاً واحداً[١] .

الثاني : أنّهم لهم من العلم ما لعلي عليه السلام ، لما في الكافي ، عن أبي جعفر عليه السلام : وإنّه لم يهلك منّا إلاّ بقي من بعده من يعلم مثل علمه[٢] . وقد مرّ أنّ علياً عليه السلام أعلم .

الثالث : ما مرّ من أنّهم ورثوا جميع علم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا ريب أنّه صلى الله عليه وآله أعلم .

الرابع : ما في كتاب تفضيل آل محمّد علىٰ سائر النبيّين : وممّا يدلّ علىٰ أنّ تفضيل محمّد وآلِ محمّد بالعلم الذي أُوتوه ، وخصّهم الله سبحانه دون أنبيائه ورسله وسائر خلقه ، ما رواه محمّد بن يعقوب في الكافي ، عن عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن عبد الله بن الحجّال ، عن أحمد بن عمر الحلبي ، عن أبي بصير ، قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فقلت : جعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة ، وما هنا أحد يسمع كلامي ، قال : فرفع أبو عبد الله ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ، ثمّ قال : يا أبا محمّد سل عمّا بدا لك .

قال : قلت : جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم عليّاً باباً يفتح له منه ألف باب ، قال : فقال : يا أبا محمّد علّم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب ، قال : قلت : هذا والله العلم ، قال : فنكت ساعة في الأرض ، ثمّ قال : إنّه لعلم وما هو بذاك .

قال : ثمّ قال : يا أبا محمّد وإنّ عندنا الجامعة ، وما يدريهم ما الجامعة ؟ قال : قلت : وما الجامعة ؟ قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٢٣٠ .

(٢) أُصول الكافي ١ : ٢٢٢ ح ٢ .

وإملائه من فلق فيه وخطّ علي عليه السلام بيمينه ، فيها كلّ حلال وحرام ، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش ، وضرب بيده إليّ ، وقال : أتأذن لي يا أبا محمّد ؟ قال : قلت : جعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت ، قال : فغمزني بيده، وقال : حتّىٰ أرش هذا - كأنّه مغضب - قال : قلت : هذا والله العلم ، قال : إنّه لعلم وما هو بذاك .

ثمّ سكت طويلاً ، ثمّ قال : وإنّ عندنا الجفر ، وما يدريهم ما الجفر ؟ قال : قلت : وما الجفر ؟ قال : وعاء من أُدم فيه علم النبيّين والوصيّين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ، قال : قلت : إنّ هذا هو العلم ، قال : إنّه لعلم وليس بذاك .

ثمّ سكت ساعة ، ثمّ قال : وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام ، قال : قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات ، والله ما فيه من قرآنكم هذا حرف واحد ، قال : قلت : هذا والله العلم ، قال : إنّه لعلم وما هو بذاك .

ثمّ سكت ساعة ، ثمّ قال : إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلىٰ أن تقوم الساعة ، قال : قلت : جعلت فداك هذا والله العلم ، قال : إنّه لعلم وليس بذاك .

قال : قلت : جعلت فداك فأيّ شيء هو العلم ؟ قال : ما يحدث بالليل والنهار ، والأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء ، إلىٰ يوم القيامة[1] .

قلت : أراد بهذا العلم بخصوص ما يحدث ، وهو العلم التفصيليّ المنطبق بخصوص الجزئيّات الزمانيّة ، بخلاف الذي قبله ، فإنّه العلم بما وقع وما يقع ، وهذا هو العلم بوقوع الواقع ووقته المشار إليه بالليل والنهار ، وترتّبه المشار إليه بما بعد ذلك .

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٢٣٩ - ٢٤٠ ح ١ .

وبالجملة فقد اشتمل هذا الحديث على علمهم بجميع المعلومات مفصّلة بلوازمها وخصوصيّاتها.

وأمّا الكبرىٰ، فلقوله تعالىٰ ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[١] وجه الاستدلال بها: أنّه تعالىٰ نفى المساواة، فلم يبق إلاّ الأفضليّة والمفضوليّة، والأوّل باطل بالضرورة، فتعيّن الثاني، ولأنّ شرف من وجد فيه العلم علىٰ غيره ضروريّ، فيكونون أفضل، وهو المطلوب.

السادس عشر

انّهم سادات أهل الأرض

وفضل السيّد على المسود ظاهر لا غبار عليه.

يدلّ علىٰ ذلك ما في الأمالي مسنداً إلىٰ عمرو بن أبي سلمة، عن أُمّه أُمّ سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي بن أبي طالب والأئمّة من ولده بعدي سادة أهل الأرض[٢].

وفي الأمالي مسنداً إلىٰ أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن بنو عبد المطّلب سادة أهل الجنّة: رسول الله، وحمزة سيّد الشهداء، وجعفر ذوالجناحين، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والمهدي[٣].

وفي أسرار الامامة للطبرسي، عن أنس أيضاً، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: نحن بنو عبد المطّلب سادة أهل الجنّة: أنا، وعلي، وجعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبدالمطّلب عمّي، والحسن، والحسين، والمهدي، وأولادي[٤].

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٦٧٨ برقم: ٩٢٣.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٥٦٢ - ٥٦٣ برقم: ٧٥٧.

(٤) أسرار الامامة، لم أعثر عليه، ورواه في كشف الغمّة ٢: ٤٧٧.

قال الفاضل علي بن عيسىٰ : وفي رواية أُخرىٰ : إنّا بني عبد المطّلب سادات الناس ، ثمّ قال : وانّما خصّهم بالذكر دون باقي الأئمّة ؛ لأنّه هو صلى الله عليه وآله لا يحتاج في إثبات سيادته إلىٰ دليل ؛ لأنّه سيّد ولد آدم ، وأمّا الباقون عدا المهدي ، فإنّهم رزقوا الشهادة ، فلهم مزيّة علىٰ غيرهم . وأمّا المهدي ، فصاحب دولة جديدة ، وسعادة مستأنفة ، يعيد الله تعالىٰ به دينه غضّاً طريّاً ، ويعزّ بإقامة دعوته سلطانه ، ويشيّد بعزّ نصره برهانه ، ويرفع بإيالته مناره ، فلا عجب إذا ساد الناس وخصّ بالذكر ، ونبّه النبيّ صلى الله عليه وآله علىٰ فضله ، وكانوا أحقّ بها وأهلها[١] .

قلت : بني عبد المطّلب في صيغة الاعراب على الاختصاص ، كقوله تعالىٰ ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾[٢] وكقولهم « نحن العرب نكرم الضيف » وكقوله « نحن بني أُمّ البنين الأربعة » وخروج حمزة وجعفر للدليل ، فيبقى الباقي بعمومه ، ومن هذا يظهر لك أنّهم سادات الخلق ؛ لأنّ أفضليّة الأنبياء أمر لا ريب فيه .

السابع عشر
انّهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله

فيكونون أفضل ، وهو المطلوب .

بيان الأوّل : ما رواه في الكافي بإسناده إلىٰ محمّد بن مسلم ، قال : سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول : الأئمّة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أنّهم ليسوا بأنبياء ، ولا يحلّ لهم من النساء ما يحلّ للنبيّ صلى الله عليه وآله ، وأمّا ماخلا ذلك ، فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله[٣] .

---

(١) كشف الغمّة ١ : ٥٢ - ٥٣ .

(٢) النساء : ١٦٢ .

(٣) أُصول الكافي ١ : ٢٧٠ ح ٧ .

وبيان الثاني يتوقّف علىٰ مقدّمات :

الأُولىٰ : أنّهم لهم جميعاً منازل رسول الله ﷺ، والدليل عليه من وجوه :

الأوّل : الاستثناء ، وهو آية العموم .

الثاني : أنّ قوله عليه السلام « وأمّا ماخلا ذلك » نصّ في الباب ؛ لأنّ «ما» من أدوات العموم ، كما تقرّر في الأُصول .

الثالث : أنّ لفظ المنزلة وإن كان من أسماء الأجناس صالحاً للعموم والتبعيض ، لكن حمله على التبعيض علىٰ وجه التعيين وهو باطل ؛ لعدم ما يدلّ عليه أو على الاجمال ، وهو كذلك أيضاً لعدم الافادة ، فتعيّن أنّها للعموم .

الرابع : اشتراك كلّ منزلة في الوصف المقتضي للتناول والاندراج .

الثانية : أنّ من منازله ﷺ الأفضليّة ، وهو إجماعيّ .

الثالثة : ضروريّة ؛ لأنّ المشارك الأفضل فيما فيه الأفضليّة أفضل .

الثامن عشر

انّهم جرىٰ لهم ما جرىٰ لعليّ عليه السلام، وجرىٰ لعلي عليه السلام ما جرىٰ لرسول الله ﷺ، ولرسول الله ﷺ الفضل علىٰ جميع من خلق الله

بيان الأوّل : ما في كتاب الدلائل للحميري ، عن أبي هاشم ، وفي كتاب أعلام الورىٰ للطبرسي عنه أيضاً ، قال : سئل أبو محمّد عليه السلام - يعني : العسكري - ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين ؟ فقال عليه السلام : إنّ المرأة ليس عليها جهاد ولا عليها نفقة ، ولا يعقل ، إنّما ذلك على الرجل ، فقلت في نفسي : قد كان قيل لي : إنّ ابن أبي العوجاء سأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه المسألة ، فأجابه بهذا الجواب ، فأقبل أبو محمّد : فقال : نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء ، والجواب منّا واحد : جرىٰ لآخرنا ما جرىٰ لأوّلنا ، وأوّلنا وآخرنا في العلم سواء ،

ولرسول الله ولأمير المؤمنين فضلهما[١].

وقريب منه قول أبي عبد الله عليه السلام: وعلي أوّلنا وآخرنا[٢].

قلت: أراد فضلهما بالنسبة إلىٰ ما بينهم، فبعد أن بيّن أنّ لهم من الفضل ما لهما توهّم أنّ للفضل لهما عليهم، فرفعوه بذلك.

وأمّا بيان الثاني، فقد تقرّر أنّ لعلي عليه السلام ما للنبيّ صلى الله عليه وآله من المساواة، وجرىٰ له ما جرىٰ له صلوات الله عليهما، ولرسول الله الفضل علىٰ جميع من خلق الله من غير توقّف.

ويرشد إلىٰ ذلك قول المفيد قدّس الله روحه: وكلّ من فضّل أمير المؤمنين عليه السلام على الأنبياء المتقدّمين، فضّل الأئمّة عليهم السلام من أبنائه وأجراهم مجراه.

كيف؟ وفي الكافي عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله جلّ وعزّ ﴿ ولقد عهدنا إلىٰ آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾[٣] قال: عهدنا إليه في محمّد والأئمّة من بعده، فترك ولم يكن له عزم أنّهم هكذا، وإنّما سمّي أُولوا العزم أُولوا العزم؛ لأنّه عهد إليهم في محمّد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم علىٰ أنّ ذلك كذلك والاقرار به[٤].

التاسع عشر

انّهم في الفضائل سواء

ففي ارشاد المفيد مسنداً إلىٰ أبي إبراهيم عليه السلام، أنّه قال في السنة التي قبض عليه فيها: إنّي أُوخذ في هذه السنة، والأمر إلى ابني علي سميّ علي وعلي. فأمّا علي

---

(١) أعلام الورىٰ ص ٣٥٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٠: ٢١٢ ح ١٢.

(٣) طه: ١١٥.

(٤) أُصول الكافي ١: ٤١٦ ح ٢٢.

الأوّل فعلي بن أبي طالب ، وأمّا علي الآخر فعلي بن الحسين عليهما صلوات الله ، أُعطي فهم الأوّل وعلمه ونصره وورعه وورده ودينه ، ومحنة الآخر وصبره علىٰ ما يكره الحديث[١] .

وقد روىٰ محمّد بن يعقوب في كافيه ، بإسناده إلىٰ أبي الحسن صلوات الله عليه ، قال : نحن في العلم والشجاعة سواء ، وفي العطاء علىٰ قدر ما نؤمر[٢] .

قلت : أراد بالعطاء فعله لا الكيفيّة النفسانيّة التي هي مصدر ، فإنّهم فيهما سواء أيضاً والفضيلة ، وأمّا ذلك فأثرها ، والتفاوت إنّما كان فيه ؛ لأنّه كما ورد في الأثر أنّه نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله اثنا عشر خاتماً باسم كلّ واحد منهم عليهم السلام واحد بتعبّده وسيرته في الناس ، فلهذا بعضهم هادن كالحسن عليه السلام ، وبعضهم يظاهر بالجهاد كالحسين عليه السلام ، وبعضهم بالعبادة كزين العابدين عليه السلام ، وبعضهم بالفتوىٰ كالباقر والصادق عليهما السلام ، وإلاّ فهم في جميع الفضائل سواء ، حتّىٰ أنّ كلّ واحد منهم قائم بالسيف ، كما هو واضح عند من تتبّع كتب الحديث .

قال شيخنا القدوة الأقدم المفيد رحمه الله في ارشاده : وروت الشيعة أنّ الله جلّ اسمه أنزل إلىٰ نبيّه كتاباً مختوماً باثني عشر خاتماً ، وأمره أن يدفعه إلىٰ أميرالمومنين عليه السلام ، ويأمره أن يفضّ أوّل خاتم فيه ويعمل بما تحته ، ثمّ يدفعه عند وفاته إلى ابنه الحسن عليه السلام ، ويأمره أن يفضّ الخاتم الثاني ويعمل بما تحته .

ثمّ يدفعه عند حضور وفاته إلىٰ أخيه الحسين عليه السلام ، ويأمره أن يفضّ الخاتم الثالث ويعمل بما تحته ، ثمّ يدفعه الحسين عليه السلام عند وفاته إلى ابنه علي بن الحسين عليهما السلام ويأمره بمثل ذلك ، ثمّ يدفعه علي بن الحسين عليهما السلام عند وفاته إلى ابنه محمّد بن علي الأكبر عليه السلام ويأمره بمثل ذلك ، ثمّ يدفعه محمّد بن علي عليه السلام إلىٰ

---

(١) الارشاد ٢ : ٢٥٢ .

(٢) أُصول الكافي ١ : ٢٧٥ ح ٢ .

ولده حتّىٰ ينتهي إلىٰ آخر الأئمّة عليهم أجمعين السلام[١]. انتهت عبارته بألفاظه.

العشرون

انّ الأنبياء تشفّعت بهم إلى الله تعالىٰ

وهو أوضح من أن يوضح.

فمن ذلك: ما في جامع الأخبار، وفي الأمالي للصدوق، مرفوعاً إلى الصادق عليه السلام في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله حين سأله يهوديّ في تفضيل موسى عليه السلام عليه، قال: ولكنّي أقول: إنّ آدم لمّا أصاب الخطيئة كانت دعاء توبته «اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا غفرت لي» فغفر له.

وإنّ نوحاً لمّا ركب في السفينة وخاف الغرق، قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا نجّيتني من الغرق، فنجّاه الله تعالىٰ منها.

وإنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أُلقي في النار، قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد أن تنجيني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

وإنّ موسىٰ عليه السلام لمّا ألقىٰ عصاه وأوجس في نفسه خيفة، قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما أمنتني، فقال الله جلّ جلاله: لا تخف إنّك أنت الأعلىٰ.

يا يهوديّ إنّ موسىٰ عليه السلام لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي، ما نفعه ايمانه شيئاً، ولا نفعته النبوّة.

يا يهودي ومن ذرّيتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدّمه وصلّىٰ خلفه[٢].

قلت: وإن دلّ ظاهر القرآن علىٰ وقوع الخطيئة من آدم عليه السلام كما في الحديث، فقد دلّ القاطع العقلي علىٰ وجوب تنزيه الأنبياء عليهم السلام من الكبائر والصغائر من

---

(١) الارشاد ٢: ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٨٧ برقم: ٣٢٠، وجامع الأخبار ص ٤٤ برقم: ٤٨.

أوّل أعمارهم إلىٰ آخرها ، والأخبار عنه بقوله تعالىٰ ﴿ وعصىٰ آدم ربّه ﴾[١] غايته مخالفة الأولىٰ ، فإنّه يصحّ أن يقال لمخالفه عاصٍ ، وإن كان التوسّع في مثل ذلك لا يقتضي الاطّراد في أنّ كلّ تارك للأفضل يسمّىٰ عاصياً ، حتّىٰ يصحّ إطلاقه علىٰ كلّ منهم في جميع الأحوال .

وأيضاً فإطلاقه في غير مورده - كما في القرآن - إهانة لا يجوز .

والحاصل أنّه علىٰ خلاف الأصل ، فلا يتجاوز من محلّه .

وأمّا غوايته في قوله تعالىٰ ﴿ فغوىٰ ﴾ فالمراد الخيبة من الثواب المرتّب علىٰ ذلك الأولىٰ لو فعله .

وأمّا قوله عليه السلام « فغفرها له » فإنّه لمّا أمكن التعبير عن ذلك بالمعصية أمكن التعبير عن العفو عنها بالمغفرة . على أنّه يمكن أن لا يكون الفعل الصادر منهم مرجوحاً في نفسه ، بل بالنسبة إلىٰ تركه إذا اشتمل علىٰ مصلحة ونحوها ، أو بالنظر إلىٰ شيء آخر ، ومنه « حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين »[٢] بل إنّ مرجوحيّته إنّما هي بالاضافة إلىٰ شأنهم ، وإن لم يكن هو بأحد الاعتبارات سواه مرجوحاً ، ومنه قوله صلى الله عليه وآله « وانّه ليغان علىٰ قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم سبعين مرّة »[٣] والسبعين قيد للاستغفار لا للاعانة ، هذا وشأن ما بين المشفّع والمشفّع به .

إن قلت : كما يجب إيمان موسىٰ عليه السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله فكذا العكس ؛ لوجوب التصديق بنبوّة الأنبياء السابقين .

قلت : التصديق بنبوّتهم لا يقتضي التصديق بأنّهم أنبياء للمصدّق بها ، وأيضاً التصديق بنبوّتهم إنّما وجب لأنّه من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وآله ، ومع قطع النظر عن

---

(١) طه : ١٢١ .

(٢) بحار الأنوار ٢٥ : ٢٠٥ و ٣٤ : ٣٩٤ و ٧٣ : ٣١٦ .

(٣) بحار الأنوار ٢٥ : ٢٠٤ .

ذلك ، فليس بمعلوم أنّه كان يجب التصديق به لغير المرسل إليهم ، بل المعلوم خلافه ، بخلاف التصديق بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ، فإنّها لعمومها ودوامها يجب التصديق بها علىٰ كلّ من وجد في زمانها وبعده إلىٰ يوم القيامة .

إن قلت : فوجوب تصديق موسىٰ عليه السلام بنوّته صلى الله عليه وآله إنّما هو لعمومها ودوامها لا لشرفه صلى الله عليه وآله .

قلت : وجوب عمومها ودوامها بحيث يوجب تصديق موسىٰ عليه السلام وغيره بها ضرب من شرفه عليه السلام .

ومن ذلك ما رواه الصدوق في أماليه بالإسناد إلى ابن عبّاس ، قال : سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقّىٰ آدم من ربّه فتاب عليه ، قال : سأله بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ فتاب عليه[1] .

وما رواه الفقيه الشافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب ، بإسناده إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما ، قال : سأله بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ ، فتاب عليه[2] .

وهذا ممّا لا ريب فيه ، حتّىٰ انّه اعترف به إبليس .

فقد روى الثقة الجليل علي بن عيسىٰ عن عفراء الجنّيّة ، وقد سألها النبيّ صلى الله عليه وآله عن أعجب ما رأت ، قالت : رأيت إبليس في البحر الأخضر علىٰ صخرة بيضاء مادّاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : إلٰهي إذا بررت قسمك وأدخلتني نار جهنّم ، فأسألك بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ خلّصتني منها وحشرتني معهم ، فقلت : يا حارث ما هذه الأسماء التي تدعو بها ؟ قال : رأيتها علىٰ ساق العرش من قبل أن يخلق الله تعالىٰ آدم بسبعة آلاف سنة ، فعلمت أنّها

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ١٣٤ - ١٣٥ برقم : ١٢٩ .

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٦٣ برقم : ٨٩ .

أكرم الخلق على الله تعالىٰ ، فأنا أسأله بحقّهم ، فقال النبيّ ﷺ : لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم الله[١] .

أقول : فمن عاند بعد ذلك فهو شرّ من إبليس ، وما ذاك إلاّ شقاقاً لله ولرسوله والأئمّة عليهم السلام .

وفي الأمالي وغيرها ، عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا ، وإذا ذكر عندهم آل محمّد اشمأزّت قلوبهم ؟! والذي نفس محمّد بيده لو أنّ عبداً جاء يوم القيامة بعمل ستّين[٢] نبيّاً ما قبل الله تعالىٰ ذلك منه حتّىٰ يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي[٣] .

قال طاووس آل طاووس : ومن طرائف ما انتهىٰ إليه إعراضهم عن آل محمّد أنّهم يروون في صحاحهم وعن رجالهم أنّ النبيّ ﷺ علّمهم إذا صلّوا عليه يصلّون علىٰ آله معه ، وإذا اعتبرت كتبهم المجلّدات وما يجري علىٰ ألسنتهم في المحاورات رأيت أكثر ذلك قد أطرحوا فيه ذكر آل محمّد ، فكيف يستحسنون لأنفسهم أن يبخلوا عليهم بهذا المقدار ؟ وهل يحسن أن يبلغ التعصّب عليهم إلىٰ هذه الغاية ؟[٤] .

قلت : فليبتدروا كما يبشّر شيعة علي عليه السلام بما رواه الصدوق في أماليه ، بالإسناد إلىٰ أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ ذات يوم لعلي عليه السلام : ألا أُبشّرك ؟ فقال : بلىٰ بأبي أنت وأُمّي ، فإنّك لم تزل مبشّراً بكلّ خير ،

---

(١) كشف الغمّة ١ : ٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٢) في الأمالي : سبعين .

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي ص ١٤٠ برقم : ٢٢٩ .

(٤) الطرائف في معرفة المذاهب ص ١٦٠ .

فقال : أخبرني جبرئيل آنفاً بعجب ، فقال له علي عليه السلام : وما الذي أخبرك يا رسول الله ؟

فقال : أخبرني أنّ الرجل من أُمّتي إذا صلّىٰ عليّ وأتبع بالصلاة علىٰ أهل بيتي ، فتحت له أبواب السماء ، وصلّت عليه الملائكة سبعين صلاة ، وإن كان مذنباً خطأً ، ثمّ تتاحتّ عنه الذنوب ، كما يتحاتّ الورق من الشجر ، ويقول الله تبارك وتعالىٰ : لبّيك يا عبدي وسعديك ، ويقول الله لملائكته : يا ملائكتي أنتم تصلّون عليه سبعين صلاة ، وأنا أُصلّي عليه سبعمائة صلاة .

وإذا صلّىٰ عليّ ولم يتبع بالصلاة علىٰ أهل بيتي ، كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً ، ويقول الله جلّ جلاله : لا لبّيك ولا سعديك ، يا ملائكتي لا تصعدوا دعاءه إلاّ أن يلحق بالنبيّ[١] عترته ، فلا يزال محجوباً حتّىٰ يلحقوني بي أهل بيتي[٢] .

الحادي والعشرون
انّهم خير أهل الأرض

يدلّ علىٰ ذلك ما رواه الصدوق في أماليه في حديث طويل ، يذكر فيه الأوصياء من لدن آدم إلىٰ قيام الساعة منه ، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ثمّ دفعها إليّ بردة ، وأنا أدفعها إليك يا علي ، وأنت تدفعها إلىٰ وصيّك ، ويدفعها وصيّك إلىٰ أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد ، حتّىٰ تدفع إلىٰ خير أهل الأرض بعدك الحديث[٣] .

وفي حديث منه ما في كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي ، بإسناده إلى ابن

---

(١) في الأمالي : بنبيّي .

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٦٧٦ برقم : ٩١٦ .

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٤٨٨ برقم : ٦٦١ .

عبّاس ﷺ عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: المهدي طاووس أهل الجنّة[١].

قلت: وخبر مقاتل بن سليمان نصّ عليه في كتاب كمال الدين وإتمام النعمة للصدوق[٢]، فيطّرد في باقي الأئمّة؛ لما مرّ غير مرّة من أنّهم على حدّ في الفضائل، والأفضليّة على غيرهم من غير قول بالفرق.

الثاني والعشرون

انّ المهدي أفضل من عيسىٰ عليه السلام

كما ورد أنّه مقدّمه في الصلاة.

قال الرئيس المحقّق جدّي في نفحات اللاهوت: ولأنّ المهدي عليه السلام من ولده - يعني عليّاً عليه السلام - يصلّي عيسىٰ عليه السلام خلفه، كما رواه أبو داود وغيره من المحدّثين، ولا يلتفت إلىٰ إنكار معاند، فيكون أفضل من عيسىٰ عليه السلام، ولا ريب أنّ عليّاً أفضل من المهدي عليه السلام[٣].

وقال محمّد بن يوسف الكنجي في كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان: فإن سأل سائل وقال: مع صحّة هذه الأخبار، وهي أنّ عيسىٰ عليه السلام يصلّي خلف المهدي عليه السلام، ويجاهد بين يديه، وأنّه يقتل الدجّال بين يديه، ورتبة التقدّم في الصلاة معروفة، وكذلك رتبة التقدّم للجهاد، وهذه الأخبار ممّا ثبت طرقها وصحّتها عند السنّة، وكذلك ترويها الشيعة على السواء، فهذا هو الاجماع من كافّة أهل الاسلام؛ إذ من عدا الشيعة والسنّة من الفرق فقوله ساقط مردود وحشو مطّرح، فثبت أنّ هذا إجماع كافّة أهل الاسلام، ومع ثبوت الاجماع علىٰ ذلك وصحّته، فأيّهما أفضل الامام أو المأموم في الصلاة والجهاد معاً؟

---

(١) فردوس الأخبار ٤: ٤٩٧ برقم: ٦٩٤١.

(٢) كمال الدين ص ٢١١ - ٢١٣ ح ١.

(٣) نفحات اللاهوت ص ٦٤.

والجواب عن ذلك أن نقول : إنّهما قدوتان نبيّ وإمام ، فإن كان أحدهما قدوة لصاحبه في حال اجتماعهما ، وجب أن يكون الامام قدوة للنبيّ في تلك الحال ، لموضع ورود الشريعة المحمّديّة بذلك ، بدليل قوله عليه السلام « يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله » فإن استووا فأفقههم ، فإن استووا فأقدمهم هجرة ، فإن استووا فأصبحهم وجهاً ، والمهدي عليه السلام أفقه من عيسىٰ عليه السلام ، وأعلم منه بالكتاب العزيز والسنّة وغير ذلك ، مع أنّه ليس هما عليهما السلام ممّن يأخذه في الله لومة لائم ، وهما معصومان من ارتكاب القبائح والمداهنة والريا والنفاق ، ولا يدعو الداعي لأحدهما إلىٰ فعل ما يكون خارجاً عن حكم الشريعة ، ولا مخالفاً لمراد الله تعالىٰ ورسوله .

فإذا كان الأمر كذلك ، فالامام أفضل من المأموم ، ولو علم الامام أنّ عيسىٰ أفضل منه لما جاز أن يتقدّم عليه ، وكذلك إن علم عيسىٰ أنّه أفضل منه لما جاز أن يقتدي به لعصمتهما ، ولموضع تنزيه الله تعالىٰ لهما عن كلّ مكروه من رياء أو نفاق أو محاباة أو غير ذلك .

ولما تحقّق عيسىٰ عليه السلام أنّ الامام أفضل منه وأعلم قدّمه وصلّىٰ خلفه ، ولو لا ذلك لم يسعه الاقتداء بالامام ، فهذه درجة الفضل في الصلاة ، ثمّ الجهاد هو بذل النفس بين يدي من يرغب إلى الله تعالىٰ بذلك ، ولو لا ذلك لم يصحّ لأحد جهاد بين يدى النبيّ صلى الله عليه وآله ولا بين يدي غيره .

والدليل علىٰ صحّة ما ذهبنا إليه قوله تعالىٰ ﴿ إنّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه ﴾[1] ولأنّ الامام نائب في أُمّة نبيّه ، ولا يسوغ لعيسىٰ عليه السلام أن يتقدّم على

---

(١) التوبة : ١١١ .

الرسول ، وكذا على نائبه[١] .

قلت : والأمر دائر بين أفضليّة المهدي عليه السلام أو مفضوليّته أو المساواة ، والأخيران باطلان ، ضرورة قبح تقديم المفضول عقلاً وشرعاً ، وعدم جواز ترجيح أحد المتساويين .

إن قلت : ترجيح أحد المتساويين ليس بمحال ، وإنّما المحال الترجيح .

قلنا : الترجيح إن كان معه مرجّح فذاك ، وإلاّ كان كالترجيح من غير مرجّح .

إن قلت : إنّ الارادة مرجّحة ، وبما أراد أحدهم ترجيح الآخر وإن لم يكن هناك موجب له ؟

قلت : قد بيّنا الموجب في المهدي عليه السلام ، وأيضاً فإرادتهم لا يكون إلاّ بتقديم اللاحق ، وفي حديث إنّ اهباط عيسىٰ عليه السلام للصلاة .

ففي الأمالي في حديث طويل ، عن عبد الله بن سليمان : أنّه قرأ في الانجيل قوله تعالىٰ مخاطباً لعيسىٰ عليه السلام : أُهبطك في آخر الزمان لترىٰ أُمّة ذلك النبيّ العجائب ، ولتعينهم على اللعين الدجّال ، أُهبطك في وقت الصلاة لتصلّي معهم[٢] .

إذا تقرّر ذلك ، فيلزم أن يكون جميع الأئمّة عليهم السلام أفضل من جميع أُولي العزم ؛ لعدم القائل بالفرق في الموضعين ، ومن باقي الأنبياء بطريق أولىٰ ، وأكابر الفرقة المحقّة صرّحوا بذلك .

الثالث والعشرون

انّهم والنبيّ من نور واحد

ففي جامع الأخبار بالاسناد إلىٰ جابر بن عبد الله عنه صلى الله عليه وآله يقول : إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من نور

---

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٣٤٧ برقم : ٤١٨ .

الحديث[١].

وفيه أيضاً عن محمّد بن إبراهيم الطالقاني، عن عبد العزيز بن يحيى الجلودي بالبصرة، قال: حدّثنا أبو عوانة، قال: حدّثنا محمّد بن زكريّا، قال: حدّثنا عبدالواحد بن غياث، عن عثمان بن المغيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ماجد، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد[٢].

وفي الكافي، عن مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال الله تبارك وتعالىٰ: يا محمّد إنّي خلقتك وعليّاً نوراً - يعني: روحاً بلا بدن - قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما، فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسّمتها ثنتين، وقسّمت الثنتين بثنتين فصارت أربعة: محمّد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين ثنتان الحديث[٣].

وروىٰ أخطب خوارزم موفّق بن أحمد المكّي في كتابه بالإسناد إلى أبي سليمان راعي رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليلة أُسري بي إلى السماء، قال لي الجليل جلّ جلاله: آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه، فقلت: والمؤمنون، فقال: صدقت يا محمّد من خلّفت في أُمّتك؟ فقلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا ربّ.

قال: يا محمّد إنّي اطّلعت إلى أهل الأرض اطّلاعة، فاخترتك منها، فشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أذكر في موضع إلاّ ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت

---

(١) جامع الأخبار ص ٤٦ برقم: ٤٩.
(٢) جامع الأخبار ص ٤٦ برقم: ٥٠.
(٣) أُصول الكافي ١: ٤٤٠ ح ٣.

محمّد ، ثمّ اطّلعت الثانية فاخترت منها عليّاً ، وشققت له اسماً من أسمائي ، فأنا الأعلىٰ وهو علي .

يا محمّد إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولده من سنخ نور من نوري ، وعرضت ولايتكم علىٰ أهل السماوات وأهل الأرض ، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ، ومن جحدها كان عندي من الكافرين .

يا محمّد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتّىٰ ينقطع ، أو يصير كالشنّ البالي ، ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّىٰ يقرّ بولايتكم ، يا محمّد أتحبّ أن تراهم؟ قلت : نعم يا ربّ ، قال : التفت عن يمين العرش .

فالتفتّ فإذا أنا بعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمّد بن علي الباقر ، وجعفر بن محمّد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمّد بن علي ، وعلي بن محمّد ، والحسن بن علي ، والمهدي في ضحضاح من نور قياماً يصلّون وهو في وسطهم - يعني : المهدي عليه السلام - كأنّه كوكب درّيّ ، فقال: يا محمّد هؤلاء الحجج ، وهو الثائر من عترتك ، وعزّتي وجلالي أنّه الحجّة الواجبة لأوليائي ، والمنتقم من أعدائي[1] .

وقد مرّ في الثامن عشر من المسلك الثاني ممّا يتّضح ذلك ما فيه بلاغ للناس وشفاء لما في الصدور .

الرابع والعشرون

ما رواه الحافظ محمّد بن مؤمن الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من التفاسير الاثني عشر ، وهو من علماء الأربعة المذاهب وثقاتهم في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾[2] بإسناده إلىٰ أنس

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٩٥ ، والطرائف ص ١٧٣ عنه .

(٢) القصص : ٦٧ .

بن مالك ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنىٰ قوله ﴿ وربّك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ فقال : إنّ الله تعالىٰ خلق آدم من طين كيف شاء .

ثمّ قال : ﴿ ويختار ﴾ إنّ الله تعالىٰ اختارني وأهل بيتي علىٰ جميع الخلق ، فانتجبنا ، فجعلني الرسول وجعل علي بن أبي طالب الوصيّ .

ثمّ قال : ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا ، ولكنّي أختار من أشاء ، فأنا وأهل بيتي صفوة الله وخيرته من خلقه .

ثم قال : ﴿ سبحان الله عمّا يشركون ﴾ يعني الله منزّه عمّا يشركون به كفّار مكّة.

ثمّ قال : ﴿ وربّك ﴾ يعني يا محمّد ﴿ يعلم ما تكنّ صدورهم ﴾ من بغض المنافقين لك ولأهل بيتك ﴿ وما يعلنون ﴾ من الحبّ لك ولأهل بيتك[1] .

وجعله صلى الله عليه وآله نبيّاً ووصيّه وصيّاً لا ينافي الاختيار المطلق ، ولا يقتضي اختصاص المختار عليهم ، بل ولا يتصوّر فيه ذلك ؛ لقوله صلى الله عليه وآله « اختارني وأهل بيتي علىٰ جميع الخلق » وقوله أيضاً « فأنا وأهل بيتي صفوة الله وخيرته من خلقه» وقد مرّ من تحقيق ذلك شيء في طريقه ، فتذكّر .

الخامس والعشرون

ما رواه أخطب خوارزم في كتابه إلى الأعمش ، قال : حدّثني إسحاق ، عن الحارث وسعيد بن بشير ، عن علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا واردكم على الحوض ، وأنت يا علي الساقي ، والحسن الرائد ، والحسين الآمر ، وعلي بن الحسين الفارط ، ومحمّد بن علي الناشر ، وجعفر بن محمّد السائق ، وموسى بن جعفر محصي المحبّين والمبغضين وقامع المنافقين ، وعلي بن موسىٰ مزيّن المؤمنين ، ومحمّد بن علي منزل أهل الجنّة في درجاتهم ، وعلي بن محمّد

---

(١) الطرائف ص ٩٧ ح ١٣٦ عن تفسير الشيرازي .

خطيب الشيعة ومزوّجهم الحور العين ، والحسن بن علي سراج أهل الجنّة يستضيؤون به ، والمهدي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلاّ لمن يشاء ويرضىٰ[١] .

السادس والعشرون

وجوب طاعتهم علىٰ جميع الخلق

فمن ذلك ما في الكافي ، عن أبي حمزة ، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : أوحى الله تعالىٰ إلىٰ محمّد صلى الله عليه وآله : يا محمّد إنّي خلقتك ولم تكن شيئاً ، ونفخت فيه من روحي كرامة منّي أكرمتك بها حين أوجبت لك الطاعة علىٰ خلقي جميعاً ، فمن أطاعك فقد أطاعني ، ومن عصاك فقد عصاني ، وأوجبت ذلك في علي وفي نسله ، ممّن اختصصته منهم لنفسي[٢] .

وفي الكافي عن جابر بن يزيد ، قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : يا جابر إنّ الله أوّل ما خلق خلق محمّداً صلى الله عليه وآله وعترته الهداة المهتدين ، فكانوا أشباح نور بين يدي الله ، قلت : وما الأشباح ؟ قال : ظلّ النور أبدان نورانيّة بلا أرواح ، وكان مؤيّداً بروح واحدة وهي روح القدس ، فيه كان يعبد الله ، وعترته ، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء ، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ، ويصلّون الصلوات ، ويحجّون ويصومون[٣] .

وقال الشيخ الجليل الصدوق في اعتقاداته : ويجب أن نعتقد أنّ الله لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد وآله والأئمّة ، وأنّهم أحبّ الخلق إليه وأكرمهم ، وقال : إنّ إسجاد الله الملائكة لآدم إكراماً لما أودع صلبه من النبيّ والأئمّة .

---

(١) مقتل الحسين ص ٩٤ للخوارزمي ، والطرائف ص ١٧٤ ح ٢٧١ .

(٢) أُصول الكافي ١ : ٤٤٠ - ٤٤١ ح ٤ .

(٣) أُصول الكافي ١ : ٤٤٢ ح ١٠ .

حتّىٰ قال : ونعتقد أنّ الله خلق جميع خلقه لنبيّه ولأهل بيته عليهم السلام ، وأنّه لولاهم ما خلق السماوات ، ولا الجنّة ولا النار ، ولا آدم ولا حوّاء ، ولا الملائكة ، ولا شيئاً ممّا خلق الله صلوات الله عليهم[١] .

وقال في هدايته : ويجب أن نعتقد أنّ الله تبارك وتعالىٰ لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمّة صلوات الله عليهم ، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله عزّوجلّ ، وأكرمهم عليه ، وأوّلهم إقراراً به لمّا أخذ الله ميثاق النبيّين .

إلىٰ أن قال : ونعتقد أنّ الله تبارك وتعالىٰ خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته صلوات الله عليهم ، وأنّه لولاهم ما خلق الله السماء والأرض ، ولا الجنّة ولا النار ، ولا آدم ولا حوّاء ، ولا الملائكة ، ولا شيئاً ممّا خلق الله صلوات الله عليهم أجمعين[٢] .

وقال الشيخ المفيد : وكلّ من فضّل أمير المؤمنين على الأنبياء المتقدّمين ، فضّل الأئمّة من أبنائه وأجراهم مجراه ، فإجماع الاماميّة حجّة ؛ لأنّ الامام داخل في جملتها وغير خارج عن امرتها ، وهو قدّس الله روحه أعلم بما قال .

وقال الفاضل الحاجب بن الليث بن سراج ، وكذا سيّدنا المرتضىٰ قدّس الله روحيهما في مراسلاتهما إلىٰ شيخنا المفيد : قد أجمعنا أنّ محمّداً وآله صلوات الله عليهم أفضل من إبراهيم وآله ، وجعل ذلك مقدّمة للاعتراض على الأثر الوارد في قولهم « أنّ تصلّي علىٰ محمّد وآل محمّد ، كما صلّيت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم » بأنّه حطيطة لهم عن منزلتهم .

فأجاب الشيخ المفيد رحمه الله أنّ المراد تشبيه إيصالهم ما يستحقّون من الصلاة ، كإيصال إبراهيم وآله ما يستحقّونه ، لا تشبيه كمّيّة الصلاة عليهم - عليهم الصلاة -

---

(١) الاعتقادات للشيخ الصدوق ص ٩٣ .

(٢) الهداية للشيخ الصدوق ص ٢٣ - ٢٥ .

بالصلاة عليهم - عليهم الصلاة - ولا كيفيّتها .

وقال الفاضل المقداد في شرح الفصول النصيريّة : بل عند جماعة من أصحابنا أنّ أئمّتنا أفضل من جميع الأنبياء عدا محمّد صلى الله عليه وآله ، وعند بعضهم إلاّ أُولي العزم منهم ، وتوقّف شيخنا المفيد في ذلك .

ثمّ قال : وأمّا باقي الأئمّة ، فهم أفضل ممّن عدا أُولي العزم ، وأمّا أُولي العزم فعندي في ذلك توقّف[1] .

أقول : قد عرفت أنّ تفضيل الأئمّة أمر مقرّر شهد مقدّمة الاعتراض لعلم الهدى وابن الليث على الأثر الوارد في الصلاة عليهم ، كالصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم، حتّى أجابه الشيخ المفيد رحمه الله ملتزماً به ، وأجاب بأنّ المراد تشبيه إيصال الاستحقاق بايصال الاستحقاق ، وأنّ الشيخ المفيد رحمه الله علّق القول بتفضيلهم على القول بتفضيل أمير المؤمنين عليه السلام محتجّاً بالاجماع ، كاحتجاج ابن الليث به ، وكان على المقداد التوقّف عن نقل التوقّف ، والاعراض عن التوقّف من غير توقّف.

إن قلت : قال سلطان العلماء المحقّقين ، ورئيس الأعلام المدقّقين ، نصير الملّة والدين ، طيّب الله رمسه في فصوله ما صورته : ولمّا كان الامام من رعيّة النبيّ ، وجب أن يكون نسبة النبيّ في الفضل إلى الامام كنسبة الامام إلى الرعيّة[2] .

قلت : إنّما حاول به الردّ على الغلاة القائلين بأنّ الامام قد يكون أفضل من نبيّه أو مساويه ، على اختلاف الرأين عندهم .

ولهذا قال الشارح الفاضل المقداد : هذا متوجّه في إمام ينسب إلى نبيّ شريعته، وأمّا بالنسبة إلى غيره فلا ، فإنّ أئمّتنا عليهم السلام لا يقول نسبتهم إلى أيّ نبيّ كان نسبة

---

(١) شرح الفصول النصيريّة ، لم أعثر عليه .

(٢) فصول العقائد ص ٣٩ .

رعيّة إليه ، حتّىٰ يكون علي بن أبي طالب عليه السلام نسبته إلىٰ آحاد أنبياء بني إسرائيل كذلك ، حاشا وكلاّ .

وقال بعض الفضلاء في شرحها أيضاً : وجه النسبتين مجرّد الأفضليّة ، فلا يرد بعد الرعيّة عن الأئمّة ، وكونهم في غاية المفضوليّة ، وقرب الأئمّة من الأنبياء ، ومساواتهم لهم في العصمة وسائر الكمالات النفسانيّة سوى النبوّة ، حتّىٰ أنّه جعل أمير المؤمنين عليه السلام نفس أشرف الأنبياء وسيّد المرسلين صلى الله عليه وآله في آية المباهلة ، وهي قوله تعالىٰ ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾[1] .

وذلك أنّه لمّا نزلت هذه الآية ، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وفد نجران إلى المباهلة ، وهي الدعاء على الظالم من الفريقين ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام ، وهو يقول : إذا أنا دعوت فأمّنوا لذلك ، فقوله «وأنفسنا » يعني عليّاً عليه السلام ، ولا شكّ أنّه لم يكن نفس النبيّ حقيقة ، بل المراد أنّه بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله في الفضل وأقرب الناس إليه حتّىٰ كأنّه نفسه ، ويلزم من هذا أن يكون أمير المؤمنين أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله انتهى لفظه .

إن قلت : سلّمنا ذلك كلّه ، لكن ربما كان لأُولي العزم عناية من الله ، أو فضل في نفس الأمر لم يطّلع عليه ، فيفضلون على الأئمّة أو عليهم وعلى علي عليه السلام ، أو يتساوون .

قلت : هذا احتمال منقوض بالنبيّ صلى الله عليه وآله ؛ فإنّه بعينه متصوّر فيه ، علىٰ أنّه معارض من الاحتمال بمثله ، فإنّه كما يجوز ذلك يجوز أن يكون لعلي ولاولاده - عليهم سلام السلام - ما يقابله ، وعند التعارض يتساقطان ، فيبقىٰ ما كان بحاله ،

---

(١) آل عمران : ٦١ .

ومع قيام الدليل والحكم بالرجحان لا وجه لهذا الاحتمال .

وعلىٰ كلّ حال فهو مرجوح لا يجوز ترك العمل بالراجح لتجوّزه ، وإلاّ لأفضىٰ إلىٰ جواز عدم العمل بالأحكام بعد قيام ما يجب معه العمل بها قطعاً من الأدلّة الراجحة ، وقلّ من الدلائل الشرعيّة ما لا يجوز معها تطرّق مثل ذلك الاحتمال ، بل وكثير من الأدلّة القطعيّة ما يجوّز العقل خلاف مقتضاها ؛ إذ قطع النظر عن دليلهما وإن امتنع مع ملاحظته وكان ممتنعاً لغيره ، وعلىٰ أيّ حال كان ، فلا يجوز ترك العمل بالراجح لاحتمال المرجوح .

وقريب منه تجويز اليهود والنصارىٰ كون من هو بالصفات المحمّديّة غير محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله .

وبالجملة فالراجح في الواقع يمتنع وقوع نقيضه واحتماله أيضاً ، وإلاّ لزم ترجيح المرجوح ، أو مساواته الراجح .

إن قلت : سلّمنا ذلك كلّه ، لكن ما تصنع بقوله تعالىٰ ﴿ إنّ الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾[1] وهو نصّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد .

قلت : لا ريب في اختصاصه ؛ لعدم القائل بأفضليّتهم علىٰ محمّد صلى الله عليه وآله ، بل الاتّفاق واقع على العكس ، والاجماع من الفرقة المحقّة واقع علىٰ أنّ آل إبراهيم الذين هم إسماعيل وإسحاق وأولادهم وآل عمران ليسوا بأفضل من آل محمّد ، بل الأمر بالعكس ، علىٰ أنّ في قراءة أهل البيت عليهم السلام « وآل محمّد على العالمين».

وقال ثقة الاسلام أبو الفضل الطبرسي : وقيل : إنّ آل إبراهيم هم آل محمّد

---

(١) آل عمران : ٣٣.

الذين هم أهل بيته[١].

وقال العلاّمة في كتاب الألفين في هذه الآية: ولأنّ عليّاً والأئمّة الأحد عشر من آل إبراهيم، فيكون الله تعالىٰ قد اصطفاهم[٢].

وقال في موضع آخر منه: وعليّاً عليه السلام من آل إبراهيم[٣].

وأيضاً تفضيلهم إنّما وقع قبل وجود نبيّنا وأهل بيته، وإنّما يعدّ من العالمين من وجد، فيصرف إلىٰ عالمهم، مع عدم الدليل على استيعاب غيرهم، ومثله قوله تعالىٰ ﴿ وكلاًّ فضّلنا على العالمين ﴾ بعد قولهِ عزّ من قائل ﴿ ومن ذرّيّته داود وسليمان - إلىٰ قوله - ويونس ولوطاً ﴾[٤] فإنّه مخصّص، مع أنّ فيه ما يمنع من العموم، وإلاّ لزم التناقض، فإنّ كلاًّ منهم مفضّل لدخوله تحت « وكلاًّ فضّلنا » ومفضّل عليه لدخوله تحت « العالمين » والجمعيّة متّحدة.

وقريب منه تخصيص النبيّ صلى الله عليه وآله اصطفاء مريم علىٰ عالمها.

إن قلت: ذلك قطعيّ؛ لأنّه بنصّ الكتاب.

قلت: السنّة مخصّصة للكتاب، وصاحبها لا ينطق عن الهوىٰ بنصّ القرآن، ولله درّ القائل حيث قال:

خير البرايا كلّها آدم ... وخير حيّ بعده هاشم

وصفوة الرحمٰن من خلقه ... محمّد وابنته فاطم

وبعلها الهادي وسبطاهما ... وقائم يتبعه قائم

منه إلى الحشر فمن قال لا ... فقل له لا أفلح النادم

---

(١) مجمع البيان ١: ٤٣٣.

(٢) الألفين ص ١٤٥.

(٣) الألفين ص ١٠٠.

(٤) الأنعام: ٨٦.

فطوبىٰ للمتمسّك بمودّتهم .

وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عنه عليه السلام ، عن آبائه ، عن علي عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحبّ أن يركب سفينة النجاة ، ويستمسك بالعروة الوثقىٰ ، ويعتصم بحبل الله المتين ، فليوال عليّاً بعدي ، وليعاد عدوّه وعدوّي ، وليأتمّ بالأئمّة الهداة من ولده ، فإنّهم خلفائي وأوصيائي ، وحجج الله على الخلق بعدي ، وسادات[1] أُمّتي ، وقادة الأنبياء إلى الجنّة ، حزبهم حزبي ، وحزبي حزب الله ، وحزب أعدائهم حزب الشيطان[2] .

قلت : قال الله تعالىٰ : ﴿ فإنّ حزب الله هم الغالبون ﴾[3] ﴿ ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾[4] .

وروىٰ رئيس الطائفة القدوة أبو جعفر الطوسي في كتاب النصوص[5] ، مرفوعاً إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حدّثني جبرئيل عن ربّ العزّ جلّ جلاله أنّه قال : من شهد أن لا إله إلاّ الله وحدي ، وأنّ محمّداً عبدي ورسولي ، وأنّ الخليفة من بعده بلا فصل علي بن أبي طالب ، وأنّ الأئمّة من ولده حججي ، أدخلته الجنّة برحمتي ، ونجّيته من النار بعفوي ، وأبحت له جواري ، وأوجبت له كرامتي ، وأتممت عليه نعمتي ، وجعلته خاصّتي وخالصتي ، إن سألني أعطيته ، وإن أساء رحمته ، وإن سكت أعطيته ، وإن قرع بابي فتحته ،

---

(١) في العيون : وسادة .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٩٢ ح ٤٣ .

(٣) المائدة : ٥٦ .

(٤) المجادلة : ١٩ .

(٥) وهو كتاب كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر ، للشيخ أبي القاسم علي بن محمّد بن علي الخزّاز القمّي الرازي ، من أعلام القرن الرابع .

وإن دعاني سمعت دعاءه .

وإن لم يشهد أن لا إله إلاّ أنا ، أو شهد بذلك ولم يشهد بأنّ محمّداً عبدي ورسولي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ علي بن أبي طالب خليفتي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ الأئمّة من ولده حججي ، فقد جحد نعمتي ، وصغّر عظمتي ، وكفر بآياتي ورسلي ، إن قصدني حجبته ، وإن سألني حرمته ، وإن دعاني لم أسمع نداءه ، وإن دعاني لم أستجب دعاءه ، وإن قرع بابي غلقته وحبسته ، وذلك جزاؤه منّي ، وما أنا بظلاّم للعبيد .

وعزّتي وعظمتي وكبريائي لو أنّ عبداً عبدني ألف عام ، ثمّ لقيني بغير ولاية علي بن أبي طالب وأهل بيته المعصومين ، كان حقّاً عليّ أن أدخله النار صاغراً[١] .

قلت : وقريب منه ما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عنه عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن جبرئيل ، عن الله : لا إله الاّ الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي . وقوله عليه السلام بعد ذلك : أمّا بشروطها وأنا من شروطها[٢] .

وفي رواية أنّه قال : من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنّة ، ثمّ سكت قليلاً وقال : بشروطها وأنا والله من شروطها[٣] .

ويشهد لذلك ما في أسرار الامامة لثقة الاسلام الطبرسي : من أنكر واحداً من الأئمّة المحقّة كان كافراً ، وإن أقرّ بالله ورسوله . كما جاء في الأثر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : المنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا[٤] .

---

(١) كفاية الأثر ص ١٤٤ ، والبحار ٢٧ : ١١٩ و ٣٦ : ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٣٥ ح ٤ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) أسرار الامامة ، لم أعثر عليه .

ويؤيّد ذلك ما في جامع الأخبار، بالإسناد إلىٰ علي بن بلال، عن الامام علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم، قال: يقول الله تبارك وتعالىٰ: ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي[١]. فتدبّر جيّداً.

وبالاسناد إلىٰ علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عزّوجلّ: ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من ناري[٢].

أقول: ومن كتاب الدلائل للحميري، عن مالك الجهني، قال: كنت قاعداً عند أبي جعفر عليه السلام، فنظرت إليه وجعلت أُفكّر في نفسي وأقول: لقد عظّمك وكرّمك وجعلك حجّة علىٰ خلقه، فالتفت إليّ وقال: يا مالك الأمر أعظم ممّا تذهب إليه[٣].

أقول: ومن عجب فلا عجب، فممّا استفاض قوله عليه السلام: علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل[٤].

وروىٰ رئيس الأدب الحسن بن علي بن داود في رسالته عن الرضا عليه السلام، قال: أبو حمزة الثمالي وهو بضمّ الثاء المثلّثة كلقمان في زمانه[٥].

---

(١) جامع الأخبار ص ٥٢ برقم: ٥٨.

(٢) نفس المصدر.

(٣) كشف الغمّة ٢: ١٤٠ عن كتاب الدلائل.

(٤) عوالي اللئالي ٤: ٧٧ برقم: ٦٧.

(٥) لم أعثر علىٰ هذه الرسالة.

وفي لوامع الأسرار : وكان معروف الكرخي[١] بوّاباً لموسى بن جعفر عليه السلام، فشكىٰ إليه بعض من ركب البحر ، فقال : إذا خبّ البحر عليكم فحلّفوه برأس معروف فإنّه يسكن ، فلمّا رجعوا وركبوا البحر وخبّ عليهم ، فحلّفوه برأس معروف فسكن ، فعلم بذلك الامام وقال له : من أين لك هذا ؟ فقال : مولاي رأس توسّد عتبتك الشريفة عشرين سنة ، أفما له من القدر أن يسكن البحر إذا حلّف به ؟ فقال : بلىٰ ولكن لا تعد[٢] .

أقول : وإنّما نهىٰ عليه السلام معروفاً عن العود إلىٰ ذلك ؛ لئلاّ يؤدّي ذلك إلىٰ شيء من الاختلال عن صوب الصواب ، ولئلاّ تعود الشبهة إلىٰ طريق الاضطراب .

وروى الصدوق في أماليه مسنداً إلىٰ أبي الجارود ، عن الهيثم ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله تبارك وتعالىٰ يبعث أُناساً وجوههم من نور ، علىٰ كراسيّ من نور ، عليهم ثياب من نور ، في ظلّ العرش ، بمنزلة الأنبياء وليسوا بأنبياء ، وبمنزلة الشهداء وليسوا بالشهداء ، فقال رجل : أنا منهم ؟ قال : لا ، قال آخر : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : فوضع يده علىٰ رأس علي عليه السلام ، وقال : هذا وشيعته[٣] .

وروىٰ مثله في جامع الأخبار ، إلاّ أنّ في أوّله : إنّ الله تبارك وتعالىٰ يبعث يوم القيامة عباداً تتهلّل وجوههم نوراً عن يمين العرش وعن شماله بمنزلة

---

(١) أقول : لعلّ الصحيح معروف بن خرّبوذ ، لا معروف الكرخي ؛ فإنّه لا أثر له في رجال الشيعة ، بل كان من الصوفيّة .

(٢) لوامع الأسرار ، لم أعثر عليه ، وهذا الحديث من مجعولات الصوفيّة ، كما لا يخفىٰ على المتدبّر في أخبار أهل البيت عليهم السلام .

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٣١٥ - ٣١٦ برقم : ٣٦٨ .

الحديث[١].

وفيه أيضاً بإسناد الصدوق إلىٰ جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من نور، فعصر ذلك النور عصرة، فخرج منها شيعتنا، فسبّحنا فسبّحوا، وقدّسنا فقدّسوا، وهلّلنا فهلّلوا، ومجّدنا فمجّدوا، ووحّدنا فوحّدوا.

ثمّ خلق السماوات والأرض وخلق الملائكة، فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً ولا تمجيداً ولا تحميداً، فسبّحنا وسبّحت شيعتنا، فسبّحت الملائكة لتسبيحنا، وقدّسنا وقدّست شيعتنا، فقدّست الملائكة لتقديسنا، ومجّدنا ومجّدت شيعتنا، فمجّدت الملائكة لتمجيدنا، ووحّدنا ووحّدت شيعتنا، فوحّدت الملائكة لتوحيده، فكانت الملائكة لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً ولا تهليلاً من قبل تسبيحنا وتسبيح شيعتنا.

نحن الموحّدون حيث لا موحّد غيرنا، وحقيق على الله كما اختصّنا واختصّ شيعتنا أن ينزلنا وشيعتنا في أعلىٰ علّيين، إنّ الله اصطفانا واصطفىٰ شيعتنا من قبل أن نكون أجساماً، فدعانا فأجبنا، فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله تعالىٰ[٢].

وفي كتاب التمحيص، عن فرات بن أحنف، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من هؤلاء الملاعين، فقال: والله لأسوأنّه من شيعته، يا أباعبدالله أقبل إليّ، فلم يقبل إليه، فأعاد عليه فلم يقبل إليه، فأعاد الثالثة، فقال: ها أنا ذا مقبل، فقل ولن تقول خيراً، فقال: إنّ شيعتك يشربون النبيذ، فقال: وما بأس بالنبيذ، أخبرني أبي عن جابر بن عبد الله أنّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا

---

(١) جامع الأخبار ص ٩٩ برقم: ١٦٠.

(٢) بحار الأنوار ٢٧: ١٣١ ح ١٢٢ و ٣٧: ٨٠ ح ٤٩.

يشربون النبيذ ، فقال : ليس أعنيك النبيذ ، إنّما أعنيك المسكر .

فقال : إنّ شيعتنا أزكىٰ وأطهر من أن يجري للشيطان في أمعائهم رسيس ، وإن فعل ذلك المخذول منهم ، فنجد ربّاً رؤوفاً ، ونبيّاً بالاستغفار عطوفاً ، ووليّاً عند الحوض ولوفاً ، وتكون وأصحابك ببرهوت ملهوفاً ، قال : فأُفحم الرجل وسكت .

ثمّ قال : ليس أعنيك المسكر ، إنّما أعنيك الخمر ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : سلبك الله لسانك ، مالك تؤذينا في شيعتنا منذ اليوم ؟

ثمّ قال عليه السلام : أخبرني أبي ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن جبرئيل ، عن الله تعالىٰ ، أنّه قال : يامحمّد إنّي حظرت الفردوس علىٰ جميع النبيّين حتّىٰ تدخلها أنت وعلي وشيعتكما ، إلاّ من اقترف منهم كبيرة ، فإنّي أبلوه في ماله ، أو بخوف من سلطانه ، حتّىٰ تلقاه الملائكة بالروح والريحان ، وأنا عليه غير غضبان ، فيكون بذلك جزاءً لما كان منه ، فهل عند أصحابك هؤلاء شيء من هذا ؟ فلُم أو دع[1] .

أقول : قد احتوى الحديث علىٰ لطائف :

الأُولىٰ : أنّ الوقيعة في الشيعة تسؤهم عليهم السلام ، كما يظهر من قوله لعنه الله « والله لأسوأنه » ولهذا قال عليه السلام « لن تقول خيراً » ويؤيّد ذلك قوله عليه السلام « سلبك الله لسانك » .

الثانية : إخباره عليه السلام الغيب في عدم قوله خيراً ، وقد شنّع - لعنه الله - علىٰ شيعته عليه السلام متعرّضاً .

الثالثة : أنّه لا ينبغي تمكين أحد من التفكّه في عرض المؤمن ، ولهذا أعرض عنه عليه السلام ، ولم يقبل إليه إلاّ بعد المبالغة علىٰ وجه الردّ .

---

(١) التمحيص للشيخ أبي علي الاسكافي ص ٣٩ - ٤٠ برقم : ٤٠ .

الرابعة : أنّ الاقبال للردّ ليس بمضرّ ولهذا فعله عليه السلام ، ولأنّه محسن وما على المحسنين من سبيل .

الخامسة : أنّ ما وجد للمؤمن محمل على الصحّة - وإن بعد - لا يعدل عنه إلىٰ غيره وإن قرب ، ولهذا حمّل عليه السلام النبيذ علىٰ غير النبيذ المشهور ، وهو ما يؤخذ من النبيذ الحلال .

السادسة : أنّ شأن شيعتهم التنزّه عن جميع المحرّمات ، وإليه أشار بقوله عليه السلام «إنّ شيعتنا أزكىٰ وأطهر » الخ .

السابعة : أنّ من فعل منهم محرّماً مخذول ، وكيف لا ؟ فإنّه وإن سلم من عقاب العاصين أمّا فاته ثواب المطيعين .

الثامنة : أنّ دخولهم الجنّة بعد أئمّتهم قبل كلّ أحد ؛ لأنّهم متىٰ تقدّموا على النبيّين ، فبالأولىٰ أن يتقدّموا علىٰ أُممهم .

التاسعة : أن ليس لمن عداهم من فرق الاسلام شيء من ذلك اللطف ، وإليه يؤمىء قوله عليه السلام « فهل عند أصحابك هؤلاء شيء من ذلك ؟ » .

العاشرة : أنّ الايمان لا يوجد إلاّ فيهم ، ولهذا لم يلق للعفو ولم يستحقّ دخول الجنّة إلاّ هم .

ويؤيّده ما في أمالي الطوسي بالإسناد إلىٰ أبي ذرّ ، قال : رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وقد ضرب بيده كتف علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقال : يا علي من أحبّنا فهو العربيّ ، ومن أبغضنا فهو العلج ، فشيعتنا أهل البيوتات والمعادن والشرف ، ومن كان مولده صحيحاً ، وما علىٰ ملّة إبراهيم إلاّ نحن وشيعتنا ، وسائر الناس منها براء ، إنّ الله تعالىٰ وملائكته يهدمون سيّئات شيعتنا ، كما يهدم القوم البنيان[1] .

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ١٩١ برقم : ٣٢٢ .

ويؤيّده قوله عليه السلام « وتكون وأصحابك ببرهوت ملهوفاً » .

الحادية عشرة :[١] .

الثانية عشرة : أنّ الايمان ليس بمركّب من العمل ، ولهذا جعل مقترف الكبيرة منهم ، وعدّ بتمحيصه بابتلائه في ماله ونحوه ليلقاه محفوفاً بالروح والريحان ، وهو عليه غير غضبان .

الثالثة عشرة : أنّ المؤمن لا يخرج من الدنيا وعليه ذنب إلاّ ممحّصاً عنه .

ويدلّ علىٰ ذلك ما رواه في الكتاب المذكور ، عن زكريّا بن آدم ، قال : دخلت علىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فقال : يا زكريّا بن آدم شيعة علي رفع عنهم القلم ، قلت : جعلت فداك فما العلّة في ذلك ؟ قال : لانّهم أُخّروا في دولة الباطل ، يخافون علىٰ أنفسهم ، ويحذرون علىٰ إمامهم ، يا زكريّا بن آدم ما أحد من شيعة علي أصبح صبيحة أتىٰ بسيّئة أو ارتكب ذنباً ، إلاّ أمسىٰ وقد ناله غمّ حطّ عنه سيّئته[٢] .

ويؤيّد ذلك ما رواه في كتاب التمحيص أيضاً ، عن عمر صاحب السابري ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّي لأرىٰ من أصحابنا من يرتكب الذنوب الموبقة ، فقال لي : يا عمر لا تشنع علىٰ أولياء الله ، إنّ وليّنا ليرتكب ذنوباً يستحقّ بها من الله العذاب ، فيبتليه الله في بدنه بالسقم حتّىٰ يمحّص عنه الذنوب ، فإن عافاه في بدنه ابتلاه في ماله ، فإن عافاه في ماله ابتلاه في ولده ، فإن عافاه في ولده ابتلاه في أهله ، فإن عافاه في أهله ابتلاه بجار سوء يؤذيه ، فإن عافاه من بوائق الدهر شدّد عليه خروج نفسه حتّىٰ يلقى الله حين يلقاه وهو عنه راض ، قد أوجب له الجنّة[٣] .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) التمحيص ص ٤١ برقم : ٤٢ .

(٣) التمحيص ص ٣٩ برقم : ٣٨ .

وفرات بالفاء والراء المهملة والتاء الفوقانيّة بثنتين ، ابن أحنف العبدي ، وهو في الأصل عذب العذوبة ، وبالتاء المستديرة إسم للنهر المعروف .

قال العقيقي : إنّه كان زاهداً رافضاً للدنيا[١] .

وحبّذا السند ، فإنّه سعوط المصروع ، ودواء الداء الدويّ ، لقد أحسن القائل :

إذا شئت أن تحتم لنفسك مذهباً ... لينجيك يوم الحشر من لهب النار

فدع عنك قول الشافعي ومالك ... وحنبل والمرويّ عن كعب أحبار

وتابع اناساً قولهم وحديثهم ... روىٰ جدّنا عن جبرئيل عن الباري

ومن صديت مرآة عقله بأدناس الشبه ، ولم يصقلها أنوار الهداية عن أن ينقش فيها هذه الصور ، فلا غرو إن لم يعرف أصل الشيعة ، عليهم رضوان الله .

وفي كتاب التمحيص ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ، قالا : إنّ الله تعالىٰ خلق محمّداً من طينة من جوهرة تحت العرش ، وإنّه كان لطينته نضج ، فجعل طينة أمير المؤمنين من نضج طينة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضج ، فجبل طينتنا من نضج فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان لطينتنا نضج ، فجبل طينة شيعتنا من نضج طينتنا ، فقلوبهم تحنّ إلينا ، وقلوبنا تعطف عليهم عطف الوالد على الولد ، ونحن خير لهم وهم خير لنا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله لنا خير ونحن لهم خير[٢] .

ومن الكتاب المذكور عن الباقر عليه السلام ، قال : يا جابر خلقنا نحن ومحبّينا من طينة واحدة بيضاء نقيّة من أعلىٰ علّيين ، فخلقنا نحن من أعلاها ، وخلقت شيعتنا من دونها ، فإذا كان يوم القيامة التفّت العليا بالسفلىٰ ، فضربنا بأيدينا إلىٰ حجزة

---

(١) رجال العلاّمة الحلّي ص ٢٤٧ .

(٢) بحار الأنوار ٢٥ : ٨ ح ١١ عن بصائر الدرجات ص ٥ ، والحديث غير مذكور في كتاب التمحيص .

نبيّنا ، وضربت شيعتنا بأيدهم إلىٰ حجزتنا ، فأين ترىٰ يصيّر الله نبيّه والنبيّ وذرّيّته؟ وأين ترىٰ يصيّر ذرّيّة محبّينا ؟ فضرب جابر بن يزيد علىٰ يده ، فقال : دخلناها وربّ الكعبة[١] .

قال الطبرسي : سألت نفطويه النحوي عن ذلك ، فقال : هي السبب .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام ، بإسناد الصدوق إلى الحسن بن علي الخزّاز ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذ بحجزة الله تعالىٰ ، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا ، وشيعتنا آخذون بحجزتنا ، ثمّ قال : والحجزة النور[٢] .

وقال في حديث آخر : معنى الحجزة الدين[٣] .

أقول : وممّا يرشد إلىٰ أنّهم من جنح واحد ، ما رواه أمين الرؤساء ثقة الأعيان الثقات الأثبات ، رئيس المحدّثين ، محمّد بن يعقوب الكليني في الكافي ، بالإسناد إلىٰ جابر الجعفي ، قال : تقبّضت بين يدي أبي جعفر عليه السلام ، فقلت : جعلت فداك ربّما حزنت من غير مصيبة تصيبني أو أمر ينزل بي ، حتّىٰ يعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي ، فقال : نعم يا جابر إنّ الله جلّ وعزّ خلق المؤمنين من طينة الجنان ، وأجرىٰ فيهم من ريح روحه ، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه ، فإذا أصاب روحاً من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن حزنت هذه لأنّها منها[٤] .

وصفاء الخواطر وخلوص القوابل تولّي ذوارف الفيض .

وفي مسند أحمد بن حنبل بإسناده أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن

---

(١) بحار الأنوار ٢٥ : ١١ عن بصائر الدرجات ص ٦ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٢٦ ح ٢٠ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) أُصول الكافي ٢ : ١٦٦ ح ٢ .

والحسين عليهما السلام، وقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي[١].

قال الثقة الجليل علي بن عيسىٰ: هذا الحديث نقله أحمد بن حنبل في مواضع من مسنده، وهو حديث خطره عظيم، ومجده كريم، ووجهه وسيم، وشرفه قديم، فإنّه جعل درجة محبّيهم مع درجته، وهذا محلّ يقف دونه الخليل والكليم، وهاهنا ينقاد إلى المنقول والمعقول، وهو صلى الله عليه وآله أعلم بما يقول[٢].

قلت: ولا يتوهّمن أنّ محبّتهم تجامع محبّة عدوّهم، قال الشاعر:

تودّ عدوّي ثمّ تزعم أنّني ... صديقك إنّ الرأي عنك لغارب

وفي الكافي بالإسناد إلىٰ إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كلّ من لم يحبّ على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له[٣].

وقد قال تعالىٰ: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ﴾[٤].

ومن كتاب المناقب، عن زيد بن شراحيل - كاتب علي عليه السلام - قال: سمعت عليّاً يقول: حدّثني النبيّ صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلىٰ صدري: أي علي ألم تسمع قوله تعالىٰ ﴿ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البريّة ﴾[٥] هم أنت وشيعتك، وموعدي الحوض إذا جثت الأُمم للحساب، تدعون غرّاً محجّلين[٦].

---

(١) كشف الغمّة ١: ٥٢٩ عنه.

(٢) كشف الغمّة ١: ١٣٦.

(٣) أُصول الكافي ٢: ١٢٧ ح ١٦.

(٤) المجادلة: ٢٢.

(٥) البيّنة: ٧.

(٦) المناقب للخوارزمي ص ٢٦٥ - ٢٦٦ برقم: ٢٤٧.

خاتمة

في تفضيل الأئمّة فيما بينهم

وأمّا الأئمّة فيما بينهم، فعلي عليه السلام أفضلهم، كما مرّ في تضاعيف هذه العجالة، والحسين عليه السلام لشدّة رويّته وعظم مصيبته التي لم يرَ ربّها أحد من الأوّلين والآخرين، والمهدي عليه السلام لطول عمره أفضل باقي الأئمّة، بمعنىٰ أنّهما أكثر ثواباً.

وانّما تجوّزنا هنا في الأفضليّة؛ لما تقرّر من أنّهم سواء في جميع المزايا والفضائل، حتّىٰ أنّه لقد روي عنهم عليهم السلام أنّ كلاً منهم قائم بالسيف، لكن الأمر بالقيام والأمثال إنّما يكون للمهدي عليه السلام.

وأرادوا بالقيام تلك الكيفيّة النفسانيّة، وأمّا أثرها الذي هو القيام بالفعل المعبّر عنه في الحديث بالأمثال إنّما يكون علىٰ يد المهدي عليه السلام.

نقل الفاضل المقداد في لوامعه، عن ذي الحسبين الشريف المرتضىٰ علم الهدىٰ: أنّ القائم عليه السلام غير متعبّد بالتقيّة، بل فرضه الجهاد ومنابذة الأعداء، وإقامة الدين، كما دلّت عليه الأخبار المتواترة من الاماميّة وغيرهم، بخلاف آبائه عليهم السلام، فإنّ أكثرهم لم يكن مأموراً بالخروج والقيام والحرب، بل كان متعبّداً بالتقيّة، كما ورد عنهم عليهم السلام: ما منّا من وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلاّ قائمنا، فإنّه يخرج ولا بيعة لأحد في عنقه[1].

تفضيل الأئمّة على الملائكة

وإذا تبيّنت أنّ الأئمّة أفضل من الأنبياء، فلا ريب في أنّهم أفضل من الملائكة؛ لأنّ الأنبياء عليهم السلام أشرف من الملائكة، كما تقرّر في الكلام.

قال العلاّمة في كتاب الألفين: علي عليه السلام أفضل من الملائكة؛ لقوله تعالىٰ ﴿ إنّ

---

(١) اللوامع الالٰهيّة ص ٢٨٨.

الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ والعالمون هم ما سوى الله تعالىٰ، وعلي عليه السلام من آل إبراهيم، والمصطفىٰ أفضل من المصطفىٰ منه[١].

أقول: وذلك بعينه جارٍ في باقي الأئمّة عليهم السلام.

قال الصدوق في اعتقاداته: ولمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم بقوله تعالىٰ ﴿فسجد الملائكة كلّهم أجمعون﴾[٢] ولا يأمر الله تعالىٰ بالسجود إلاّ لمن هو أفضل منهم، فكان سجودهم لله تعالىٰ وطاعة لآدم، وإكراماً لما أودع الله تعالىٰ صلبه من النبيّ والأئمّة عليهم السلام[٣].

وقال الفاضل المقداد في لوامعه: الأئمّة عليهم السلام أفضل من الملائكة؛ لزيادة المشقّة في طاعتهم لمعارضة الشهوة والغضب، ولأنّهم من آل إبراهيم، وآل إبراهيم أفضل للآية، ولم يلزم العموم لوجود المخصّص[٤].

قلت: أراد بالعموم عموم أفضليّة آل إبراهيم علىٰ من عداهم، المستفاد من قوله تعالىٰ ﴿ على العالمين ﴾ فيدخل الأئمّة عليهم السلام، والمخصّص هو دليل أنّ الأئمّة عليهم السلام ليسوا ممّن يفضلهم آل إبراهيم، كيف؟ وهم صلوات الله عليهم أفضل، بل أفضل جميع الأنبياء، كما مرّ.

وقد روىٰ في بستان الكرام: أنّ جبرئيل عليه السلام كان جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله، فدخل علي عليه السلام وسلّم، فقام له جبرئيل، فقال صلى الله عليه وآله: أتقوم لهذا الفتىٰ؟ فقال عليه السلام: نعم إنّ له عليّ حقّ التعليم، فقال صلى الله عليه وآله: كيف ذلك التعليم يا جبرئيل؟ فقال عليه السلام: لمّا خلقني الله تعالىٰ سألني من أنت؟ وما اسمك؟ ومن أنا؟ وما اسمي؟ فتحيّرت

---

(١) الألفين ص ٣٢٦.

(٢) الحجر: ٣٠ و ص: ٧٣.

(٣) الاعتقادات ص ٩٠.

(٤) اللوامع الالٰهيّة ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

في الجواب وبقيت ساكتاً، ثمّ حضر هذا الشابّ في عالم الأنوار وعلّمني الجواب، فقال: قل أنت الربّ الجليل، واسمك الجميل، وأنا العبد الذليل، واسمي جبرائيل، ولهذا قمت له وعظّمته، فقال ﷺ: كم عمرك يا جبرئيل؟ فقال عليه السلام: نجم يطلع من العرش في ثلاثين ألف سنة مرّة واحدة، وقد شاهدته طالعاً ثلاثين ألف مرّة[1].

وليحبس هاهنا عنان القلم، فإنّ هذا مضمار واسع لا يدرك غوره، ولا يساحل ساحله، وإن أنجد الممعن المتعمّق فيه وأتهم، فقد جاءكم آية من ربّكم وهدىً ورحمةً، فمن أظلم ممّن كذّب بآيات ربّه وصدف عنها، وسنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون.

فمن لم ينظر بعين إنصافه، ولم يعدل عن جادّة اعتسافه، وعاند وكابر ونازع وشاجر، فقد قال تعالىٰ: ﴿ وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ﴾[2].

فإذا لم يقبل من الله ورسوله، فليس بذلك العجب والغريب أن لا يقبلوا من غيرهم، علىٰ أنّ الحجّة ينبغي أن يكون حجّة في نفسها، لا أن يكون مقبولة عند الخصم، لاسيّما إذا كان عنيداً، بل ربّما تكون في عينه مردودة، كالعسل عند الصفراويّ، فإنّه لا يرىٰ منه إلاّ مرارة، ومن لا يقبلها من عقله، فكيف يقبلها من يعتقد أنّها ملامة من عدمه في زعمه ﴿ إنّما يستجيب الذين يسمعون والموتىٰ يبعثهم الله ثمّ إليه يرجعون ﴾[3].

لقد أسمعت لو ناديت حيّاً ولكن لا حياة لمن تنادي

---

(١) بستان الكرام، لم أعثر عليه.

(٢) يوسف: ١٠٥.

(٣) الأنعام: ٣٦.

ونار لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

وما أنت بمسمع من في القبور . وقد فاح أفاح الفلاح ، فلاح ضوء الصباح ، وأغنىٰ عن الاستصباح ، وسرىٰ نسيم الراح علىٰ راح الزحزاح فقدىٰ وراح ، فأكحل آماقاً رمدىٰ ، وسقىٰ أكباداً كمدىٰ ، ومشقّة مصروح المناظرة فأفاق وسرىٰ ، أهداه العمىٰ عن ضلالتهم مثلاً في الآفاق .

فما قرب شميم عرفه في مشام مزكوم إلاّ ورفع إلىٰ جاذبة المفكّرة منه ماسكة تجعل الموهوم في الوضوح كالمعلوم ، فقل ...[١] نسيم خزامى أسراره إلاّ زكاماً ، ولا يستفيد من برد برد ندّ اعواره ...[٢] مالك لا تطيق مشاهدة نور هذه الأسرار ، ولا تتوق إلىٰ معاينة نور حسن النوار إذا لم يكن للمرعين صحيحة ، فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر .

ولكن من عدل عن الهدىٰ ، وجنح إلى الهوىٰ ، فقد تورّط في العمىٰ ، وعلىٰ أُمّ رأسه في درك عناده هوىٰ ، يخبط خبط عشوىٰ ، علىٰ طخية عمياء ، في ليلة ظلماء، غاوٍ تابع ضلال ، ومتحيّر مقلّد جهّال ، لا يهتدي إلىٰ صواب مسألة أو جواب ، ولا يتبع دليلاً حقّاً من عقل أو نقل من سنّة أو كتاب ، وما سلك سبيلاً منّقدا ينجيه من اضطراب ، فكأنّما ختم علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم وعلىٰ أبصارهم غشاوة ، وما تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

ولقد أحسن الصاحب الجليل أبي القاسم إسماعيل بن عبّاد في قصيدة له يمدح بها الرضا عليه السلام ، حيث قال وما أحسن ما قال :

إن هي النصب كاليهود وقد تخلّط تهويدهم بتمجيس

كم دفنوا في القبور من نحس أولىٰ به الطرح في النواديس

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) بياض في الأصل .

عـــالمهم عـــندنا إيـــاحته في جلد ثور ومسك جاموس
إذا تأمّـــلت شـــوم جـــبهته عـرفت فـيها اشـتراك إبـليس

فمن طمع في رشده أو هدايته ، أو رغب إلى انقاذه من غوايته ، كمن طلب النور من الظلام ، أو حاول المشاهدة من أضغاث الأحلام ، وإذا كان المنافق إذا تليت عليه آياتهم أبىٰ واستكبر ، وكيف يطيق معاينة النيّر الأعظم الخفّاش الأحقر ، والموالي بعد بروع فلق الصبح من حيث الانكشاف لا يتدبّر ؟.

فما الفرق بين من أعمىٰ وأبصر ، وإنّما خاطب ربّ الأرباب أُولي العقول والألباب ، الذين عضدهم بمعاونة التوفيق ، وهداهم إلى سواء الطريق ، فهم يستخرجون الغوامض بالفكر الدقيق ، وينظرون إلى الغيب من وراء ستر رقيق .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، ومن زحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز فوزاً عظيماً .

وفرغ من تسويدها مؤلّفها المذنب الجاني الحسين بن الحسن الحسيني ، في رابع ربيع الأوّل من سنة تسع وخمسين وتسعمائة من الهجرة النبويّة ، حامداً لله شاكراً لأنعمه ، مصلّياً على النبيّ وآله مسلّماً مستغفراً .

والحمد لله ربّ العالمين بدواً علىٰ عود ، وصلّى الله علىٰ خاتمهم وقائمهم المستور عن عوالمهم ، اللهمّ وأدرك بنا أيّامه وظهوره وقيامه ، واجعلنا من أنصاره، واقرن ثأرنا بثأره ، واكتبنا في أعوانه وخلصائه وأصفيائه ، وأحينا في دولته ناعمين ، وبصحبته غانمين ، وبحقّه قائمين ، ومن السوء سالمين .

تمّ استنساخ هذه الرسالة الشريفة تصحيحاً وتحقيقاً وتعليقاً عليها في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة ١٤١٩ هـ ق علىٰ يد العبد الفقير السيّد مهدي الرجائي في بلدة قم المقدّسة حرم أهل البيت وعشّ آل محمّد عليهم السلام .

فهرس عناوين الكتاب

ترجمة المؤلّف، إسمه ونسبه ٣
أولاده وأحفاده ٤
الاطراء عليه ٦
كراماته ٩
تصلّبه في الدين ١٠
رحلاته ١٢
مشايخه، تلامذته، آثاره القيّمة ١٣
وفاته، حول الكتاب ١٧
مصادر الترجمة ٢٠
كتاب دفع المناواة، مقدّمة المؤلّف ٢١
المرصد الأوّل في المساواة فيماعدا النبوّة ٢٧
الاستدلال بآية المباهلة ٢٧
الاستدلال بالأخبار الواردة في ذلك ٢٨
الاستدلال بالاجماع الوارد في ذلك ٣١
المرصد الثاني في الأفضليّة على سائر الخلق سوى نبيّنا ﷺ ٥٠
مساواته بالآية والرواية والاجماع لأفضل الأوّلين والآخرين ٥٠
إنّه أكثر كمالات في القوّة العلميّة والعمليّة ٥٠

علي عليه السلام خير البشر ٥٧
علي عليه السلام خير الخلق ٦٤
علي عليه السلام أفضل الخلق ٦٥
علي عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله تعالىٰ ٦٥
نكتة في المحبّة ٧٢
علي عليه السلام أحبّ الخلق إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ٧٧
إنّ الله اختار عليّاً عليه السلام من الخلق ٧٩
اجتمع في علي عليه السلام ما تفرّد في أفاضل الأنبياء ٨٥
علي عليه السلام أوّل أهل الجنّة دخولاً ٩٧
علي عليه السلام أوّل من تنشقّ عنه الأرض وأوّل من يحيىٰ وأوّل من يكسي بعد محمّد صلى الله عليه وآله ٩٨
لواء الحمد في يد علي عليه السلام يوم القيامة وإنّ آدم ومن ولد تحته ١٠٠
علي عليه السلام وارث النبيّ صلى الله عليه وآله بل وجميع الأنبياء ١٠٣
علي عليه السلام قسيم النار والجنّة ١٠٤
إن الله تعالىٰ فضّل عليّاً عليه السلام علىٰ سائر خلقه ١٠٦
لا كفو لفاطمة عليها السلام غير علي عليه السلام ١٠٧
لعلي عليه السلام ما ليس لمن قبله ولمن بعده ١٠٨
علي عليه السلام سيّد المسلمين ١١٠
علي عليه السلام إمام المتّقين ١١١
لا يقبل الله عمل عبد إلاّ بمودّة علي عليه السلام ولا يجوز أحد على الصراط إلاّ بجواز ولايته ولا يدخل الجنّة إلاّ بجوازه ١١٣
جعل رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بمنزلة أشرف أعضائه ١١٦

إيمان علي عليه السلام يرجّح على إيمان غيره ١١٧
الأدلّة المستخرجة من أحوال علي عليه السلام من الزهد والعبادة والعلم والشجاعة ١١٨
أهل الجنّة جرد مرد والحسنان ساداتهم وأبوهما خير منهما ١٣١
بحث عامّ حول أفضليّة علي عليه السلام على سائر البشر غير نبيّنا صلى الله عليه وآله ١٣١
المرصد الثالث الأئمّة الأحد عشر بعد النبيّ والوصيّ أفضل البشر ١٤٣
الأئمّة عليهم السلام خير البريّة ١٤٣
إختيار الله تعالى للأئمّة عليهم السلام من البشر ١٤٤
الحسنان عليهما السلام سيّدا شباب أهل الجنّة ١٤٤
الأئمّة عليهم السلام لا مثل لهم ١٤٥
إنّ الله تعالى فضّل النبيّ صلى الله عليه وآله على جميع النبيّين والمرسلين وإنّ الفضل بعده للأئمّة عليهم السلام ١٤٦
الأئمّة عليهم السلام أكرم الخلق على رسول الله صلى الله عليه وآله ١٤٨
الأئمّة عليهم السلام أكرم الخلق على الله تعالى ١٤٩
الأئمّة عليهم السلام أحبّ الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ١٥٢
الأئمّة عليهم السلام خير البريّة ١٥٣
إنّ الله تعالى أعطى الأئمّة عليهم السلام ما أعطى النبيّ صلى الله عليه وآله ١٥٤
نور الأئمّة عليهم السلام يطفىء نور من عداهم ١٥٥
إثبات إيمان أبي طالب عليه السلام ١٥٦
إنّ الله تعالى أورث الأئمّة عليهم السلام مواريث الأنبياء ١٧٩
الأئمّة عليهم السلام ورثة النبيّ صلى الله عليه وآله ١٨٢
مثل الأئمّة عليهم السلام في الخلق كالفردوس في الجنان ١٨٤

إنّ الأئمّة عليهم السلام أعلم ١٨٥
الأئمّة عليهم السلام سادات أهل الأرض ١٨٨
الأئمّة عليهم السلام بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله ١٨٩
جرىٰ للأئمّة عليهم السلام ما جرىٰ لعلي عليه السلام وجرىٰ لعلي عليه السلام ما جرىٰ لرسول الله صلى الله عليه وآله
ولرسول الله صلى الله عليه وآله الفضل علىٰ جميع من خلق الله ١٩٠
الأئمّة عليهم السلام في الفضائل سواء ١٩١
الأنبياء تشفّعت بالأئمّة عليهم السلام إلى الله تعالىٰ ١٩٣
الأئمّة عليهم السلام خير أهل الأرض ١٩٧
المهدي عليه السلام أفضل من عيسىٰ عليه السلام ١٩٨
الأئمّة عليهم السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله من نور واحد ٢٠٠
تأويل آية « وربّك يخلق ما يشاء ويختار » في الأئمّة عليهم السلام ٢٠٢
وجوب طاعة الأئمّة عليهم السلام علىٰ جميع الخلق ٢٠٤
تفضيل الأئمّة عليهم السلام فيما بينهم ٢٢١
تفضيل الأئمّة عليهم السلام على الملائكة ٢٢١
فهرس عناوين الكتاب ٢٢٧

عنوان المحقّق : ايران - قم ص.ب ٧٥٣ - ٣٧١٨٥ - تليفون ٧٣٢٠٦٧

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف و الناشر

الطبعة الاولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م